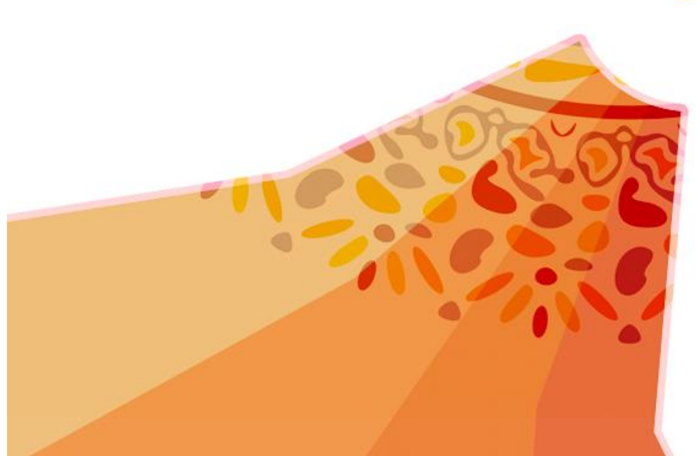


مجموع مقالات ودراسات

محمد خير رمضان يوسف

الجزء الأول



مجموع مقالات ودراسات

محمد خير رمضان يوسف

الجزء الأول

(البحث والتأليف، الكتب)

النشرة الأولى

جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ

النشرة الثانية

شوال ١٤٤١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة والسلام على الرسول الكريم، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد كان جمع المقالات والدراسات التي كتبتها قديمًا هاجسًا عندي، وكنت أؤجله لأسباب، من أهمها كون بعضها مخطوطًا، وتحتاج إلى تنضيد ومراجعة وتصحيح، فكنت أنتظر الوقت المناسب لذلك، وأقدِّم عليها أعمالًا أخرى حاضرة، حتى فقدتها كلها، في محنة سفرتي الأخيرة من بلاد الحرمين! وكنت قد وضعتها في حرز مكين، وموضع أمين، لا تعبث بها الأيدي... وقدَّر الله وما شاء فعل، وله الحمد إن أعطى أو أخذ. وقد عددت عناوينها في (ذكرياتي) وبلغت (٢٠) مقالًا.

هذا إضافة إلى كتابات عديدة في دفاتري القديمة تصلح أن تكون في كتاب، وهي قصص وأشعار ومقاطع نثر ورسائل وتأريخ حوادث ووقائع ومشاهد ووثائق، أهديتها كلها مع مكتبتي.

كما أذكّر بـ (الأخبار الثقافية) التي كنت أحررها في مجلة (عالم الكتب)، اجتمعت في (١١) عددًا منها، بين رجب ١٤٠٧هـ حتى محرم ١٤١١هـ، صوّرتها في ظرف عندي وأهديتها كذلك، وكنت أحرر فيها باب الرسائل الجامعية، وباب كتب حديثة أيضاً، ولم أذكر شيئًا منها هنا.

وكذلك "الكتاب على الأرائك وبين السنابك"، الذي نشرته في (٢٠) حلقة، وهو بمثابة مجلة للكتاب الإسلامي، وجمعته في كتاب إلكتروني، وفيه مقالات قصيرة كثيرة.

ثم أذكر (مجلة الكتاب الإسلامي) الفصلية، التي أصدرت منها (٢٥) عددًا، وكنت أقوم بإعدادها وتحريرها وتصحيحها كلها بنفسي، وفيها مقالات كثيرة، فأخذتني حيرة شهورًا، هل أضمُّ مقالاتها ودراساتها إلى هذا الكتاب، وفيها الكثير مما هو مفيد؟ حتى صرفت عنها النظر، فهي مكوّن مستقل، وكل موضوعاتها في الكتاب

الإسلامي، ومن شأنها أن تطلب وحدها، ومع بعضها البعض. لكن دخل من بينها (٩) مقالات في هذا الكتاب، فتركتها.

وهذه المقالات بلغت نحو (١٨٠) مقالًا ودراسة، كتبتها بين الأعوام (١٤٠٥ - ١٤٣٩ هـ) في الجرائد والمجلات والشابكة. وجاءت متنوعة، لكن معظمها في الدين والكتب. وقد فرزتها على موضوعاتها لتجتمع فصولها.

وكان من أسباب تأجيل جمعها ونشرها أيضًا هو أن كثيرًا منها نضدت من جديد وكانت على ورق، فكانت تحتاج إلى مراجعة خاصة مني ومقارنتها بالأصل المطبوع، ولكن ما وجدت وقتًا لذلك، وقد نُبهت إلى أخطاء فيها، ورأيت بعضها بنفسي، ولما جمعتها هنا قرأت بعضها...

وبقيت لي مقالات في كتب..

أما المقالات المخطوطة التي لم أعثر عليها، فقد تكون ضمن المكتبة التي أهديتها، أو أنها فقدت، وهي:

- **الموظف وطاسة اللبن** [قصة واقعية جرت معي، ذكرتُ ملخصها في ذكرياتي] ١٢ص.
- **تمثيلية إذاعية ذات ثلاثة فصول**، كتبت سنة ١٤٠٣هـ،٧ص.
- **في العمل الإعلامي**، كتبت سنة ١٤٠٣هـ،٣ص
- **حيرة أُمّ**، قصة واقعية، المقصود الوالدة، وأنا وشقيقي محمد زكي، ٧ص، ذكرت ملخصها في ذكرياتي.
- **آلام**، ١ص.
- **ذكريات مختصرة**، ٣ص، فيها ما لم أورده في الذكريات.
- **الجنون في حب الكرة** ،١٤ص.
- **رحلة في عالم الأمثال**، ٣ص.
- **جامع العلوم والحكم لابن رجب**. نقد لطبعة دار المعرفة، ٩ص.
- **الكتاب السعودي: المشكلة والحل**، ١٥ص.

- **خصائص الإعلام الإسلامي**،١٤ص (لعله نفسه الذي ذكرته في المقالات المنشورة؟).
- **رد على "الخضر عليه السلام في الفكر الصوفي" لعبد الرحمن عبدالخالق**، ١٢ص أردت إضافته إلى الطبعة الجديدة من كتابي "الخضر بين الواقع والتهويل" فلم يوافقني أحد الإخوة، وليس فيه ما يغضب الفريقين، فالتزمت كلامه دون اقتناع.
- **تعقيب على مقال "بين لقمان الحكيم وبتاح حتب"** كتبته سنة ١٤٠٨هـ، ٥ص أرسلته تعقيباً على كاتب المقال محمد العزب موسى، إلى جريدة الأهرام، فلم ينشر.
- **المطبوع من مؤلفات ابن طولون**، ٧ص.
- **كتابان في الإسلام يقطران سمّاً**، كتبته سنة ١٤٠٨هـ، ١٣ص.

المقصود: كتاب "حول الدعوة الإسلامية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية" لحسين أحمد أمين، وكتاب "سوسيولوجيا الفكر الإسلامي" لمحمود إسماعيل.

- **حادث مروّع على طريق مكة – المدينة**، ٨ص. حدث واقعي، أرسلته إلى جريدة المدينة فلم ينشر.
- **المرأة الكردية بين سعادة الأمس ومخاطر اليوم**، كتبته سنة ١٤١٦هـ، ٧ص
- **أخطاء ينبغي تصحيحها في مختصر صحيح مسلم**، كتبته سنة ١٤٢٠هـ، ٢ص، أرسلته إلى ناشره، دار ابن خزيمة بالرياض.
- **طبيبات من التاريخ الإسلامي**، ٥ص.
- **بدايات خاطئة:** قصص قصيرة جداً، ٥ص.
- **كتابات وأشعار غير منتظمة.**

(بعضها عُرضت ولم تنشر، وبعضها فات وقتها، أو أبقيتها حتى يلتئم شملها مع غيرها إن شاء الله، وبعضها مسودات، وترتيبها على التاريخ التقريبي).

وقد تستجدُّ مقالات، وأتذكر غيرها، وأعثر على ما فقدت منها أو بعضها، ويتم تنضيد ما لم ينضد منها، وتلحق بما نشر منها في كتاب، أو في جزء مستقل، إن شاء الله.

أدعو الله تعالى أن ينفع بها، ويقبل مني ما وفقني إليه، ويغفر زلتي، إنه هو السميع العليم.

محمد خير يوسف

جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ.

ملاحظة: النشرة الثانية بها إضافة (٧) مقالات، فيكون مجموعها نحو (١٨٧) مقالًا ودراسة حتى عام ١٤٤١ هـ، مع الملاحظات المذكورة سابقًا.

شوال ١٤٤١ هـ.

الباب الأول
المعارف العامة

أولًا: البحث والتأليف

(١)
التوثيق العلمي من ظهور الكتب والمخطوطات

مقدمة

كنت أظنّ أني سأقترح شيئاً جديداً في هذا الموضوع، ثم تبيَّنَ أن السلف قد أخذوا به منذ قرونٍ طويلة، بل عالجوا فناً منه ووضعوا له قواعد علمية، لكنه انحسر شيئاً فشيئاً إلى أن انعدم في يومنا هذا، أو كاد.

فقد كان للسلف عادة جميلة عندما كانوا يدوِّنون معلومات مفيدة على ظهورِ الكتب التي عندهم، وظهر الكتاب هو صفحة الغلاف منه، أو صفحة العنوان فيه، وتكون الكتابة على طرَّته، يعني حوافِّه، من أي جانبٍ كان.

وهذه المعلومات لا ضبط لها ولا تقييد، يعني أن مالك الكتابِ أو ناسخه أو حتى مؤلفه، قد يعجبه شيء، أو يتذكر معلومة، أو يملى عليه شيء، فلا يجد أمامه سوى كتاب يدوِّن على صفحته ما شاء، وقد يتعمَّد ذلك فتكون المعلومات عن مؤلف الكتاب أو الكتاب نفسه، وهلمَّ جرّاً.

ومجموع هذه المعلومات سمّاها الباحثون "فوائد" يعني أيَّ شيء فيه فائدة، من شعر، أو أثر، أو حكمة، أو خبر، أو ترجمة، أو تحديد موضع، أو تأريخ حادثة، أو تصحيح خطأ...وتسمى في عصرنا "معلومات".

وقد تكون هذه الفوائد نقلاً من كتابٍ، أو رواية عن عالم أو أديب، أو معلومة جديدة أتى بها من عنده، أو سمعها من آخرين لم تدرج في كتاب ولا تعرف في باب من أبوابه.

والمقصود في موضوعنا هذا هو الصنف الأخير من الفوائد، يعني ما يمكن الاستفادة منه علمياً مما لا يوجد في الكتب، وما نقله مؤلفون من السلف من ظهور الكتب وجعلوه في كتبهم.

وهو أمرٌ جليلٌ حقاً، فإنه لا يعرف قيمة هذه الفوائد والمعلومات إلا من اطلع عليها وعرف كنهها وفائدتها.

وقد افتقدنا هذه العادة الجميلة في هذا العصر، فلم نعد نرى كتاباً عليه فوائد مثل قبل، بل ينظر إلى الكتاب أن أفضله عند مالكه ما رؤي نظيفاً!

على أننا لا نعدم كتابات متفرقة على كتب نادرة، وهو ما يستشهد بها في هذا المقال أيضاً، بينها ما هو مفيد ومهم.

وقلت إن السلف عرفوا نوعاً منه واعتنوا به، وأعني "الوجادة" التي يأتي الحديث عنها، وهي أحد أنواع الحديث الشريف.

وسيظهر للقارئ الكريم أن كثيراً من الباحثين من السلف استفادوا من هذه المعلومات المدوّنة على ظهور الكتب، منهم مؤرِّخون ومحدِّثون كبار، أمثال ياقوت الحموي، وابن العديم، والذهبي، والمقَّري... وغيرهم، وهذا ما أردتُ أن أبيِّنه في هذه الدراسة، التي تتولى جانب التوثيق والتحرير.

ويبقى المهم هو في كيفية جمعِ هذا الكم الهائل من المعلومات والفوائد التي على ظهور الكتب والمخطوطات، وهو ما سأدعه إلى آخر البحث.

الاهتمام بما على ظهور الكتب من الفوائد

تاريخ الكتابة على طُرِرِ الكتب قديم، ولا يستبعد أن يكون في القرن الثاني الهجري، على أن الاهتمام بها غدا بعد توافرها، ويُعتقدُ أنه كان في القرن الرابع الهجري.

يذكر القزويني رحمه الله أن القاضي أبو القاسم عبدالملك بن أحمد بن المعافى القزويني، كان كثير الجمع والكتابة، حسن الخط، يتهاداه الناس فيما بينهم، سافر وخالط فضلاء العصر من مكاتبة ومعاشرة ومشاعرة.

وقال: رأيت بخطه: حضر عندي الشيخ الرئيس أبو الحسن علي بن الحسن البجلي وأنا بأصبهان سنة خمسمائة وقد خرَّجتُ ما في الصناديق من الكتب، فأخذ يتأمل ما على ظهورها، وقال لي: لو جُمع ما على ظهورِ هذه الكتب لكان رأسَ مالِ عالم! فقلتُ له: روى لنا الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، عن أبي القاسم الرقِّي، أنه كان يُروى عن بعض مشايخ الأدب وقد مرض، أنه قيل له: ما تشتهي؟ فقال: ظهورَ الكتب، وأكبادَ الحُسّاد، وأعينَ الرقباء (١).

وممن جمع الفوائد من ظهور الكتب الوزير الاكرم علي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ) في كتابه " نُهزة الخاطر ونزهة الناظر" لكنه مفقود.

ثم جميل العظم (ت ١٣٥٢هـ) في كتابه "الصبابات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات"، وهو صغير، صدر عن دار البشائر الإسلامية ببيروت.

ثم لكاتب هذا المقال "الغُرر على الطُّرر: غُرَر الفوائد على طُرَر المخطوطات والنوادر" جزءان في مجلد، صدر عن الدار السابقة، ولديه جزء ثالث جاهز للطبع.

التراجم

لعل أكثر ما يكتب على ظهور الكتب بعد الشعر هو ما يتعلق بالتراجم، ومعظمها في ذلك عن مؤلف الكتاب نفسه، وهذه أمثلة على ذلك.

في ترجمة على بن المختار العزنوي، وهو لغوي فرضي مات سنة ٥٧٢هـ نقل القزويني في التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٤٢٢ قال: رأيت بخطه على ظهر كتاب: تركت المسجد الجامع والترك له ريبة، فإن زدت من الغيبة زدناك من الغيبة.

وحديث عن الحافظ الطبراني في رؤيا رآها في رحلته إلى المشايخ لطلب الحديث، رؤي ذلك بخط محمد بن أبي بكر البقال مكتوباً على ظهر الجزء الأول من كتاب "التفسير" لأبي محمد بن حيان أبي الشيخ.

ورؤيا أخرى له وجدت في ظهر كتاب "دلائل النبوة" لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجمحي... (٢)

وجاء في آخر "شرح الجزازية" تعريف بمؤلفه أحمد بن محمد الجزاز نقلاً من كتاب "النور اللامع" للعلامة صالح بن الصديق النمازي (ت ٩٧٥هـ). وهذا الكتاب لم يرد له ذكر في كشف الظنون ولا ذيله، ولم يذكر له هذا الكتاب الزركلي في ترجمته.

وترجمة جميلة للإمام الشاطبي كتبه ناسخ "الهبات السنية العلية على أبيات الشاطبية الرائية" للملا علي القاري، نسخة الأزهرية، نقله العرياني والإزميري(٣).

وآراء جديدة في ابن تيمية في أوراق من مخطوطة "منهاج السنة النبوية" له، نسخة عاشر أفندي، نقلها محققه محمد رشاد سالم في مقدمة التحقيق.

وكذلك كتابة "درء تعارض العقل والنقل" التي نقلها المحقق أيضاً.

وترجمة جديدة لأحمد بن عبدالله البعلي نقله أحد العلماء من على ظهر كتابه "الذخر الحرير شرح مختصر التحرير" المحفوظة مخطوطته بمكتبة الملك فهد الوطنية.

وجاء في ظهر الجزء الثالث من "الدر المنثور في التفسير بالمأثور" للإمام السيوطي، من مصورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

قال الشيخ يوسف بن عبيدالله الحسيني الشافعي الأرميولي: سمعت حال قراءاتي على مؤلف هذا الكتاب – يعني السيوطي — أنه قال: جمعت ثلاثة وثلاثين ألفاً من الأحاديث.

ورأى تقي الدين الغزي صاحب "الطبقات السنية في تراجم الحنفية" معلومة تخص خلف بن أيوب في هامش نسخ من "الجواهر المضيئة" فكتبها ووثقها هكذا في كتابه المذكور المطبوع بتحقيق عبدالفتاح الحلو ٣/ ٢١١.

ولا شكّ أن مثل هذه المعلومات، التي لا تتوافر غالباً في مصادر التراجم، تكون مفيدة للدارسين، وخاصة الأعلام الذين لا حظَّ لهم في ترجمات مسهبة، فيدون عنه معلومات أحد أقرانه أو تلامذته، سواء في أحواله، أو معرفة نسبه، أو تأريخ ولادته أو وفاته، كما يأتي:

توثيق النسب

في نسب ابن حزم روى المراكشي في كتابه "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" ١/ ٤٦ قال: أبو محمد الذي يحدث عنه الحميدي هو أبو محمد علي بن أحمد... بن حزم... قرئ عليَّ نسبه هذا بخطه على ظهر كتاب من تصانيفه: أصل آبائه الأدنين من قرية من إقليم لبلة من غرب الأندلس، سكن هو وأبوه قرطبة، وكان أبوه من وزراء المنصور...

وتحقيق في نسب ابن حجر الهيتمي ورد في طرة "تحفة المحتاج لشرح المنهاج" للمذكور، نسخة المتحف العراقي.

تأريخ الولادة والوفاة بدقة

قال الخطب البغدادي في تاريخه ١٢/ ١٩٨: قرئ على ظهر كتاب لأحمد بن سعيد الدمشقي: مات سيبويه سنة ١٩٤هـ.

وقال ياقوت الحموي: وجدتُ على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبح بكتاب "النبات" من تصنيف أبي حنيفة: توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ليلة الإثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٢٠٨هـ(٤).

ويروي المصنف الكبير أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين أنه وجد مولده بخط أبيه على ظهر كتاب حدثه بما فيه محمد بن علي به عبدالله الوراق... وفيه: ولد ابني عمر في صفر سنة ٢٩٧هـ...(٥).

ومثله كثير في تاريخ دمشق.

قال أبو محمد عمر بن محمد الكلبي: وجدت على ظهر جزء: مات الشيخ الزاهد أبو سعد اسماعيل بن علي بن الحسين السمان وقت العتمة ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شعبان سنة ٤٤٥هـ شيخ العدلية وعالمهم وفقيههم...(٦).

وقال في تاريخ دمشق ٣٧/ ٣٩٧: قال عبدالعزيز الكتاني: وجدت على ظهر كتاب تمام بن محمد: توفي أبو الفرج بن سخت الرقي — وهو عبيدالله بن أحمد بن الحسن الجبلي — في سنة ٤٠٠هـ.

وفي تاريخ دمشق أيضاً ٤١/ ٣٢٢: قال عبدالعزيز الكتاني: وجدت على ظهر كتاب تاريخ أبي زرعة: مات أبو القاسم علي بن الحسين بن رجاء بن طعان المحتسب ليلة الإثنين عشرة خلون من شوال سنة ٣٧٦هـ.

وفي ٤٣/ ٤٨٥ منه نقل من الكتاني أيضاً: وجدت على ظهر كتاب تمام بن محمد: توفي عمران الخفاف في سنة ٤٠٠هـ.

وقال السمعاني في الأنساب (٥/ ١٨١): قرأت على ظهر كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: مات أحمد بن ماما خامس شعبان سنة ٤٣٦هـ ببخارى، قال: ومات أبو المسهر قبله بأسبوع.

وتأريخ دقيق لولادة ووفاة محمد بن شريح الرعيني وابن شريح وأبيات وردت في رثائه لم أجدها في جملة من المراجع الأندلسية، كتبت بقلم ناسخ كتاب على ظهر "الكافي في القراءات السبع" للرعيني نفسه، نسخة الأزهرية.

وقال في "بغية الطلب في تاريخ حلب" (٩/ ٤٠٢٥). قرأت بخط بعض المعربين على ظهر كتاب: ولد الشيخ أبو نصر زيد بن عبدالواحد بن عبدالله بن سلمان سنة ٣٩٨هـ وتوفي سنة ٤٤٢هـ، فيكون عمره ٤٤سنة.

وقال أيضا: قرأت بخط خليفة [بن سليمان] على ظهر كتاب: توفي الأستاذ الإمام علاء الدين الكاساني ذو المكارم أبو بكر بن مسعود عاشر رجب بعد الظهر سنة ٥٨٧هـ وتولى التدريس بعده الأستاذ الإمام افتخار الدين في سابع عشر رجب (٧).

والحافظ السهيلي أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله وُجد على ظهر كتابه "الفرائض" أنه ولد بإشبيلية سنة ٥٠٨هـ وتوفي بمراكش في الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٥٨١هـ، ولي قضاء الجماعة وحمدت سيرته (٨).

وجاء تأريخ وفاة علي الإسفندري على ظهر كتاب "المقتبس في توضيح ما التبس" له، نسخة مكتبة جارالله الملحقة بالمكتبة السليمانية بإستانبول: توفي الشيخ الأستاذ... وقت الضحوة الصغرى من يوم الأربعاء التاسع عشر من رجب سنة ٦٩٨هـ وعاش سبعاً وسبعين سنة.

وروى صاحب "المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور (١/ ١٠٧) عن صاحب الأصل في ترجمة عمه أبي بكر أحمد بن محمد بن عبدالغافر الفارسي قال: قرأت بخط أبيهما – يعني المذكور وأخاه أبا الحسين – على ظهر كتاب "مختصر العين": ولد ولدي أحمد لثلاث بقين من رجب سنة ٣٥٠هـ، وولد عبدالغافر ليلة الإثنين لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٥٣هـ...

كما يرد بيان بتاريخ وفاة الناسخ، حيث ورد على طرّة "مصابيح السنة" نسخة مركز الملك فيصل، لناسخه إلياس بن عيسى أنه توفي يوم الخميس وقت العصر ٢٧ شعبان سنة ٨١٨هـ.

وورد حواليه تأريخ وفاة ثلاثة من أولاده.

ووفيات أسرية أخرى على طر كتاب "جوهرة الفرائض الكاشف لمعاني مفتاح الفائض" للراشدي، نسخة جامعة الإمام بالرياض.

وحديثاً: ورد تأريخ لوفاة الشاعر المصري أحمد نسيم (١٩٣٨م) وبيان بعض ما قيل فيه، كتب بالقلم على نسخة طبعت سنة ١٣٢٦هـ محفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية.

كما أرخ الشيخ عبدالله الدحيان (ت ١٣٤٩هـ) لوفاة شيخه عبدالله بن عودة القدومي من نابلس بيوم الجمعة وهو في صلاتها سنة ١٣٣٠هـ وذلك على ظهر نسخته من كتاب "الرحلة الحجازية والرياض الأنسية في الحوادث والمسائل العلمية" للقدومي.

إنها لا شك معلومات قيمة ودقيقة، قد تكون أكثر توثيقاً ومصداقية من مصادر التراجم، نظراً لأنها كتبت بأقلام مهتمين بها ومقربين من أصحابها، مع تحديد دقيق لا توجد غالباً في مصادر العامة.

الشعر

أبيات الشعر هي أكثر ما ترد على ظهور المخطوطات، لكن المقصود هنا هو ما لا يوجد في الدواوين والموسوعات الأدبية، أو ما نقله المؤرخون والأدباء من ظهور الكتب.

ومن ذلك ما نقله الصفدي في "الوافي بالوفيات" من أبيات وأخبار وجدها أحدهم على طرر المخطوطات، وهي:

قال ابن الشواء الكاتب: رأيت مكتوباً على ظهر كتابٍ قول بعض الأعراب:

نزلتُ على آل المهلَّب شاتياً غريباً عن الأوطانِ في زمنٍ مَحلِ

فما زال بي إلطافهم وافتقادهم وبِرّهمُ حتى حسبتُهُم أهلي

وتحتها مكتوب قول الحريري:

جزى الله مولًى قد نزلتُ بداره كما ينزل الضيفُ الموالي المواليا

فأسرفَ في برّي وأكرمَ جانبي وقرّب آمالي وأرضَى الأمانيا

فلو زاره ضيفُ المهلّب لم يقل "نزلت على آل المهلّب شاتيا"

فكتبتُ تحتهما من شعري بديهاً:

سقى الله داراً ظلتُ فيها منعَّماً ولا جادها في الدهر صوبُ المكارهِ

جنيتُ ثمار اللهو فيها محاوراً لمن لا يطيق الدهر إيلامَ جارهِ

مليكاً ترى صيد الملوك ببابهِ وكلّهمُ يَعشو إلى ضوء نارهِ

يؤجّجها بالعنبر الرطب ليلَه وبالعنبرِ الهنديّ طولَ نهارهِ

فلو زار مَغناه الحريريُّ لم يقلْ "جزى الله مولىً قد نزلت بدارهِ" (٩)

ومثل هذا كثير (١٠). ومثله في "بغية الطلب في تاريخ حلب"

هذا ما عدا قصائد ومنظومات في مدح الكتاب لا تجده في المراجع وبطون الكتب، وهو كثير أيضاً.

مثال ذلك ثناء طويل لابن أبي العز الحنفي على كتاب "مدارج السالكين "لابن القيم على الكتاب نفسه، نسخة المكتبة العثمانية بحلب.

الأخبار والآثار

أما الأخبار والآثار فكثيرة، مثال ذلك قول أحمد بن سلمة النيسابوري: وجدت على ظهر كتاب لي عن عبدالله بن عبدالله بن زياد القطواني قال: سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول:

انتهى العلم في زماننا هذا إلى أربعة: إلى أحمد بن حنبل وهو أفقههم فيه، وإلى يحيى بن معين وهو أكتبهم له، وإلى علي بن المديني وهو أعلمهم به، وإلى أبي بكر بن شيبة وهو أحفظهم له (١١).

وقال الإمام الذهبي: وجدت على ظهر كتاب عتيق: سمعت أبا عمرو، سمعت عشرة من أصحاب الجبائي يحكون عنه قال: الحديث لأحمد بن حنبل، والفقه لأصحاب أبي حنيفة، والكلام للمعتزلة، والكذب للرافضة (١٢).

وذكر صاحب "بغية الطلب" ٣/ ١٣١٦: فقلت من خط ابن الحداد صاحب ثعلب على ظهر كتاب ببغداد فيه أخبار الحارث المخزومي: قال أبو هفان: يروى أن الأحنف بن قيس لم يقل غير هذين البيتين:

فلو أن مالي مال كثير　　　لجدت وكنت له باذلاً
فإن المروءة لا تستطاع　　　إذا لم يكن مالها فاضلاً

تأريخ أحداث ووقائع

ولن تعدم فوائد أخرى تتعلق بالتاريخ والأحداث والوقائع مما يراه أو يسمعه ناسخ الكتاب أو مالكه أو مطالعه، فيكتب ما يشاء من ذلك على ظهر الكتاب وأوراق تسبق العنوان منه، وتنقل هذه المعلومات في مصادر تاريخية أيضاً.

قال في "بغية الطلب" (٣/ ١٢٢٥): قرأت بخط القاضي أبي الفضل هبةالله ابن القاضي أبي الحسن أو بخط غيره على ظهر كتاب "شعر المتنبي" – يعني ديوانه – نسخة القاضي أبي الحسن التي قرأها على محمد بن عبدالله بن سعد وخطه عليها ما صورته: صعد القاضي [أبو الحسن أحمد بن يحيى قاضي حلب] – خلصه الله – إلى القلعة يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ٤٤٠هـ، ونزل بحمد الله ومنته يوم الأربعاء الثامن من شعبان سنة ٤٤٢هـ، ولله على ذلك الحمد وخالص الشكر.

وكان والي حلب أبو علوان بن مرداس قد اعتقل أماثل الحلبيين، منهم القاضي المذكور.

وقال في ترجمة أبي محمد المعري القاضي (٥/ ٢٤٥٧): نقلت عن ظهر كتاب "الشروط" لأبي جعفر الطحاوي أظنه بخط أبي صالح محمد بن المهذب المعري: وصل القاضي أبو محمد الحسن بن عبدالكريم بن جعفر بن المهذب إلى سرمين مستهل شعبان من سنة ٤٦٣هـ وبيده تقليد القضاء بناحية سرمين وأعمالها، والعلامات السلطانية عليه، وهو مؤرخ في النصف من رجب.

يريد بالعلامات السلطانية علامة السلطان ألب أرسلان الملقب بالعادل ا.هـ.

وقد تدون أحداث ووقائع تمر بالناسخ كما قلنا، من ذلك ما كتبه محمد بن إبراهيم الحلواني الحصني (ت ١٠٥٣هـ) في آخر "جزء في تفسير الباقيات الصالحات" للعلائي، في ظهور طائفة من الخوارج البغاة يقال لهم السيمانية تعدَّى ضررهم إلى سائر البلاد... وكان ذلك سنة ١٠١٦هـ، وكيف أن العساكر السلطانية غلبهم، وقتل منهم خلائق لا تحصى... في خبر طويل (١٣).

وقد بحثت عن هذه الطائفة فلم أجدها في المصادر القريبة.

استفادة معلومات

المعلومات الجديدة كثيرة على طرر المخطوطات، وفيها ما لا تجده في الكتب والمراجع.

قرأت على طرة الجزء الثاني من "الإيضاح العضدي" نسخة مكتبة آيا صوفيا عناوين شروح له لم يرد بعضها في "كشف الظنون" ولا ذيله (١٤).

وينقل ابن أبي الوفاء القرشي في "الجواهر المضية في طبقات الحنفية" (١/ ٤٤٩) أسامي شراح "الجامع الصغير" لمحمد بن الحسن الشيباني مما رآه في "ظهر كتاب بخط بعض الفضلاء".

وذكر حاجي خليفة في تعريفه بكتاب "بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب السادة الأخيار من المشايخ الأبرار" لابن جهضم (ت ٧١٣هـ) وأول الكتاب ترجمة للشيخ عبدالقادر الجيلاني، قال حاجي خليفة: قال الشيخ عمر بن عبدالوهاب العرضي الحلبي في ظهر نسخة من نسخ البهجة: ذكر ابن الوردي في تاريخه أن في البهجة أموراً لا تصح ومبالغات في شأن الشيخ عبدالقادر لا تليق إلا بالربوبية (١٥).

و"مفتاح العلوم" متن مشهور جداً للسكاكي، عليه شروح وتعليقات وحواش كثيرة.

نقل حاجي خليفة من ظهر نسخة من "شرح الفتاح": أول من شرحه شمس الدين المعزى المتوفى؟ ثم الشيرازي، ثم ناصر الدين الترمذي... الخ (١٦).

و"المفاتيح في شرح حل المصابيح" لمظهر الدين الحسين بن محمود الزيداني ت ٧٢٧هـ.

ذكر حاجي خليفة أنه وجد في ظهر نسخة منه أن أوله مقدمة في اصطلاحات أصحاب الحديث وأنواع علومه.

ومن المعلومات الحديثة ما ورد من ذكر تلامذة لطاهر الجزائري كان لهم شأن، والفائدة منها تكمن في الاتجاه السياسي والنهضوي لدى هذا العلامة المشهور (ت ١٣٣٨هـ) الذي كان غامضاً إلا لدى تلامذته، بل كان يجتمع بهم سراً ولا يذكر مواقفه وآراءه في الدولة العثمانية إلا لمن يثق به، فكانت أعمالهم تدل على مدرسته.

فقد كتب أحدهم بالقلم الرصاص في آخر ورقة تسبق جدول الخطأ والصواب من كتاب "تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر" بقلم تلميذه محمد سعيد الباني (ت ١٣٥١هـ) المطبوع سنة ١٣٣٩هـ، وهذه النسخة محفوظة في مكتبة الملك فهد الوطنية:

جماعة ومدرسة الشيخ طاهر الجزائري: جمال الدين القاسمي، عبدالقادر بدران، أحمد التوبلاتي، عثمان الرتا، رشدي الحكيم، جميل الشطي، عبدالرحمن الشابندر، لطفي الحفار، محمد الحكيم، والد رشدي، عبدالباقي الحسني.

ومعلومة أخرى عن أحد المشهورين في مصر، فقد وجدت على الورقة التي تسبق الغلاف من الكتاب الذي أحدث ضجة وطُرد مؤلفه من الأزهر بسببه "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبدالرازق، الطبعة الأولى منه، ١٣٤٣هـ، نسخة محفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية، كُتب بخطٍّ مغربي:

كتب علي عبدالرزاق مقالةً في جريدة "السياسة الأسبوعية" المصرية الصادرة يوم السبت ٤ يونيو ١٩٢٧م قال فيها: "وللمراكشيين دين عنيف، وإيمان كإيمان العجائز، وللدين أحياناً بَلَهٌ وجنون إذا أوغلَ فيه صاحبُه بعنفٍ وجمود".

ومعلوم أن عليًّا هذا زار المغرب في أثناء تلك السنة ولم يتصل بأي أحد، تنفيذاً لتوصية الحكام المستعمرين الذين سمحوا له بهذه الزيارة على أساس توصيات!

تنبيهات

وقد يشكك كاتب في معلومة أو ينبه إلى خطأ، وينقل ذلك مما وجده على ظهر كتاب. مثاله:

قال الجرجاني في تاريخ جرجان (ص٢٤٣): رأيت كتاب الأربعين تصنيف أبي نعيم علدالملك بن محمد مكتوب على ظهر الجزء: لأبي سعد جيان بن عقبة بن محمد، ولا أعلم حدَّث هذا الرجل أو لا.

وكتاب "كشف الغوامض في الفرائض" لشمس الدين محمد بن محمد سبط المارديني، قال حاجي خليفة: ورأيت في ظهر "كشف الغوامض" أنه لمحيي الدين عبدالحميد بن عبدالسيد ابن خطيب المستنصرية (١٧).

تصحيح معلومة

كما ينقل السمعاني أيضاً من ظهور الكتاب في كتابه الأنساب. ففيه (٤/ ٣٩٧) مصححاً معلومة: غير أني رأيت على ظهر كتاب المسند للحماني الذي سمعناه من لفظه "الفلخاري" باللام، وهو أعرف بقريته.

وهو ردٌّ لمن قال إن اسم القرية "فرخار".

وقال ياقوت في معجم البلدان (٥/ ٣٦٥) حول "ودان" قرأت بخط كراع الهنائي على زهر كتاب "المنضد" من تصنيفه: قال بعضهم: خرجت حاجاً، فلما جزت بودّان أنشدت:

أيا صاحب الخيماتِ من بعد أرثدِ إلى النخل من ودان ما فعلت نعم

فقال لي رجل من أهلها: انظر هل ترى نخلاً؟ فقلت: لا، فقال: هذا خطأ، إنما هو النحل، ونحل الوادي جانبه.

ويرد اسم أبي عبيد الهروي "أحمد بن محمد بن محمد بن أبي عبيد العبدي المؤدب الهروي الفاشاني، صاحب كتاب الغريبين. قال ابن خلكان: هذا هو المنقول في نسبه، ورأيت على ظهر كتاب الغريبين أنه أحمد بن محمد بن عبدالرحمن. والله أعلم.

قال الصفدي: وكذا أثبته ياقوت في معجم الأدباء (١٨).

ونُقِلَ من ظهرِ نسخةٍ من كتاب "إصلاح المنطق"، قال أبو العلاء المعري: حدثني عبدالسلام البصري خازن دار العلم ببغداد وكان لي صديقاً صدوقاً، قال: كنت في مجلس أبي سعيد السيرافي وبعض أصحابه يقرأ عليه "إصلاح المنطق" لابن السكيت، فمضى بيت حميد بن ثور:

ومطويةُ الأقرابِ، أما نهارُها فَسَبْتٌ، وأما ليلُها فذميلُ

فقال أبو سعيد "ومطويةِ" أصلحه بالخفض، ثم التفت إلينا فقال: هذه واو رُبّ، فقلت: أطال الله بقاء القاضي، إن قبله ما يدلّ على الرفع، فقال: وما هو؟ فقلت:

أتاك بيَ الله الذي أنزل الهدى ونورٌ وإسلامٌ عليكَ دَليلُ

ومطويةُ الأقرابِ...

فعاد وأصلحه، وكان ابنه أبو محمد حاضراً، فتغير وجهه لذلك، فنهض لساعته ووقته والغضبُ يستطيرُ في شمائله إلى دكانه، وكان سمّاناً، فباعها واشتغل بالعلم إلى أن برع فيه وبلغ

الغاية، فعمل "شرح إصلاح المنطق". قال أبو العلاء: وحدثني مَنْ رآه وبين يديه أربعمائة ديوان، وهو يعمل هذا الكتاب! (١٩).

وألحق بالمجلد الأول من "بغية الطلب في تاريخ حلب" فوائد لغوية وتاريخية عديدة، معظمها بقلم كاتب مجيد، هو جمال الدين محمد بن محمد بن السابق، راوي التاريخ عن المقريزي وما كتبه على نسخته مما يفيد التصحيح: رأيت مشايخ الكتابة لا يشكلون الكاف إذا وقعت آخراً، ولا يكتبونها مجلَّسة، أما إذا وقعت أولاً في بعض الكلمة حشواً فإنهم يجلسونها ويشكلونها بردَّة الكاف....

فائدة أخرى: لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ويبتدأ بالمضاف إليه في السطر الثاني، كعبدالله، وأبي بكر، والمغاربة يفعلون ذلك، وليس بحسن (٢٠).

الوِجادة:

الوِجادة مصدر وَجَد، وهي أحد أنواع الحديث، بمعرفة كيفية سماعه وتحمله، ومثاله أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطِّه ولم يلقه، أو لقيه ولكن لم يسمع منه ذلك الذي وجد بخطه، ولا له منه إجازة ولا نحوها، فله أن يقول: وجدتُ بخط فلان، أو قرأت بخط فلان، أو في كتاب فلان بخطه: أخبرنا فلان بن فلان... أو يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان عن فلان.

هذا ما ذكره ابن الصلاح في مقدمته لعلوم الحديث (٢١). ثم قال: وهذا كله إذا وثق بأنه خط المذكور أو كتابه، فإن لم يكن كذلك فليقل: بلغني عن فلان، أو: وجدت عن فلان... وفصل في ذلك.

وذكر البلقيني في حاشيته على المقدمة أن هذا يقع كثيراً في مسند الإمام أحمد، حيث يقول ابنه عبدالله: وجدت بخط أبي: حدثنا فلان. ويذكر الحديث.

ثم بيَّن ابن الصلاح حكمه بعد إيراد أقوال في ذلك وقال: قطع بعض المحققين من أصحابه [يعني الإمام الشافعي] في أصول الفقه بوجوب العمل به عند حصول الثقة به... (٢٢).

قلت: وقد يقاس عليه ما إذا وجد حديثاً على ظهر كتاب بالشروط السابقة، إن كان بسند أو بغير سند، وشرط العمل به أن يجده في مصادر الحديث ويتأكد من صحته، وإلا فلا يعمل به.

وهذه أمثلة فيما وجده المحدِّثون على ظهور كتب وعالجوه.

في ترجمة مالك بن ثعلبة الأنصاري من "الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني (٥/ ٧١٦): قال أبو موسى:

وجدت على ظهر جزء من أمالي ابن منده بسنده إلى مقاتل بن سليمان... ثم ساق حديثاً ذكر ابن حجر أن فيه ضعفاً وانقطاعاً.

وحديث "تُبنى مدينة بين دجلة ودجيل" ذكر ابن عدي أنه منكر لا يروى إلا عن عمار هذا... كما ذكره العقيلي في الضعفاء وذكر له هذا الحديث، وأسند عن يحي بن معين قوله: سمعت يحي بن آدم يقول لنا: إنما أصاب عمار هذا على ظهر كتاب فرواه (٢٣).

ويعني عمار بن سيف الضبي.

وقال الإمام الذهبي في ترجمة محمد بن عبدالواحد بن الفرج الأصبهاني:

متهم بوضع الحديث. روى له الجوزقاني حديثاً موضوعاً ركبه على سندٍ رواتهُ منه براء، وكتبه على ظهر جزء فأخرجه.. (٢٤).

وهناك أحاديث تكتب للتذكرة لا لتروى، يستفيد منها راويها في مذكراته، فلا يجوز روايتها.

وقد وجد أبو زرعة حديثاً عند أحدهم فقال له: من أين لك هذا؟ قال: وجدته على ظهر كتاب ليوسف الوراق.

قال أبو زرعة: هذا الحديث من حديثي غير أني لم أحدث به. قيل له: وأنت تحفظ ما حدثت به مما لم تحدث به قال: بلى، ما في بيتي حديث إلا وأنا أفهم موضعه. (٢٥).

وقال أبو يعلى بن الفراء: وجدت على ظهر كتاب: رواه أبو الحسين السوسنجردي عن إسماعيل بن علي... عن أبي زرعة أنه قال: قال لي أحمد بن حنبل: ابني عبدالله محظوظ من علم الحديث أو من حفظ الحديث، لا يكاد يذاكرني إلا بما لا أحفظ. (٢٦).

قال ابن أبي أويس: وجدت في ظهر كتاب مالك: سألت مخرمة عما يحدث به عن أبيه سمعها من أبيه؟ فحلف لي: ورب هذه البنية – يعني المسجد – سمعت من أبي (٢٧).

والمقصود أبو المسور مخرمة بن بكير القرشي.

ومحاسبة طويلة على رواية حديث في ترجمة جرير بن عبدالحميد من تهذيب الكمال للحافظ المزي ٤/ ٥٤٨.

الإجازات

ومن باب التوثيق العلمي الذي يقيَّد به بعد التأكد منه: الإجازات الكثيرة الموجودة على ظهور الكتب، بروايتها أو ببيان سماع مضمونها وروايتها. وقد تدون إجازات طويلة لا يتسع له ظهر الكتاب، فتسجل في أوراق تسبق العنوان أو تليه.

ومن ذلك: إجازة للغوري من شيخه محمد بن حسن القتلفكندي في خاتمة "الخلاصة في أصول الحديث" للطيبي، نسخة مكتبة آيا صوفيا.

وذكر عن مغربي شهير يدرِّس كتاب "مغني اللبيب" فقصده الفناري، وأجازه بخطه على ظهر كتابه (٢٨).

ووجد على ظهر كتاب "الحجة" لأبي علي الفارسي بخطه إجازة للصاحب بن عباد (٢٩).

تحديد مواقع جغرافية

وممن استفاد تحديد مواقع جغرافية من ظهور الكتب العلامة ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان"، من ذلك قوله:

"بئر ميمون" : منسوبة إلي ميمون بن خالد بن عامر الحضرمي، كذا وجدته بخط الحافظ أبي الفضل بن ناصر على ظهر كتاب.

وقال في "صقلية": قرأت بخط ابن القطاع اللغوي على ظهر كتاب "تاريخ صقلية": وجدت في بعض النسخ سيرة صقلية تعليقاً عن حاشية: أن بصقلية ثلاثاً وعشرين مدينة، وثلاثة عشر حصناً، ومن الضياع ما لا يعرف (٣٠).

توجيهات مفيدة

وهناك توجيهات علمية مفيدة تأتي عن علم أو خبرة لا تكاد تجدها في بطون الكتب، أو أنها موجودة ولكن لا يعرف مصدرها، وهي مفيدة على كل حال...

مثاله ما وجد في أوراق بقلم ابن السابق على "بغية الطلب في تاريخ حلب":

فائدة ينبغي للمؤرخ حفظها والعمل بها: ينبغي للمؤرخ أن يقدم اللقب على الكنية، والكنية على العَلَم، ثم النسبة إلى البلد، ثم إلى الأصل، ثم إلى المذهب في الفروع، ثم إلى المذهب في الاعتقاد، ثم إلى العلم، أو الصناعة، والخلافة أو السلطنة، أو الوزارة، أو القضاء، أو الإمرة، أو المشيخة، أو الحج، أو الحرفة، كلها تقدم على الجميع، فتقول في الخلافة: أمير المؤمنين الناصر لدين الله، أبو العباس السامُرِّي، إن كان وُلد بسر من رأى، البغدادي، فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس، الحنفي الماتريدي، إن كان يتمذهب في الفروع بفقه أبي حنيفة، ويميل في الاعتقاد إلى أبي منصور الماتريدي، ثم يقول: القرشي الهاشمي.

ويقول في السلطنة: السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي — نسبة إلى أستاذه الملك الصالح — التركي، الحنفي، البندقدار، أو السلاح دار (٣١).

فوائد شتى

وهناك أمور أخرى قد لا توجد في الكتب، كفتاوى سمعها الناسخ أو دوَّنها من مصدر لا يعرف مطبوعاً، وينظر مثل هذا ما كتب في أوراق من "حاشية القاضي إبراهيم السحولي على الأزهار" المحفوظة بمكتبة الملك فهد الوطنية رقم ١٥٤١، وكذا "زبدة الأفكار" للنوشبادي (٣٢).

وفوائد شتى يكتبها ناسخ الكتاب أو مالكه، من رأيه في الكتاب، أو تعليقات عليه، أو تعريف بالمؤلف، نقلاً أو تحريراً،

وقد رأى حسن العطار اسم محمد مرتضى الحسيني وأنه قرأ وانتفع بكتاب "المجالسة وجواهر العلم" للدينوري نسخة دار الكتب بمصر، فذكر رأيه فيه وأن أكثر ما يكتبه فيه إيهام كما يشاء...الخ.

وفائدة معتبرة لعلها بقلم شيخ شافعي كبير هو ابن العماد الأقفهسي، حيث ورد في ظهر كتابه "القول التمام في آداب دخول الحمام" مصورتها بجامعة الكويت:

القاعدة أن ابن حجر وابن الرملي: إذا تعارضا فالمقدم قول ابن الرملي في بلاد مصر وابن حجر في بلاد الشام، والمعتمد قول ابن الرملي وإن كان ابن حجر أكثر علماً، لأن الرملي الكبير كان شيخ علماء مصر، وكان يحضره في درسه نحو مائة عالم، فلما توفي أجلسوا ولده مكانه ولازموا درس ولده، وأما ابن حجر فكان لا يحضر درسه إلا القليل من الناس.

وأخبار وأحوال، منها قول علامة الكويت الشيخ عبدالله الدحيان (ت ١٣٤٩هـ) أن الشيخ عبدالقادر بن أحمد بدران (ت ١٣٤٦هـ) عمل حاشية على الروض الربع، وأن الأخير أخبره بأنه عازم على إتمامها ولعل المنية حالت دونه... كتب ذلك على نسخة خطبة من الروض المربع المنسوخة سنة ١١١١هـ.

واستنتاجات رائعة للشيخ عبدالله الدحيان على "منتهى الإرادات" على نسخة محفوظة بمكتبة الموسوعة الفقهية بالكويت، منها قوله: اعلم أن الإمام أحمد لم يؤلف كتاباً مُستقلاً في الفقه، وإنما أُخذ مذهبه من أجوبته وتآليفه في غير الفقه، ومن أقواله وأفعاله والمقيس على كلامه...

وقام بجمع كتابات "الدحيان" من على ظهور الكتب وليد المنيس وأصدره في كتاب بعنوان "علامة الكويت الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان".

وهناك رسائل وتوصيات فريدة على ظهور مخطوطات شتى وأسماء نباتات وتجارب طبية... وغيرها، يستفاد منها في أعمال أدبية وعلمية.

أمور أخرى

وأمور أخرى، فيها نقد وبيان تبعث على التفكير والتحقيق، من ذلك ما قاله ياقوت الحموي أنه وجد على ظهر جزء من كتاب "تهذيب اللغة" لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري:

ابنُ دريدٍ بقرَهْ وفيه عُجْبٌ وشرَهْ
ويدَّعي بجهلِهِ وضْعَ كتابِ الجمهرَهْ

وهو كتابُ العينِ إلا أنه قد غيَّرَهْ

الأزهريُّ	وزَغَهْ	وحمقهُ	حُمقُ	دَغَهْ
ويدَّعي	بجهلِهِ	كتابَ	تهذيب	اللغَهْ

وهو كتابُ العين إلا أنه قد صبغَهْ

في	الخارزنجيِّ	بلَهْ	وفيه	حمقٌ	وولَهْ (٣٣)
ويدَّعي		بجهلِهِ	وضعَ	كتاب	التكملهْ

وهو كتابُ العين إلاأنه قد بدَّله (٣٤)

النتيجة

نصل إلى نتيجة أن عدداً كبير من الباحثين المعتبرين في تاريخنا الإسلامي، من أدباء ومحدِّثين ومؤرخين وجغرافيين، قد نقلوا معلومات وافرة مما وجدوه منها على ظهور الكتب والمخطوطات، بينها معلومات دقيقة تتعلق بالتراجم وتأريخ ميلادهم ووفاتهم وأنسابهم وبعض أحوالهم، وأخبار وآثار وأحداث ووقائع تاريخية، مع تنبيهات وتصحيحات وتوجهات مفيدة، وكتابة إجازات حديثية أو عامة أو خاصة بكتب معينة، وتحديد مواقع جغرافية لمدن وقرى وأماكن أخرى، وفوائد شتى.

ثم معرفة نوع من هذا التوثيق عُرف بالوجادة، وهو أحد المصطلحات الحديثة القديمة، بحث فيه نقاد الحديث ووضعوا له قواعد مفصَّلة.

توصية

إذا تبيَّن للقارئ الكريم من خلال الدراسة السابقة أن الفوائد المدوَّنة على ظهور الكتب والمخطوطات فيها إثراء للمعلومات ومجال للتوثيق العلمي وإمكانية الاستشهاد ببعضها وخاصة فيما يتعلق بالتراجم والتاريخ والنقد، وأنه تمت الاستفادة منها فعلاً بما نقله باحثون مختلفون منها، وأن منها ما لا يوجد في بطون الكتب، فإنه يتأكد تكملة أعمالهم الإبداعية

والتوثيقية هذه، بأن يجريد ما على هذه المخطوطات من فوائد ثم تصنف موضوعياً وتقدم للقارئ الباحث، فإنه يكون في ذلك خير كثير، وفائدة مؤكدة.

وهو عمل ليس بالمستحيل، وخاصة أن معظم المخطوطات صارت في مخازن محكمة يهتم بها حفظاً وفهرسة، وأنه يمكن لكل مكتبة أو مركز أن ينفر لهذا العمل باحثين وكتّاباً ماهرين عارفين بالخط وأخبار التراث، كل يجرّدِ ما عنده من مخطوطات، ويقدمها في أعمال جميلة رائعة، تزيد من الثقافة والعلم، وتكرِّس أخبار حضارة عالمية غاب عنها إشراقها.

(سبق نشره في مجلة الفيصل)

الهوامش

(١) التدوين في أخبار قزوين ٣/ ٣٦٧

(٢) ينظر هذا في "جزء فيه ذكر الطبراني" بتحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ١/ ٣٣٧، ٣٤٠.

(٣) تنظر في "الغرر على الطرر" لمحمدخير يوسف ٢/ ٢٥٤.

(٤) معجم الأدباء لياقوت ١/ ٣٥٢.

(٥) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٣/ ٥٣٤.

(٦) بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/ ١٧١٤.

(٧) المصدر السابق ١٠/ ٤٣٥٣.

(٨) تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٣٤٩.

(٩) الوافي بالوفيات ٤/ ٧١.

(١٠) ينظر أيضاً ٤/ ٢٥٨، ١١/ ٣٤، والغرر على الطرر ١/ ١٠١.

(١١) تاريخ مدينة دمشق ٦٥/ ١٨.

(١٢) النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/ ١٨٩.

(١٣) ينظر في "الغرر على الطرر" ١/ ٨٦ – ٧٨.

(١٤) تنظر في المصدر السابق ١/ ٣٦.

(١٥) كشف الظنون ١/ ٢٥٦.

(١٦) ينظر المصدر السابق ٢/ ١٧٦٣.

(١٧) كشف الظنون ٢/ ١٤٩٣.

(١٨) الوافي بالوفيات ٨/ ٧٦.

(١٩) وفيات الأعيان لابن خلكان ٧/ ٧٣.

(٢٠) تراجم في مقدمة الكتاب المحقق.

(٢١) ص ٢٩٢ — ٢٩٣ بتحقيق عائشة عبد الرحمن.

(٢٢) المصدر السابق ص ٢٩٢ — ٢٩٤.

(٢٣) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧/ ٣٥٢.

(٢٤) لسان الميزان ٥/ ٢٦٩.

(٢٥) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٣٣٣.

(٢٦) تهذيب الكمال ١٤/ ٢٨٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٥٢٠.

(٢٧) تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٢٧.

(٢٨) الشقائق النعمانية ١/ ١١٤، شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٣٢٤.

(٢٩) نوابغ الرواة ١/ ٦٣.

(٣٠) معجم البلدان ١/ ٣٠٢، ٣/ ٤١٧.

(٣١) هذه الفائدة موجودة في الوافي بالوفيات ١/ ٤٧. وتنظر مع غيرها من الفوائد في الغرر على الطرر ١/ ٥٠ فما بعد.

(٣٢) تنظر في الغرر على الطرر ١/ ١٣٥.

(٣٣) هو أحمد بن محمد البُشتي الخارزنجي (نسبه إلى خارزنج قرية بنواحي نيسابور). مات سنة ٣٤٨هـ. له: تكملة كتاب العين المنسوب إلى الخليل بن أحمد.

(٣٤) الوافي بالوفيات ١٣/ ٣٩١.

(٢)
الإكثار من التصنيف

شجع علماءُ الإسلامِ على التأليف بقصد نشر العلم والدين الحق، ومن باب الأجر الكبير عليه، فإنه ينتج منه وقف الكتب مثلاً، ويكون ذلك من الصدقة الجارية. وكان الإمام ابن الجوزي يفضل التأليف على المحاضرات ومجالس الوعظ، ويقول إنه بذلك يخاطب أقواماً وأجيالاً لم يولدوا بعد، كما حثَّ على كثرة التأليف في الإسلام أحد الأئمة الأعلام من باب إصابة الحق ونشره. ولمّا عوتب أحدهم على كثرة الكلام، قال لهم: أتسمعون حقاً أم باطلاً، قالوا: بل حقاً. قال: فإن الإكثار من الصواب خير، أو كما قال. والتأليف مثله.

وتاريخنا الإسلامي مليء بأعلام المصنفين، وقد تجاوزت مؤلفات بعضهم الخمسين والمئة والمئتين والألف، وأخبارهم في هذا تبعث على الفخر، كما تثير في النفس الاستفهام والتعجب، والسؤال عن سرِّ هذه الكثرة من المؤلفات؟

١. لنقل أولاً إن التأليف موهبة من الله تعالى، فلا يقدر كلُّ أحد أن يؤلف، وكثير من الناس لا تتجاوز مؤلفاتهم عدَّ الأصابع، وهؤلاء ربما ألفوا لمناسبة، أو للحصول على شهادة، أو لترقية، أو أنهم في موقع يطلب منهم أن يكتبوا في الموضوع، رأياً، أو تقريراً، أو تصويباً، وما إلى ذلك، وهناك أعلام كبار لم يؤلفوا كتباً، أو أنهم تركوا رسائل صغيرة، ويقول بعضهم عن سبب ذلك إن المؤلفات كثيرة، فلا حاجة لأن يؤلف، أو أنهم متفرِّغون لتربية الرجال وليس للتصنيف، وما إلى ذلك. والحقُّ أنهم لم يؤتَوا موهبة الكتابة، ولو أوتوها لما قدروا على الابتعاد عنها، فإن صاحب الموهبة يبرز موهبته بأي شكل كان.

٢. الصبر أدب مهم في العلم، وخاصة في التأليف، فإن هناك مسائل عويصة تُبحث، وتحتاج إلى تثبت وإحاطة بجوانب الموضوع، وهذا يحتاج إلى جهد ومثابرة ومتابعة، وإلى شهور أو سنوات. وإذا تحولت المهمة إلى موضوع جديد لم يُبحث من قبل، أو

إلى موسوعة، أو جمع شتات علوم، فإنها قد تتطلب رحلة العمر. والتاريخ يحتفظ بأسماء كثير من المصنفين لهم قصص مؤثرة وبعضها نادرة عن مؤلفاتهم، بحثتها في كتاب "دوافع البحث والتأليف عند المسلمين"

٣. الاستمرار والمثابرة، يعني المتابعة، فلا يدَعُ المصنِّف مجالاً للكسل واليأس يدخل نفسه فيوهنها عن المتابعة، ولا تضعف همَّته، ولا يخبو وميض فكره، بل يدَعُ قلمه يسيل، ويتعهده في كل مرة. أذكر من ذلك حكمة أو نصيحة استفادها الإمام الشوكاني من أحد مشايخه، عندما ذكَّره بأن لا يدع الكتابة في حياته ولو كتب في اليوم سطراً، فإنها بعد سنوات تكثر وتجتمع وتتكامل...

٤. التفرُّغ للعلم، يعني أن تجعله همَّك الأول وشغلك الشاغل، فإنك إذا لم تعطه كلَّك لم يُعطك بعضه. وقد أنجز كثير من الأعلام كتباً صارت مراجع علمية على طول التاريخ، فكان هؤلاء أوفياء للعلم، وما كانوا يدَعون شيئاً يؤثِّر سلبًا على سيرتهم العلمية من أعراض الدنيا وزينتها، وما كانوا يهتمون بالأطعمة والملابس والمساكن الفاخرة، بل همهم تحصيل العلم والإفادة. ومن نوادر هذه الأخبار أن أبا الوفاء بن عقيل (صاحب أضخم كتاب في تاريخنا، هو كتاب الفنون) يذكر من أحواله العلمية أنه كان يسفُّ الكعك بدل مضغ الخبز، لأنه أسرع مضغاً، مما يوفِّر عليه وقتاً للمتابعة والكتابة!

٥. الانعزال عن الناس والتعلق بالعلم وحده، كما فعل الإمام السيوطي، فإنه كان لا يجيب حتى طلب السلطان، فوفِّق في التأليف، حتى كان أكثر الناس تأليفاً في التاريخ...

ولا يعجبنَّ القارئ من ذلك، ولا يقل إنه صعب وشيء مستحيل، فإنه يوجد حتى في عصرنا من يكتب يومياً مقالاً، بل مقالين لصحيفتين، إضافة إلى مقالات أسبوعية، وأخرى شهرية، ويؤلف كتباً، مع مسؤوليات أخرى، إدارية واجتماعية.

(٣)
مستدرك على كتاب
"المكثرون من التصنيف في القديم والحديث"

كتاب "**المكثرون من التصنيف**" الذي صدر للكاتب عام ١٤٢١هـ أحصى فيه مؤلِّفُه جهودَ مَن ألَّف مائة كتاب أو أكثر، حتى الألف كتاب، بل أكثر، وكذلك من صنَّف الكتب الضخمة بما يوازي هذه الأعداد.

وقد جعل ترتيب أعلامه على الطبقات، ذاكرًا اسم المؤلف، وسنة وفاته، وتعريفًا موجزًا به، وإحصاءً مؤلفاته، مع فوائد وغرائب تتعلق بهذا الشأن.

وخصَّص فصلاً فيه إطلالةٌ على الغرب، عن المكثِرين منهم في التصنيف كذلك، وخاتمة توصَّل فيها إلى أن ستة من علماء الإسلام زادت مؤلَّفاتهم على الألف كتاب، ثم جداول مرتَّبة حسب أعداد الكتب المؤلفة، وكشافًا عامًّا بالمؤلِّفين، وآخر خاصًّا بأصحاب المصنَّفات الكبيرة.

وقد ذكر المؤلف في المقدِّمة أنه فاته ذكرُ بعض المؤلفين حسب شرط الكتاب، وقد امتثل للطبع، ثم إنه تجمَّعت لديه استدراكات جديدة، وتعقيبات مفيدة، وملاحظات على ما كتب، يفيد بيانها القارئ والباحث، وقد يكتمل بها جوانب البحث عامة، ورتب مسرد مؤلِّفيها على حروف المعجم، يعقبها ذكر بعض الأجانب، بينهم مستشرقون، مع توثيق كل معلومة من مصدرها، والله الموفِّق.

• إبراهيم أحمد السامرائي (ت ١٤٢٢هـ)، لُغوي علامة، من العراق، معروف بأبحاثه اللُّغوية وتعليقاته وتحقيقاته، عددتُ له (٩٧) كتابًا، وله غيرها، إضافة إلى ما هو مخطوط.

• إبراهيم بن عمر البقاعي، أبو الحسن (ت ٨٨٥هـ)، عالم شافعي كبير، نبغ في علوم ومعارف عديدة، ونُعت بكثرة التأليف وجودته، عدَّد له باحث معاصر (٩٣) كتابًا، مُبيِّنًا المطبوع منها وغير المطبوع، وأماكن وجودها[1].

---

[1] مقدمة التحقيق لكتاب "الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة"، للبقاعي، تحقيق سامي بن علي العمري – مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤١٩هـ – ماجستير.

• إحسان عباس (معاصر)، ذكر في ص (٦٨) أن له أكثر من (٧٠) كتابًا، وله ما يقرب من المائة، ما بين تأليف وتحقيق وترجمة[٢].

وقد عددتُ له من الكتب (٢٦) تأليفًا، و(٥٣) تحقيقًا، و(١٢) ترجمة، و(٢) تحريرًا، والبحوث العلمية والمقالات النقدية (٦٤)، ومراجعات الكتب (١٤)[٣].

• أحمد جاب الله شلبي (ت ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م)، المؤرخ الإسلامي الموسوعي المعروف، من مصر، له أكثر من (١٠٠) كتاب؛ أشهرها:

موسوعة التاريخ الإسلامي (١٠ مج).

موسوعة الحضارة الإسلامية (١٠ مج).

المكتبة الإسلامية لكل الأعمار (١٠٠ مج).

مقارنة الأديان (٤ مج).

• أحمد جمعة الشرباصي (ت١٤٠٠هـ)، عالم وخطيب أزهري جليل، ذكر في المصدر أدناه أن مؤلفاته تربو على (٧٥) كتاب، وفي موضع آخر منه أنها تربو على الـ (١٠٠) كتاب[٤].

• أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، يضاف إلى ما ذُكر له في ص (٤٥) – ذكر الباحث شاكر محمود عبدالمنعم في كتابه "ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته"[٥] – أن السخاوي لم يستوعب كل مصنفاته، ثم عدَّد له (٢٨٢) كتابًا بالتوثيق، و(٣٨) منسوبة إليه.

• أحمد بن العياشي سكيرج (ت ١٣٦٣هـ)، من رجال الثقافة البارزين بالمغرب، زادت تأليفه على (١٤٠) كتابًا، غير أن أكثرها في الطريقة التيجانية، يدافع عنها بقلمه ولسانه ولا يكترث بالمعترضين[٦].

• أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ)، فقيه باحث من مصر، درس في الأزهر ومات بمكة، له تصانيف كثيرة؛ منها "تحفة المحتاج لشرح المنهاج"، و"الفتاوى الهيتمية"،

---

[٢] العلمانية والممانعة الإسلامية/ علي العميم، ص ٢٧٥.

[٣] ذكره في آخر كتاب "بحوث ودراسات في الأدب والتاريخ"، إحسان عباس – بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢١هـ.

[٤] مجلة الأزهر ذو القعدة ١٤٠٠هـ، ص١٤٤٩، وذو الحجة ١٤٠٠هـ ص١٧٤٠.

[٥] بغداد: وزارة الأوقاف، ١/٢٧٤.

[٦] التأليف ونهضته بالمغرب، عبدالله الجراري، ص ٤٢.

و"شرح مشكاة المصابيح للتبريزي"، و"الزواجر عن اقتراف الكبائر"، عدَّدتْ له باحثةٌ معاصرة (١١٧) كتابًا[٧].

• أحمد بن محمد بن الخياط الزركاري (لعله معاصر)، من صدور علماء المغرب في شتى ميادين العلم، بلغت مؤلفاته نحو الـ (١٠٠)[٨].

• أنستاس الكرملي (ت ١٣٦٦هـ)، يضاف إلى ما ذكر في مؤلفاته: عددُ مؤلفاته (١٤) كتابًا فقط، عدَّدها له كوركيس عواد، لكن مقالاته كثيرة، ولو أنها جُمِعت لقام منها عشرة مجلدات ضخام على أقل تقدير[٩].

• أنور الجندي (ت ١٤٢٣هـ) الكاتب الإسلامي الموسوعي، يضاف إلى ما ذكر عنه في ص (٦٩): ترك (٢٠٠) كتاب، وأكثر من (٣٠٠) رسالة، بينها موسوعات.

• أنيس منصور (معاصر)، ذكر في ص (٦٩) أنه عُدِّد له (١٦٠) كتابًا، وقد عُرِّف به في "الإثنينية" ١٦/٢١٥، وأن مؤلفاته وترجماته تزيد عن (١٧٠) كتابًا في مختلف الفنون.

• أبو بكر جابر الجزائري (معاصر)، الواعظ في المسجد النبوي الشريف، أفيد على ظهر رسالة له بعنوان "رسالة أخوية تقدم لإخوة الإسلام الشيعة"، أن له أكثر من (١٠٠) مؤلَّف.

• تاج الدين بن منهاج الدين الصديقي الجهونسوي الإله آبادي (ت ١٠٣٠هـ)، من الهند، أحد المشايخ المشهورين، قرأ الكتب المطولة ودرس الطب، صنف الرسائل في معرفة النباتات والحيوانات، وكتابًا في الطب سَمَّاه "تاج المجربات" وهو في (١٠٠) كراسة، وله مصنفات أخرى في الفقه والسلوك والتصوف والنحو[١٠].

• جمال البنا (معاصر)، من مصر، مهتم بشأن العمل والعمال، وهو أخو الإمام حسن البنا، له نحو (١٠٠) كتاب.

• جمال الدين بن ركن الدين العمري الجشتي الكجراتي (ت ١١٢٤هـ)، من مشايخ الهند المشهورين، كان محسنًا كثير التعبُّد، اشتغل بالدرس والإفادة، وصنف الكتب الكثيرة، عُدِّد

---

[٧] ابن حجر الهيتمي المكي وجهوده في الكتابة التاريخية/ عياء أحمد شافعي – مكة المكرمة: جامعة أم القرى – دكتوراه.

[٨] التأليف ونهضته بالمغرب ص ٥٥.

[٩] مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ع ٢٣ ١٩٤٨م ص ٦٠٨ – ٦١٦.

[١٠] علماء العرب في شبه القارة الهندية، يونس إبراهيم السامرائي، ص ٤١٧.

من مصنفاته (١٤٢) كتابًا، وله ديوانان في الشعر الفارسي، ومن عناوين كتبه: "حاشية شرح الكافية للجامي"، و"تفسير مختصر"[١١].

• حامد ربيع (ت ١٤١٠هـ)، حقوقي من القاهرة، ترك نحو (١٠٠) مؤلَّف؛ منها: الإسلام والقوى الدولية، الدعاية والصِّهْيَوْنِية[١٢].

• أبو الحسن علي الحسني الندوي (ت ١٤٢٠هـ)، الإمام العالم الكبير، الذي طبقت شهرته الآفاق، مدير دار العلوم بلكنو، ذكر السامرائي أن مؤلفاته بلغت (٣٠٤) كتابًا (حتى حدود ١٤٠٠هـ)، إضافة إلى المقالات والبحوث القيمة التي نشرت في مجلة "البعث الإسلامي" وغيرها[١٣]. وذكرت مجلة "الفيصل"[١٤] أن عدد مؤلفاته بلغ أكثر من (٧٠٠) عنوان، منها (١٧٧) عنوانًا بالعربية، وقد ترجمت أغلب هذه المؤلفات إلى الإنجليزية وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية، ولعل أشهر كتبه هو "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين".

وقد صدر كتاب يضم قائمة بمؤلفاته باللغة العربية بلغت (١٧٦) عنوانًا[١٥].

• حسين بن أبي القاسم الحسيني السلمي اليزدي الحائري (ت بعد ١٣٥٨هـ)، ولادته بالنجف، قيل: إن له ما يقرب من (٢٠٠) مؤلف؛ منها: أسرار الصلاة، تعيين الفرقة الناجية، الدراية في علم الحديث[١٦].

• حسين بن محمد القبَّاني (ت ١٤٠٤هـ)، أديب، مترجم، من مصر، له كتب عديدة، لعلها (١٠) تأليفًا، وترجم نحو (١٠٠) كتاب[١٧].

• خيري حسني حماد (ت ١٣٩٢هـ)، كاتب، مترجم، من نابلس، عاش في عمَّان وبيروت، وأخيرًا في القاهرة، بلغ ما طبع له (١٢٦) كتابًا؛ منها (٢٦) تأليفًا، وسائرها مترجم[١٨].

---

[١١] المصدر السابق ص ٤٧٤.

[١٢] ذيل الأعلام/ أحمد العلاونة، ص ٦٤.

[١٣] علماء العرب في شبه القارة الهندية ص ٧٠٩.

[١٤] في العدد ٢٨١ ص ٣٢.

[١٥] وهو من إعداد محمد طارق زبير الندوي – لكنو: مطبعة حمراء، ١٤١٩هـ ذكرته مجلة الأدب الإسلامي في العدد ٣٠ ص ١٠٦.

[١٦] المسلسلات في الإجازات للمرعشي ٢/٣٨٠.

[١٧] ذيل الأعلام ص ٧٤.

[١٨] موسوعة أعلام فلسطين ٣/٥٨ ط٢.

• رشدي فكار (ت ١٤٢١هـ)، عالم اجتماع، ومفكر إسلامي على مستوى العالم، من مصر، ينتسب بالعضوية إلى أكثر من (٤٢) جمعية دولية أكاديمية ومؤتمر عالمي، تناقلت أفكاره وتحليلاته في مشكلات العصر وطرح أفكار جديدة وإبراز الإسلام بديلاً وحلاً لأزمات العالم كله، ورُشِّح لجائزة نوبل منذ عام ١٣٩٦هـ، تربو مؤلفاته على (١٤٠) بين مؤلَّف وبحث ودراسة، وهذا منذ سنة ١٤٠٧هـ، ومعظمها بالفَرنسية والإنجليزية[١٩].

• سعد علي صائب (ت ١٤٢٠هـ)، أديب، كاتب، مترجم، مصنِّف مكثر، من دير الزور بسورية، بلغت مؤلفاته أكثر من (١٢٠) كتابًا، تُرجِم بعضُها إلى عدة لغات، بينها كتب أطفال مترجمة[٢٠].

• عباس بن علي الكهنوي (ت ١٣٠٦هـ)، عالم من كبار الأدباء، درس في المدرسة السلطانية، لقَّبه ملك أوده بـ"تاج العلماء"، انصرف إلى الدرس والإفادة والتأليف، بلغت مؤلفاته – ما بين صغير وكبير – (١٥٠) كتابًا؛ منها: ديوان رطب العرب، معراج المؤلفين[٢١].

• عبدالرحمن بدوي (ت ١٤٢٣ هـ)، الفيلسوف المصري، تصل مؤلفاته إلى نحو (١٥٠) كتابًا[٢٢]، وقد عددتُ له (١٢٢) منها، بين تأليف وتحقيق وترجمة.

• عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، يلاحظ فيما أوردته من إحصاءات مؤلفاته (ص ٤٨ فما بعد) ما قاله الأستاذ يحيى ساعاتي في بحث بعنوان: "مشكلة العنوان في مؤلفات السيوطي وأثرها في اضطراب إحصاء عددها بين الدارسين"؛ حيث ذكر أن مؤلفاته قد تزيد على (٥٠٠) عنوان، وأن القول بأن عددها يزيد على ذلك من (٦٠٠) إلى (١٠٠٠) فيه مبالغة نتجت عن مسببات أوردها، والتي من أهمها احتساب مجموعة صيغ لعنوان واحد واعتبارها عدة عناوين[٢٣].

---

[١٩] من مقدمة كتاب: "د. رشدي فكار، المفكر الإسلامي العالمي في حوار متصل حول مشاكل العصر"، خميس البكري – القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٧هـ.

[٢٠] الأسبوع الأدبي سورية، ع ٧١٤، ١٤٢١/٣/٢١هـ.

[٢١] علماء العرب في شبه الجزيرة العربية ص ٧٧١.

[٢٢] المجتمع، ع ١٥١٣، ص ٥٣، وفي موسوعة أعلام العرب المبدعين ١٣٥/١: فاقت كتبه المائة، بين موضوعة ومُعرَّبة أو محققة.

[٢٣] ينظر: الإمام جلال الدين السيوطي: الاحتفاء بذكرى مرور خمسة قرون على وفاته/ إعداد المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم، ١٤١٦هـ، ١٣٥/١.

• عبدالله محمد الحبشي (معاصر)، كاتب، باحث، محقق، من اليمن، عدَّد لنفسه (١٠٠) كتاب بين تأليف وتحقيق، من بينها (٢٥) تحت الطبع[٢٤].

• عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، الأديب العالم المشهور، صاحب "عيون الأخبار"، وغيره من الكتب، قال الإمام النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": ولابن قتيبة مصنفات كثيرة جدًّا، رأيتُ فهرسَها ونسيتُ عددَها، أظنها تزيد على ستين في أنواع العلوم.
بينما نقل ابن تيمية في كتابه "تفسير سورة الإخلاص" قول صاحب "التحديث بمناقب أهل الحديث" أنه له زهاء (٣٠٠) مصنف[٢٥].

• عبدالملك بن محمد الثعالبي، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، الأديب العلامة، صاحب "يتيمة الدهر" وغيره من الكتب المشهورة، ذكر له الصفدي في "الوافي بالوفيات" (٧٠) عنوانًا، وفي العصر الحديث عدَّد له باحثٌ (١٠٦) عنوان، وذكر له آخر (٩٥) عنوانًا، وثالث (١٠٤) عنوان، ورابع (١٢٥) عنوانًا[٢٦].

• عزيز نسين (ت ١٤١٦هـ)، كاتب علماني متشدِّد، من تركيا، يعدُّ أكثر كتَّاب تركيا إنتاجًا؛ حيث قدم نحو (١٠٠) كتاب[٢٧].

• علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، محدِّث جليل وإمام كبير، ولد في برهانبور، ونزل مكة وتوفي بها، أفرد العلامة عبدالقادر بن أحمد الفاكهي تأليفًا في مناقبه سَمَّاه "القول النقي في مناقب المتقي"، ومؤلفاته كثيرة نحو (١٠٠) مؤلَّف ما بين صغير وكبير؛ منها "البرهان في علامات المهدي آخر الزمان"، "الوسيلة الفاخرة في سلطة الدنيا والآخرة"[٢٨].

• علي الوردي (ت ١٤١٦هـ)، من العراق، من أبرز علماء الاجتماع في الوطن العربي، له ما يقرب من (١٠٠) مؤلف[٢٩].

---

[٢٤] في آخر كتاب: يوميات صنعاء/ يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي قام بتحقيقه.
[٢٥] عيون الأخبار ١٦/٤، ١٨، طبعة دار الكتب المصرية.
[٢٦] ينظرُ مقدمته تحقيق كتاب "آداب الملوك" للثعالبي، بتحقيق جليل العطية.
[٢٧] الفيصل، ع ٢٢٦، ص ١٢٤.
[٢٨] علماء العرب في شبه القارة الهندية ص ٣٣١.
[٢٩] الفيصل، ع ٢٢٦، ص ١٢٣.

• أبو الفضل بن الرضا البرقعي (ت ١٤١٣هـ)، عالِم مُتبحِّر، من قُم، سُجِن وعُذِّب في عهد الشاه، وفي عهد الثورة الإسلامية بسبب عقيدته السُّنية، وإصراره على الجهر بها، ودعوته إليها قلمًا ولسانًا، تعرَّض لمحاولة اغتيال في بيته وهو يصلي فدخلت رصاصة في فكه الأيمن وخرجت من الأيسر، ذكر مُترجِم كتابه "كسر الصنم" - وهو نقض لأصول الكافي للكليني - أن له مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل، وأورد له في ترجمته بآخر الكتاب أكثر من (٨٥) كتابًا.

• محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، صاحب المذهب، الإمام الشهير، له مؤلفات كثيرة، أوصلها بعض العلماء إلى نحو (٢٠٠) جزء؛ [شذرات الذهب ٢/١٠]، وأوصلها بعضهم إلى (١١٣) كتابًا في التفسير والفقه والأدب وغير ذلك؛ [تهذيب الأسماء واللغات ١/٥٣]، وأسماؤها مسرودة في مناقب الشافعي للبيهقي ١/٢٤٦ - ٢٥٩، توالي التأسيس ص ٧٨، الفهرست لابن النديم ص ٢٦٤، معجم الأدباء ١٧/٣٢٤.

• محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، يضاف إلى ما قيل في مؤلفاته (ص ٥٤ - ٥٥)، في مقدمة التحقيق لكتاب الصنعاني "إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة"[٣٠]، عدَّد له محقِّقُه محمد صبحي حلاق (١٢٨) كتابًا.

• محمد رواس قلعجي (معاصر)، باحث شرعي أكاديمي موسوعي، قدَّم للمكتبة (٦٩) كتابًا مطبوعًا وأكثر من (١٧٠) بحثًا، أشهر إنتاجه العلمي:

سلسلة موسوعات فقه السلف في (١٦مج).

وسلسلة التراث الطبي الإسلامي (علم الكحالة) في (١٢ مج)، (بالاشتراك مع آخرين).

والموسوعة الفقهية الميسرة لغير المختصين في أكثر من (٤٠٠٠ ص).

ومعجم لغة الفقهاء، وسلسلة القصص الديني للأطفال[٣١].

• محمد زكي بن إبراهيم الخليل الشاذلي (ت ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م). عالم، فقيه، داعية، رائد العشيرة المحمدية بمصر، له أكثر من (١٠٠) كتاب ورسالة في العلوم الدينية، وترك مئات البحوث والفتاوى والمقالات والخطب والدروس، بعضها مكتوب وبعضها مسجَّل[٣٢].

---

[٣٠] الصادر عن دار ابن حزم في بيروت عام ١٤٢٠هـ.

[٣١] العلمانية والممانعة الإسلامية ص ٥٥.

[٣٢] مجلة الأزهر شعبان ١٤١٩هـ ص ١٢٦٣.

• محمد السعيد بن بسيوني زغلول (معاصر)، باحث، جَمَّاعة، مُفهرِس محقق، من مصر، له فضل في تحقيق كتب كبيرة، وعمل فهرسًا شاملاً لأطراف الحديث النبوي الشريف الذي صدر في (١١ مج)، وأتبعه بذيل في (٤ مج)، وحقق كتبًا أخرى عديدة، منها العبر وذيوله للذهبي، وشعب الإيمان للبيهقي، وغيرها.

• محمد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، عددت له سابقًا (١٧٥) كتابًا ورسالة (في ص٧٢)، وحتى وفاته عددت له (١٦٤) رسالة أو كتابًا زيادة على السابقة.

• محمد صالح بن فضل الله الحائري المازندراني السمناني (ت ١٣٩١هـ)، ذكرو أن له أكثر من (٣٠٠) كتاب ورسالة في الفقه والأصول والتفسير وغيره، وهو من علماء الشيعة (آية الله)، من إيران[٣٣].

• محمد عاشق إلهي البرني (ت ١٤٢٢هـ)، عالم موسوعي، من أعلام ديوبند، استقر في المدينة المنورة وبها توفي، له مؤلفات عديدة تجاوزت الـ (١٠٠) كتاب، وترجم بعضها إلى (٧) لغات أو أكثر، منها تفسير للقرآن الكريم بالأردية[٣٤].

• محمد عبدالحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ)، عالم، مُحدِّث كبير، من الهند، عاش (٣٩) سنة، ومع ذلك بلغت مؤلفاته (١٢٩) تأليفًا بين رسالة صغيرة وكتاب في مجلدات، في مختلف العلوم والفنون[٣٥].

• محمد بن علي بن عربي (محيي الدين) (ت ٦٣٨هـ)، يضاف إلى ما ذكر من مؤلفاته في ص (٣٥)، له فهرس مؤلفات كتبه بقلمه حققه كوركيس عوَّاد، وذكر أنه تضمن أسماء طائفة كبيرة من مؤلفاته لم يرد ذكرها في سواه من الرابع، قال: وعثرت على أسماء مؤلفات كثيرة لابن عربي لم يذكرها هو في رسالته هذه...، اشتملت الرسالة على ذكر (٢٤٨) كتابًا، واستدرك هو عليها (٧٩) من تأليفه، فكان المجموع (٥٢٧) كتابًا ورسالة.

قلت: ويؤخذ في الحسبان أن هناك كتبًا تنسب إليه وليست له، ولا يعرف مؤلفوها.

---

[٣٣] المسلسلات في الإجازات ٢/٤١٧.

[٣٤] المجتمع، ع ١٤٨١، ٨ شوال ١٤٢٢هـ، ص ٥٧.

[٣٥] ذكره صلاح محمد سالم أبو الحاج في مقدمة تحقيقه لكتاب "المنهج الفقهي" للكنوي.

• محمد إلمامي الشمشوي (ت ١٢٨٢هـ)، عالم كبير من موريتانيا، يذكر ذَوُوه أن آثارَه العلمية تقدر بنحو (٤٠٠) كتاب[٣٦].

• محمد بن محمد الحجوجي (ت ١٣٧٠هـ)، من أعلام التصوف بالمغرب، أخبر أحد أفراد الطريقة التيجانية أن له أكثر من (١٠٠) كتاب[٣٧].

• محمد بن محمد الخانجي البوسنوي (ت ١٣٦٤هـ)، عالم من سراييفو، تخرَّج في الأزهر، درَّس اللغة العربية والعقيدة والفقه، وهو صاحب الكتاب المشهور "الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة"، بلغ عدد مؤلفاته أكثر من (٣٠٠) مؤلف، منها كتب مستقلة، ومنها رسائل كبيرة وصغيرة[٣٨].

• محمد بن محمد الفارابي (ت ٣٣٩هـ)، يضاف إلى ما ذكر عن مؤلفاته في ص (٢٥)، بلغت مؤلفاته المخطوطة (١١٥) مؤلفًا باستثناء المشكوك فيه الذي بلغ (٦) كتب[٣٩].

• محمد بن محمد بن النعمان العكبري، الملقَّب بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، من أعلام الشيعة، له قريب من (٢٠٠) مصنف أو أكثر، وذكر له (١٥٥) مؤلفًا في كتاب صدر فيه[٤٠]، منها[٤١] في الحديث، و(٤) في التاريخ، و(٥) أصول الفقه، و(١٢) في علوم القرآن، و(٤١) في الفقه، و(٩٠) في علم الكلام.

• محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ/ العالم الموسوعي الشهير، صاحب "تاج العروس" و"إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين"، يضاف إلى ما قيل في مؤلفاته (ص ٩٢): أورد له محقق تاج العروس الأستاذ عبدالستار أحمد فراج (١٠٧) مؤلَّفًا، وذكر أنها مستمدة من كلام المؤلف نفسه ومصادر أخرى.

وذكر له جميل أحمد[٤٢] (٦) كتب مطبوعة، و(٢٩) مخطوطة، و(٧٤) مجهولة.

---

[٣٦] بلاد شنقيط: المنارة والرباط/ الخليل النحوي، ص ٥٣٦.

[٣٧] التأليف ونهضته بالمغرب ص ٢١١ الهامش.

[٣٨] أبرز الاتجاهات العقدية لدى مسلمي البوسنة والهرسك/ زهدي عادلوفيتش – الرياض: جامعة الإمام – دكتوراه ٥٧٤/٢.

[٣٩] مؤلفات الفارابي/ حسين علي محفوظ وجعفر آل ياسين – بغداد: وزارة الإعلام، ١٣٩٥هـ.

[٤٠] بعنوان: حياة الشيخ المفيد/ حسن الأمين وغيره – ط٢ – بيروت: دار المفيد، ١٤١٤هـ.

[٤١] في ص ١٤٢ من كتاب: حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي.

[٤٢] في ص ١٤٢ من كتاب: "حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي".

• محمد المصطفى بن محمد فاضل، وهو المشهور بلقب "ماء العينين" (ت ١٣٢٨هـ) عالم شنقيطي شهير، له (١٢٥) مؤلفًا[٤٣].

• محمد منظور النعماني (ت ١٤١٧هـ) عالم وداعية سلفي تخرج من جامعة ديوبند، ألف نحو (١٠٠) كتاب ما بين صغير وكبير، تُرجِم عددٌ منها إلى كثير من اللغات العالمية[٤٤].

• محمد موفق سليمة (معاصر، مواليده ١٣٧٠هـ)، من دمشق، حاصل على إجازة في اللغة العربية من جامعتها، درَّس أكثر من (٢٠) عامًا، وأمَّ المصلين في الرياض، له أكثر من (٤٠٠) عمل أدبي ما بين قصة وحكاية وديوان شعر ومسرحية للأطفال، أبرزها: تفسير البراعم المؤمنة[٤٥].

• محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، يضاف إلى ما ذكر في ص (٧٣) من مؤلفاته: عدَّد له الكاتب عبدالله بن محمد الشمراني (٢٣١) كتابًا ورسالة، من مطبوع ومخطوط ومفقود، ما عدا أشرطة وردود ومحاضرات ومناقشات، فُرّغ بعضها وأصبحت كتبًا متداوَلة[٤٦].

• محمد بن ناصر العبودي (الرحَّالة الإسلامي المعاصر)، يضاف إلى ما قيل في كتبه (ص ٧٣): عدَّد لنفسه (٨١) كتابًا مطبوعًا، بينها (٦٥) كتابًا في الرحالات، و(٨٢) كتابًا آخر ما زالت مخطوطة، كلها في الرحلات[٤٧]، وذكر في مقدمة كتاب آخر له أنه الرقم (١٢٢) من كتب الرحلات التي كتبها لبيان أحوال المسلمين[٤٨].

• محمد نواوي البنتني (ت ١٣١٤هـ)، فاضل من مكة المكرمة، أصله من أندونيسيا، كان منكبًّا على التأليف بجانب التعليم، حتى بلغت مؤلفاته في شتى العلوم حوالي (١٠٠) كتاب، منها تفسير القرآن المسمى "التفسير المنير لمعالم التنزيل"، طبع عام ١٣٠٥هـ[٤٩].

---

[٤٣] بلاد شنقيط ص ٢٤٦، ٥٦٤.

[٤٤] مجلة الداعي، الهند، ع٢، ١٤١٨هـ، ص ٢٠.

[٤٥] مجلة الأسرة، ع ٧٦، رجب ١٤٢٠هـ، ص ٥٠.

[٤٦] عددها في كتابه "ثبت مؤلفات المحدث الكبير محمد ناصر الدين الألباني"، الذي صدر عن دار ابن الجوزي في الدمام سنة ١٤٢٢هـ.

[٤٧] في كتابه "تائه في تاهيتي، الذي صدر عام ١٤٢٠هـ.

[٤٨] كتابه "بلغاريا ومقدونيا" الذي صدر عام ١٤٢٢هـ.

[٤٩] سير وتراجم بعض علمائنا في القرن الرابع عشر للهجرة/ عمر عبد الجبار، ص ٣٢٥ ط٢.

• محمد يحيى بن سيد بن سليمة الدواودي اليونسي (ت ١٣٥٤هـ). عالم جليل من بلاد شنقيط، انكب على اختصار المصنفات، وكان يميل إلى الاجتهاد، خلَّف ما يربو على (١٦٠) تأليفًا[٥٠].

• محمود شيت خطاب (ت ١٤١٩هـ)، الكاتب العسكري الإسلامي البارز، اللواء الركن، من الموصل، أُقصِي من منصبه وسُجِن وعُذِّب؛ لأنه وقف في وجه الشيوعية، ولم يمكنهم من التصرف في منطقة عمله.

أورد له كوركيس عواد في "مصادر التراث العسكري" (١٧٦) أثرًا وعملاً من مقال وبحث وكتاب مطبوع، وعدَّد له يوسف بن إبراهيم السلوم (١٠٠) كتاب وبحث مع تفريعات أخرى وجداول في كتاب عنه[٥١].

وقال عبدالعزيز العسكر: بلغت كتبه وبحوثه المطبوعة والمخطوطة أكثر من (٤٠٠) كتاب وبحث سخَّرها جميعًا لخدمة الدين واللغة والتراث، وإبراز سيرة عظماء المسلمين وقادتهم الأولين وفنون العسكرية الإسلامية[٥٢].

• محمود فوزي (معاصر)، صحفي من مصر، كتابه "اغتيال النساء: السياسة تقتل المرأة في مصر"، هو الرقم (١٠٠) من مؤلفاته[٥٣].

• المختار السالم بن علي التندغي (لعله معاصر)، من موريتانيا، له (١٠٠) مؤلَّف[٥٤].

• ممدوح إسماعيل حقي (ت ١٤٢٣هـ)، كاتب وباحث موسوعي، دبلوماسي، من دمشق، تجوَّل في بلدان عديدة، ترك أكثر من (٩٠) مؤلفًا[٥٥].

• منير عبدالحفيظ بعلبكي (ت ١٤٢٠هـ)، الكاتب والناشر والمترجم المعروف، صاحب "قاموس المورد"، الذي يقع في (١١ مج)، تبلغ أعماله نحو (١٠٠) كتاب[٥٦].

---

[٥٠] بلاد شنقيط ص ٥٢٨.

[٥١] بعنوان: اللواء الركن محمود شيت خطاب: سيرته ومؤلفاته – الرياض: مكتبة العبيكان ط١: ١٤١٢هـ؛ ط٢: ١٤١٤هـ.

[٥٢] من أعلامنا/ عبد العزيز العسكر – الرياض: المؤلف، ١٤٢٠هـ، ٢٢١/٢.

[٥٣] صدر عام ١٤٢٠هـ.

[٥٤] بلاد شنقيط ص ٢٤٦، ٦٠٩.

[٥٥] مجلة الرافد ع ٥٩ يوليو ٢٠٠٢م ص ٧٤.

[٥٦] موسوعة أعلام العرب المبدعين ١٦٨/١.

• أبو الوفاء ثناء الله الأمرتسري (ت ١٣٦٨هـ)، شيخ الإسلام في الهند، بلغ مجموع مؤلفاته (١٣٣) كتابًا، بينها (٣٢) في الرد على الآرية، و(٣٦) في الرد على القاديانية[٥٧].

• يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠هـ)، عالم زيدي صنعاني مجتهد، كان مرجعًا في زمنه، عدَّد له كاتب زيدي (١٠٩) من الكتب والرسائل[٥٨].

وعدَّد له محقِّق كتاب "يوميات صنعاء في القرن الحادي عشر"، (بهجة الزمن)[٥٩]، للمترجم له، محققه عبدالله بن محمد الحبشي، عدد له (١٢٢) مؤلَّفًا لا يزال أكثرها قابعًا في مكتبة جامع صنعاء وبخطه.

• يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، الكوفي النَّحوي، صاحب الكسائي، لَمَّا أملى "معاني القرآن" اجتمع له الخلق، فكان من جملتهم ثمانون قاضيًا، ذكر الحافظ الذهبي أن تواليفه (٣٠٠٠) ورقة[٦٠].

ومن المؤلِّفين الأجانب:

• آسترِيند ليندغرين، كاتبة أطفال سويدية، بلغ ما كتبته مائة قصة وكتاب، ترجمت غالبيتها إلى (٧٦) لغة[٦١].

• أرنست يونجر، أحد أكثر كتَّاب ألمانيا غزارةً في إنتاجه، قدم ما يقارب مائة كتاب ورواية[٦٢].

• أسيموف، كاتب أمريكي، ألف (٣٠٠) كاتب.

• باربرا كارتلاند (ت ١٤٢١هـ)، الروائية البريطانية، ربما تعتبر الأغزر إنتاجًا في العالَم بين الروائيين؛ إذ كانت تكتب روايتين كل شهر، حتى زاد عود مؤلفاتها على (٧٠٠) كتاب، عدا المساهمات الصحافية والأدبية![٦٣]

---

[٥٧] صوت الأمة مجلة الجامعة السلفية ع ١١ ١٤٢١هـ ص ٦.

[٥٨] في "أعلام المؤلفين الزيدية" ص ١١١١.

[٥٩] صدر عن المجمع الثقافي بدبي عام ١٤١٦هـ.

[٦٠] في سير أعلام النبلاء ١٠/١٢٠.

[٦١] الشرق الأوسط، ع ٨٢٣٠، ١٤٢٢/٣/١٨هـ.

[٦٢] الفيصل ع ٢٥٩ ص ١١٨.

[٦٣] الفيصل ع ٢٨٥ ص ١٣٥.

• فرانشيسكو غابرييلي (ت ١٤١٦هـ)، مستشرق إيطالي، ألَّف ما يزيد على (١٥٠) بحثًا وكتابًا، من أبرزها "ألف ليلة وليلة في الثقافة الأوروبية، عالم الإسلام"[٦٤].

خاتمة:

الرقم القياسي في هذه القائمة بين المؤلفين الجدد، وهم الذين لم يذكروا في الكتاب السابق، يأتي:

• أولهم العلامة أبو الحسن علي الحسني الندوي، الذي بلغت مؤلفاته أكثر من (٧٠٠) عنوان، منها (١٧٧) عنوانًا لمؤلفاته بالعربية، التي ليست لغته الأصلية.

• يتلوه عالِمٌ كبير من موريتانيا اسمه محمد المامي الشمشوي، الذي ذكر "ذووه" أن آثاره العلمية تقدر بنحو (٤٠٠)، هكذا، وهو ليس توثيقًا علميًّا، وكلام "الأذواء" في مثل هذا لا يخلو من تهويل، ثم إن الـ(٤٠٠) هذه قد يكون بينها القصيدة والفتوى وما إلى ذلك.

• ثم يأتي محمد بن محمد الخانجي البوسنوي، ومحمد صالح بن فضل الله الحائري، الذي ذكر أن لكليهما أكثر من (٣٠٠) كتاب.

- أما من الأجانب فقد مرَّ أن "باربرا" كارتلاند زادت مؤلفاتها على (٧٠٠) كتاب! وذكر في المصدر نفسه أن مستواها في معالجة القصص فنيًّا كان ضعيفًا؛ وذلك للسرعة التي كانت تكتب بها، لكن مؤلفاتها ترجمت إلى كثير من اللغات الحية، وبلغت مبيعاتها أكثر من مليار نسخة! وعُمِّرت (٩٩) عامًا.

(نشر في مجلة الفيصل ع ٣٢٦، ص٢٢-٢٩، لعله سنة ١٤٢٣هـ).

[٦٤] الفيصل، ع ٣١٤، شعبان ١٤٢٣هـ، ص ١١٥.

ثانيًا: الكتب

(١)
حديث في الكتب

(أ)
الكتاب في القرآن الكريم

ورد لفظ "الكتاب" معرَّفًا بـ"ال" في القرآن الكريم (٢٣٠) مرة.

وبالتنكير "كتابًا" (١٢) مرة.

ومقترنًا بضمائر "كتابنا، كتابه، كتابي..." (١٣) مرة.

وبالجمع "كُتب، كُتبه" (٦مرات).

ويُطلق الكتاب في القرآن الكريم ويُراد به عدة معان، هي:

١- بمعنى "**القرآن**"، كما في الآية الثانية من سورة البقرة {**ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ**} أي: هذا القرآنُ لا شكَّ أنه نزلَ من عند الله.

٢- وبمعنى "**التوراة**"، كقوله تعالى: {**وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [سورة البقرة:٥٣] أي: أعطَينا موسى التوراة: كتابًا منزَّلاً وحجَّةً يُفَرِّقُ بين الحقِّ والباطل.

٣- وبمعنى "**الإنجيل**"، من ذلك قوله سبحانه في كتابه الكريم على لسان عيسى عليه السلام: {**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**} (سورة مريم: ٣٠).

أي: فتكلَّمَ عيسى عليه السَّلام وقال: إنِّي عَبدُ اللهِ – وسُبحانَ مَنْ جعَلَ هذا أوَّلَ كلامِهِ- قضَى ربِّي أنْ يؤتِيَني الإنجيل، ويَجعلَني نبيًّا.

٤-وبمعنى **الكتب السماوية**، كما في قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} (سورة البقرة: ٢٨٥).

تفسيرها: إنَّ الرسولَ محمَّداً صلى الله عليه وسلم والمؤمنونَ كلَّهم آمنوا إيماناً شاملاً كاملاً، فآمَنوا باللهِ الواحدِ الأحَد، وآمَنوا بملائكتهِ الذين ذَكرهم ورسولُه، وآمَنوا بما أُنْزِلَ مِنْ كُتب، وآمَنوا بالرسُلِ جميعاً، وليسَ ببعضِهم كما فعلَ اليهودُ وغيرُهم.

والآيات في مثل هذا كثيرة، كقولهِ عزَّ مِن قائل: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ} (سورة آل عمران: ٨١).

٥-و"**أهل الكتاب**" يعني الذين نزلت عليهم الكتب السماوية، من اليهود والنصارى خاصة، كما في قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} [سورة البقرة: ١٠٩] إي: إنَّ كثيراً من اليهودِ والنصارَى يتمنَّوْنَ لو قدَروا على أنْ يُعيدوكم إلى الكفرِ كما كنتم، وأنْ يَسلبوا منكم هذا الخيرَ الذي هُدِيتُم إليه؛ حسداً وحقداً من نفوسِهم.

والمقصود بقوله تعالى"{فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} [سورة النساء:٥٤]، المقصود بالكتاب هنا **جنسه**، والمراد به التوراة والإنجيل، أو هما والزبور. أفاده الآلوسي في "روح المعاني".

ومثله قول الكريم المتعال: {وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ} (سورة الرعد: ٣٨).

والمقصود أن الكتُبَ المنزَلةَ مِنْ عندِ اللهِ تَختلفُ أحكامُها، لأنَّها شُرِعتْ حسَبَ أحوالِ الناسِ وأزمانِهم، وقد نزَلتْ في أوقاتٍ متفاوِتة، ولكُلِّ وقتٍ كتابٌ يناسِبُه.

ويفهم من الآيتين أن المقصود "**الكتب السماوية**"، سواء جاء لفظ الكتاب مفردًا أو جمعًا، وقد جُمع هذا في قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً**} [سورة النساء: ١٣٦].

٦-وبمعنى "**الوحي**" عمومًا، فإن الكتب السماوية وحي، كما في قوله تعالى: {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ**} (سورة الحج: ٨)

"ولا كتاب منير" أي، من غير وحي مُظهرٍ للحقّ (روح المعاني)، و: بلا نقل صحيحٍ صريح (تفسير ابن كثير).

٧- ويأتي بمعنى **الكتاب** نفسه، يعني القطعة المكتوبُ عليها، ويعني **الصحيفة**، كما قال عزَّ وجلّ: {**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**} (سورة الأنبياء: ١٠٤).

أي: في يومِ القيامةِ نَطوي السَّماءَ كطَيِّ الصَّحيفةِ لِمَا كُتِبَ فيها.

قال ابنُ كثير رحمه الله، بعد إيراد أقوال وروايات في معناها: الصحيح عن ابن عباس أن السجلَّ هي الصحيفة... ونصَّ على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

وفي إضافة السجلِ إلى الكتب قال الآلوسي رحمه الله: أي كطيِّ السجلِّ كائنًا للكتب، أو الكائن للكتب، فإن الكتبَ عبارةٌ عن الصحائفِ وما كُتبَ فيها، فسجلُّها بعضُ أجزائها، وبه يتعلَّق الطيُّ حقيقة.

٨- وقوله تعالى: {**وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَهُ**} (سورة البقرة:٢٣٥)، قال علماء التفسير، كما أورده لهم ابن كثير: حتى تنقضي العِدَّة.

وتفسير مفردات الآية كما ذكره الآلوسي رحمه الله: أي: ينتهي ما كَتبَ وفرضَ من العِدَّة.

ويعني أن الكتاب هنا بمعنى "**المكتوب**" أو "**المفروض**"، وهو كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (سورة البقرة: ١٨٣). فـ"كُتِبَ" هنا بمعنى **فُرِض**.

وكذلك الصلاة، فهي كتاب، أي **فَرض**، كما في قوله عزَّ وجلَّ: {إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً} [سورة النساء: ١٠٣]

أي: إنَّ الصَّلاةَ مفروضةٌ على المؤمنينَ ومحدودةُ الأوقات، لا يجوزُ إخراجُها عن أوقاتها.

ومثله قول العليم الحكيم: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ} [سورة النساء: ٢٤]. أي: هذا التحريمُ كتبَهُ اللهُ عليكم (أي: **فرَضَهُ**) فالتَزِموا شَرْعَه.

وتفسير الآية، كما في "الواضح في التفسير" للكاتب: ويَحْرُمُ عليكمُ الزَّواجُ بالنِّساءِ ذواتِ الأزواج، إلاّ ما مَلكتُموهنَّ بالسبي، فيجوزُ لكم وَطؤهنَّ ولو كان لهنَّ أزواجٌ في دارِ الحرب، بعدَ استبرائهنّ، وهوَ انقضاءُ عِدَّتهنّ، لأنَّ بالسَّبي يَرتفِعُ النكاحُ بَينهنَّ وبينَ أزواجِهنَّ السابِقين.

وهذا قريب أو مطابق للمعنى المراد من قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً} (سورة آل عمران: ١٤٥)، أي: لا تموتُ نفسٌ إلا إذا قدَّرَ الله لها ذلك، أجَلاً مرسومًا، في الوقتِ المحدَّدِ لها، بدونِ تقديمٍ ولا تأخير. فيكون معنى "كتابًا" هنا: "**فرْضًا**".

٩-وقريبٌ من ذلك أو بمعناه، قول ربِّنا تبارك وتعالى: {لَّوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة الأنفال: ٦٨].

أي: ولولا **حُكمٌ** منَ اللهِ في اللَّوحِ المحفوظ، بأنْ لا يعذِّبَ قوماً قبلَ تقديمِ ما يبيِّنُ لهم أمراً أو نَهياً، لأصابَكم فيما أخذتُموهُ منَ الفِداءِ منَ الأسرَى عَذابٌ كبير.

فـ"كتاب" هنا بمعنى "**حُكم**"، وهو الأمر الذي فرضَه.

ومثله قوله سبحانه: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ} (سورة الروم: ٥٦).

أي: قالَ لهم العلماءُ مِن المؤمنين: لقد بقيتُم في قضاءِ اللهِ وحُكمِهِ مِن يومِ خَلْقِكم في الدُّنيا إلى يومِ البَعث.

١٠- و"الكتاب" يأتي بمعنى "**الأجل**" نفسه، وإن جاء مقرونًا به في آيات سابقة، كما في قوله عزَّ وجلَّ: **{وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ}** (سورة الحجر: ٤).

أي: ما أوقَعنا العذابَ بأهلِ قريةٍ أو مدينةٍ مِنَ المدنِ إلاّ بعدَ إنذارِهم، وانتهاءِ المدَّةِ التي ضُرِبَتْ لهم، لا يُنسَى أجَلُهم ولا يُغْفَلُ عنه، بل هو معلومٌ مُقدَّرٌ عند اللهِ في اللَّوحِ المحفوظ.

١١- ويأتي الكتاب في القرآن الكريم بمعنى "**اللوح المحفوظ**"، مثالهُ قوله سبحانه: **{وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}** (سورة يونس: ٦١).

ومعناها: ما يَغيبُ عن ربِّكَ وَزنُ ذَرَّة، عالياً كانَ في السَّماء، أو أسفلَ في الأرض، وأصغرَ من ذلكَ أو أكبر، وكلُّ ذلك مُثبَتٌ في **اللَّوحِ المحفوظ**.

ويقال للوح المحفوظ "الكتاب" و"أمُّ الكتاب"، أي: أصل الكتاب، كما في قول ربِّنا سبحانه: **{يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}** (سورة الرعد: ٣٩).

١٢- ويمكن أن يقال إنه يأتي بمعنى "**الوثيقة**" أو "**الحجَّة**" و"**الدليل**"، وإن كان اعتباره يعود إلى "جنس الكتاب"، أي يكونُ من عند الله، كما في قول ربِّنا تبارك وتعالى ردًّا على الكفار الذين قالوا إن الملائكة بنات الله – تعالى الله -: **{فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}** (سورة الصافات: ١٥٧).

أي: فَأتُوا بحجَّتكم تكونُ دليلاً على ما تدَّعون، إذا كنتُم صادقين فيما تقولون، فإنَّهُ لا يعلمُ خَلقَ الملائكةِ إلاّ الله.

وقد فسَّره قتادة بقوله "عذركم"، كما أورده له السيوطي في "الدرِّ المنثور" عند تفسير الآية.
والعذر: الحجَّة.

١٣- ويُطلَقُ الكتاب ويُرادُ به "**صحف الأعمال**" التي فيها أعمالُ العباد، وهذ ورد في أكثر من آية، منها قول الربِّ سبحانه: **{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا}** (سورة الكهف: ٤٩).

تفسيرها: ووُضِعَتْ صَحائفُ الأعمالِ في أيدي أصحابِها، وفيها كلُّ ما قالوهُ وعَمِلوهُ في الدُّنيا، كبيرًا كانَ أو صَغيرًا، وترَى الكفرَةَ المجرمينَ خائفينَ مذعورينَ ممّا في كتابِهم منَ الجرائمِ والمنكَراتِ والذُّنوبِ العِظام، وهم يقولونَ مُتعَجِّبينَ ومُتَحَسِّرين: يا وَيلَنا وهَلاكَنا، ما شَأنُ هذا الكِتابِ لا يَترُكُ ذَنبًا صغيرًا ولا كبيرًا إلاّ وسجَّلَه؟!
ومثله قوله عزَّ مِن قائل: **{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ}** (سورة الحاقة: ١٩).
أي: فأمَّا مَنْ أُوتيَ صَحيفةَ أعمالهِ بيدهِ اليُمنَى، فيَفرَحُ بفَوزهِ ويقول: خُذوا واقرَؤوا ما في صحيفتي، فإنِّي مِنَ الفائزين.

١٤- وصحفُ الأعمال **سجلُّ أعمالهم**، وورد في ذلك قوله سبحانه في سورة المطففين: **{كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ}** (الآية ٧).
أي: كلاّ لتَطفيفِهم وغفلَتِهم عنِ البعثِ والحِساب، إنَّ سجِلَّ أعمالِ الكفَّارِ في "سِجِّين"، فليَرتَدِعوا.

١٥- ويأتي الكتاب بمعنى **المكاتبة**، كما ورد في قول ربِّنا: **{وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ}** (سورة النور: ٣٣).

أي: والذين يُريدونَ أن **تُكاتِبوهم** منَ العَبيد، بأنْ يُعطوكم قَدْرًا مِن المال ليَتحَرَّروا، ولهم صَنعَةٌ أو قوَّةٌ على الكَسْبِ يَستطيعونَ به أنْ يؤدُّوهُ إليكم، فاسمَحوا لهم بذلك. وساعِدوهم فيه، وأعطُوهم ممّا أعطاكمُ اللهُ منَ الرِّزق، ليَكونَ عَونًا لهم على تحريرِهم.

١٦- وبمعنى **الرسالة، أو الخطاب**، كما قال سليمان عليه السلام للهدهد: **{اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ}** (سورة النمل: ٢٨).

أي: اذهَبْ برسالتي هذهِ إلى ملِكَةِ اليمن وقومِها وألْقِها إليهم.

وجوابها: **{قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ}** (سورة النمل: ٢٩).

أي: قالت لمِنْ حولَها مِن أصحابِ الرأي ووجهاءِ القوم: أيُّها السَّادةُ والأُمراء، لقد أُلقِيَتْ إليَّ رِسالةٌ مختومة، عاليةٌ وقَديرةٌ في شكلِها ومضمونِها!

(ثم توسعت فيه، وأصدرته في كتاب بعنوان: الكتاب في كتاب الله تعالى).

(ب)
الكتاب والعزلة

نصح الشيخ طاهر الجزائري أحد تلامذته بما معناه: إذا لازمتَ الكتابَ آثرتَ العزلة.

وفي هذا القول نصيب كبير من الحقيقة، ذلك أن استفادة الإنسان من الكتاب أسرع وأشمل، والوقوف فيه على ما يرغب من العلوم آكد، وأقول: هذا بعد قراءة العلوم الأساسية، والدراسةُ فيها على أهل العلم والمشايخ يثبتها أكثر، فإنها تعطي مجالاً للمناقشة والشرح... والعلم يزيد بين اثنين.

لكن طالب العلم (منهوم) لا يشبع، فلا تجد أحداً يقتصر في تعلمه على العلماء، بل لابدَّ له من روافد يسقي بها جوانب نفسه العطشى، التي لا تكاد تهدأ للبحث عما هو مجهول عنها، وطلب المزيد من المعلومات...

وعلى مدى الأيام والشهور والسنوات تتشكل لدى المرء مكتبة، فيها أنواع الكتب التي اطلع عليها وهمَّش فيها وعلَّق عليها، وتصير جزءاً من حياته، وذاكرة حية في مسيرته، منذ شبابه وأول طلبه العلم، ثم مرحلة البحث والتحري، ثم المزيد من العلم، والتخصص.. ثم الركون إلى العزلة للبحث والتأليف، أو القراءة والمطالعة، مع صديق العمر.. الكتاب.

وحالات الناس ليست كلها مثل بعض، فمنهم من يكون شديد التعلق بالكتاب، حتى إنه لا يفارقه في حلِّه وترحاله، ولا يضعه من يده إلا عندما يأكل أو يصلي أو يعمل، ويصبح أنيسه الذي لا يفارقه، ولا يحبُّ أن يصرفه عنه صارف، وتعلقه به يعني الاستغناء عن الأصدقاء، والتنقل بين رفوف المكتبة بدل التنقل بين الأهل والأحباب.

ويرى في الكتاب كلَّ شيء في الحياة، فهو متعته الحقيقية، وبستانه الذي يقطف منه الثمار، ووسيلة مواصلاته التي تأخذه إلى أنواع المعارف والشعوب والبلدان، بحنان وعشق ولهفة، ويحافظ عليه، وينمي مكتبته، ويجلِّد النفيس منها، الغالية على قلبه، ولا يحب مغادرتها.

وأظن أن أمثال هؤلاء أصبحوا قلة في عصرنا، فإن الحياة والعمل لم تدع مجالاً للعزلة كما هي معروفة قديماً، فالمرء لابدَّ أن يعمل، وعمله يطول ستَّ ساعات وثماني وأكثر في اليوم، ويلتقي

بالناس، من زملاء ومديرين ومراجعين، وقد يلزمه السفر والتسوق والقيام بمهام خارجية... فلا تكون العزلة إلا للشيوخ الكبار الذين تقاعدوا عن العمل وهناك من يكفيه مؤونته وترتيب معيشته.

وآخرون من محبي الكتب يكونون في مجالات أقلَّ من العزلة... لكنهم جميعًا يتعجَّبون من أناس لا يقرؤون، أو لا توجد عندهم مكتبة، أو لم يفكر أحدهم في يوم من الأيام أن يشتريَ كتابًا واحدًا، سواء وجدت وسائل أخرى للمطالعة والتعلم أم لا، فالمهمُّ عنده الكتاب، بورقه وغلافه، وخطِّه وشكله.

(ج)
هل تغيَّر مفهوم الكتاب؟

الإحصاءاتُ التي تُظهِرُ قلَّةَ اهتمامِ المسلمين بالكتاب،
ينبغي أن يُعادَ فيها النظر،
فالهدفُ من العمليةِ القراءة،
لا الكتابُ بعينه،
كما أن مفهومَ الكتابِ تغيَّرَ في هذا العصر،
فلا يشترطُ أن يكونَ بين غلافين،
ولا حاجةَ لأنْ يكونَ ورقيًّا.
والقراءةُ من مجلةٍ كالقراءةِ من كتاب،
والاستماعُ إلى محاضرةٍ علميةٍ كقراءةِ جزءٍ كبيرٍ من موضوعها،
ومشاهدةُ فيلمٍ وثائقيّ أفضلُ من القراءة،
والاستعانةُ بأيّ وعاءٍ من أوعيةِ المعلوماتِ للاستفادةِ والثقافةِ يفي بالمطلوب،
ولو لم يكنْ من بينها الكتاب،
فالاطِّلاعُ الهادفُ على الشابكةِ كقراءةِ كتابٍ في الرحلاتِ أو غيرها،
والتواصلُ الاجتماعيُّ من خلالِ الفيس والتويتر لا يخلو من قراءةٍ ممتعةٍ ومفيدة.
وهذا موجودٌ بين المسلمين ربما أكثرَ من غيرهم،
لأنه متاحٌ لهم بدون تكلفةٍ تذكر،
والكتابُ يكلِّفُ الشابَّ الذي لم يتزوَّجْ بعدُ،
والرجلَ الذي يكدحُ لعيالهِ صباحَ مساء،
ولو كانت ظروفُ المسلمين مشجِّعةً لما كان قومٌ أو شعبٌ يغلبهم في القراءةِ وصنعةِ الكتاب،
كما تشهدُ حضارتهم بذلك،
من كثرةِ ما يحثُّ دينهم على العلمِ والمعرفة.

(د)
وقف الكتاب

الوقف أحد أبواب الخير التي فتحها الله لعباده، وشرعه لهم ليؤجروا عليه، وهو أبرز أنواع الصدقات الجارية، فإنه يفيد صاحبه حياً وميتاً، ويأتيه الثواب الجزيل وهو في القبر، وتدرُّ عليها الحسنات وقد انقطع عن الدنيا، ولكن لم تنقطع أعماله الخيرة، فيكون وكأنه ما زال يعمل وينتج، ويدعو ويفيد ويتصدَّق.

ومن ذلك وقف الكتاب، الذي يعتبر أجلَّ ما يوقف من الأمتعة والعروض؛ لما يُنتظر منه الثواب الجزيل، فإنه وسيلة للتعلم والتثقيف، فيُتعلَّمُ به، ويُنشَر ما فيه، والذي تلقّاه يستفيد منه ويفيد به. وهكذا ينتشر العلم والخُلق والدين، فتزداد الحسنات، وتكثر إلى درجة عظيمة، لا يعلم حجمها إلا الله تعالى؛ وبذلك تُعرف فضيلة وقف الكتاب، التي انتشرت منذ القرون الأولى في الإسلام، بوقف المصاحف أولاً، ثم الكتب الدينية، من علوم القرآن والتفسير والحديث، والعقيدة والسلوك، ثم الكتب اللغوية والتاريخية وما إليها، بل أُوقفت مكتبات بكاملها، وفيها من كنوز العلم الكثير، وبها حُفظت لنا كتب لم توجد في غيرها، أو نسخ نادرة لمؤلفيها، أو لتلاميذهم المقربين، أو نسخ نفيسة لسلاطين ووجهاء وأكابر، فصارت بعد الاستفادة منها تحفاً وآثاراً يُفتخر بها.

ومن المؤسف أن تقلَّ هذه السنَّة الحسنة في عصرنا، وقد كانت كثيرة في عهد أسلافنا، وقد نشأتُ في بلدة كبيرة لم أعرف فيها شيئاً اسمه "الوقف" لا متاعاً، ولا بيتاً، ولا كتاباً، ولا حتى مصحفاً!

والسبب في هذا هو انتشار الثقافات القومية والحزبية والعلمانية التي لا تأبه بالدين وتوجيهاته الحسنة، فكان الدين يضعفُ شيئاً فشيئاً تحت ظلِّ النظام العلماني والحزبي، وأهله يُبعَدون عن الساحة العلمية والمسؤولية التربوية المؤثرة. كما قلَّ الوقف في معظم المناطق والبلدات الأخرى، وما بقي منه معروفاً هو لشخصيات مسلمة من القرون الماضية القريبة، وقد تكون كتباً موزعة في مساجد ومراكز ومكتبات عامة.

ويحسن بنا بعث هذه الفضيلة الجليلة من جديد، في ظلِّ ما يرتجى من حريات ومناصب لأهل العلم والدين، ليعود للكتاب نفعه المستمر، وللمكتبة نشاطها وثراؤها العلمي، وتكون هناك مكتبة وقف في كل بلد.

(هـ)

إهداءات الكتب

ملاحظات ونماذج

إهداء الكتاب يشغل عادة أول صفحات الكتاب بعد العنوان، ولذلك يقع عليه عين كل قارئ، يمرُّ عليه بعينيه وبدافع من قلبه ليعرف المهدَى إليه، وأسلوب المهدي، ويتحسَّس عمق كلماته وصداها في جوانبه، وكأنه يلامس شيئًا خفيًّا في نفسه.

وعادة ما يستجمع الكاتب أجمل الكلمات وألطفها، وأبلغها وأعمقها، ليُهديها لمن يحب، ممن له يدٌ عليه، من أساتذة وأصدقاء، أو أهل وأحباب، أو فئات أو أوطان..

أو أنه يحب شيئًا ويؤثره، وقد أخذ بمجامع قلبه، فيريد أن يُشعر الآخرين به بكلِّ قوة وبيان، ليشاركوه في تفكيره واهتمامه، في جدِّه وهزله، وفي فرحه وترحه.

وصار الإهداء يُكتب على كل صنف من الكتب، ولو كان رسالة جامعية، أو بحوثًا معمَّقة ومحكَّمة، بل صارت تصدر بأسماء المهدَى إليهم فقط! مثل: بحوث ودراسات مهداة إلى الأستاذ فلان.

وطلبتُ من ناشر أن يكتب عبارة ارتضيتها على كتاب لي فتثاقل، وقال: الإهداءات عادة تُكتب على كتب (رومانسية)! يعني الأدبية والعاطفية.

وكان الكتاب في خصائص الإعلام الإسلامي، فأهديته "إلى والدي الذي ربَّاني على قول الحقّ"، ورأيته مناسبًا جدًّا، لما يُرَى في الساحة الإعلامية من تضخيم وتزوير وكذب وافتراء وتضليل، ولِما يجب أن يكون عليه الإعلامي الإسلامي في رسالته المكلَّف بها في الحياة.

وأول كتاب ألَّفته أهديته لأستاذي وشيخي الذي تعلمت منه آداب ديني، ولكن تفاجأت عند صدور الكتاب بحذفه من قبل الناشر!

وكان مناسبًا أيضًا؛ وفاءً وتقديرًا من طالب علم لأستاذه.

والحديث في هذا يطول.

والذي رأيته في بعض الإهداءات هو خصوصيات أسرية جانبية لا ينبغي أن تُعلن هكذا، وخاصة في الرسائل العلمية، بل نصيبها في كتب أخرى، أو أواخر المقدمة على الأقل، إذا كان لابدّ.

وكلمات أخرى من مؤرخين وأدباء كبار يهدون كتبهم بإعجاب لا مثيل له إلى أحفاد صغار مازالوا يلثغون، ويصفونهم بأوصاف كبيرة، تدلُّ على تحكم العاطفة فيهم...!

وأحببت هنا أن أدوِّن بعض الإهداءات المعاصرة للقارئ، التي لفتت نظري منها، فتربَّصت بالكتب مدة، بضعة أسابيع أو شهور، وتصفحت مجموعة منها لأجل ذلك، فجاءت كما يلي:

- في كلمات جميلة مؤثِّرة ومعبِّرة كتب الأستاذ علي محمود الصرّاف هذا الإهداء على كتابه "الألفاظ المحدَثة في المعاجم العربية المعاصرة":

"أضع هذا العمل على أعتاب خيرِ مَن ائتزرَ وارتدَى، وخيرِ مَن انتعلَ واحتفَى، وخيرِ مَن طافَ وسعَى، وخيرِ مَن حجَّ ولبَّى، على أعتاب مَن حُمِلَ على البُراق في الهوا، مَن صلَّى بملائكة السماء مثنى مثنى، على أعتاب خير خَلق الله، محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم".

- وأهدى الأستاذ سعيد مغاوري محمد كتابه "بحوث ودراسات في البرديات العربية":

"إلى أرض مصر الطيبة المعطاءة، التي احتضنت أنبياء الله تعالى ورسله، وشَرُفت بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي قامت على أرضها وربوعها حضارة عظيمة، علَّمت البشرية كلها شتى الحِرَف والفنون، ومنها زراعة وصناعة ورق البَردي، الذي حفظ تاريخ الأمم والشعوب"

- والأستاذ عبدالرحمن الحجي من المغرب، له كتاب "الكتب والمكتبات في الأندلس" قال في إهدائه:

"إلى كلِّ يمين أندلسية خطَّت كتابًا أو صفحة فيه، مؤلِّفةً أو مستحسنة، واعيةً أو جامعة، انتفاعًا به ونشرًا له، مبتغيةً وجه الله تعالى، قربةً واحتسابًا، أهدي هذه الكلمات".

- ومما كتبه الأستاذ فهد خليل زايد إهداءً في كتابه "أساسيات اللغة العربية" قوله:

"إلى كلّ عربيٍّ عشق العربية من حروفها، وشرب من كلماتها، فأدرك معنى الحياة".

- وأنجز الأستاذ شاكر صادق المخزومي (من العراق) رسالته العلمية المفيدة "المشيخة البغدادية" وصدرت في كتاب من خمسة أجزاء، وعليه هذا الإهداء:

"إلى الأيدي التي آلت أن تؤازرني على إنجاز هذا الجهد المتواضع، في وقتٍ دقَّت فيه طبول الحرب، وفُقدت نعمة الأمان، لا يسعني إلا أن أهديه لها حبًّا وتقديرًا:

لما وضعتُ صحيفتي

في بطن كفِّ رسولها

قبَّلتها لتمسَّها

يمناكَ عند وصولها

وتودُّ عيني أنها

كانت خلالَ فصولها

لأرى بها من وجهك

الميمونِ غايةَ سؤلها"

(قلت: والأبيات لأبي إسحاق الصابئ إلى الصاحب بن عبّاد).

- وأهدى الشيخ حسن الفاتح قريب الله (مدير جامعة أم درمان الإسلامية) كتابه "من مخطوطات التراث العربي في أوروبا وغيرها":

"إلى كلِّ من انتظم في طريقهم من أساطين الدعوة إلى الله تعالى". وأورد وصفهم من خلال هذه الأبيات:

هم الفقراء عنهم فاروِ ذكرا

وقفْ واسمعْ لهم خَبْرًا وخُبْرا

من الدنيا تجافَوا فاستراحوا

وقد قطعوا بها الأعمار صبرا

على وجناتهم كتبوا إليه

بأدمعهم حروفًا ليس تُقرا

إذا سهروا تراهم في الدياجي

يُديمون الخضوع لديه جهرا.

- ومن الإهداءات اللافتة للنظر أيضًا، ما فعله الأستاذ وليد أحمد العناتي، بإهداء كتابه "نهاد الموسى وتعليم اللغة العربية":

"إلى آية

إذ قلت: ربِّ اجعل لي آية

فجعلها

وإلى أمها

الآية الكبرى".

- وفي كلمات ألمٍ كتب الأستاذ صالح حميد العلي إهداءه على كتابه "المؤسسات المالية الإسلامية" هكذا:

"إلى مَن ربَّياني صغيرًا

ولم تكتحل عينهما برؤيتي شابًّا

والديَّ، رحمهما الله تعالى".

- وفي كلما مؤثرة أيضًا كتب الأستاذ محمد خميس القطيطي إهداء كتاب له هكذا:

"إلى حبيب ما عادت ابتساماته تزهر بيننا وإن بقيت ذكراه عطرة.

وإلى أمٍّ ما برحت تكفكفُ دموعها كلما مرَّ طيفه في خاطرها".

- وكتبت كذلك أستاذة الآثار والفنون الإسلامية بكلية الآثار في جامعة القاهرة فايزة محمود الوكيل، على كتابها "أثاث المصحف في مصر في عصر المماليك" هذا الإهداء المؤلم:

"إلى شمعتي التي انطفأت، وزهرتي التي قُطفت

إلى أملي الذي ضاع، وبسمتي التي ذهبت

إلى قمري الذي خسف، وشمسي التي غربت

إلى نبضي الذي توقَّف، وروحي التي فاضت

إلى الحبِّ والحنان، والجمال والذكاء، نور عيني

إلى الصغير الكبير، إلى فلذة كبدي وثمرة فؤادي

إلى من كان أغلى من كلِّ مال، وأعزَّ من كل جاه

إلى روح ملاكي الطاهر سلامة محمد سلامة، الذي فقدته وفقدت معه الحياة

ليس هذا شعرًا ولا نثرًا، بل هي أنّاتُ قلبِ أمٍّ مكلوم فقدت وليدها.

(و)
الكتاب الصغير

الكتابُ طريقكَ إلى العقول!

وكذلك هو وسيلتكَ إلى القلوب!

وقد يكونُ الكتابُ فكرةً واحدة، أو أفكارًا.

ومسألةً أو مسائل...

والمهمُّ أن تكونَ الفكرةُ مقنعة، وتكونَ قد جمعتَ لها الحججَ والأمثلةَ الكافيةَ ليلمسَ العقول، وكتبتهُ بأسلوبٍ رشيق ليتسلَّلَ إلى القلوب!

ولا تظننَّ أن الإصلاحَ والإقناعَ يحتاجانِ في كلِّ مرةٍ إلى كلامٍ كثيرٍ وصبرٍ طويل،

فليس كلُّ الناسِ مثلُ بعضها في الإدراكِ والتثقيف،

وليست كلُّ البيئاتِ متشابهة،

إن الإصلاحَ ينطلقُ من كلمةِ حق، ويتمُّ التركيزُ عليها بقوة، وتكرارها،

والتفصيلُ يأتي من بعد.

وقد بدأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع قومهِ بكلمة (لا إله إلا الله).

وركزَ عليها كثيرًا، وكرَّرها لهم.

فمساحةُ عقولهم ما كانت تستوعبُ كلَّ الحقائقِ وتفاصيلَها مرةً واحدة، ولا تستطيعُ هضمها.

ثم نزل القرآنُ الكريمُ متتابعًا يشرحُ هذه الكلمةَ على مدى سنوات...

والداعيةُ الفطنُ يعرفُ بيئتهُ وما يصلحُ لها وكيفيةَ إصلاحها..

وقد جاءت مرحلةٌ مباركةٌ في عصرنا، تزامنت مع نهضةٍ صحويةٍ قوية، كان الكتابُ الصغيرُ يشغلُ فيها قوةً كبيرةً في الدعوةِ والحِجاح، وفي إيصالِ الفكرةِ عن طريقِ الدعاةِ والمفكرين المسلمينَ والعلماءِ عامة، كلٌّ يقدِّمُ أهمَّ ما عندهُ بإيجاز وأسلوبٍ سهلٍ ميسَّر، يخاطبُ فيها طبقةَ الشبابِ خاصة، وقودَ المجتمع، وقوتَهُ وعاطفتَهُ الجياشة، ولا يتعالَى

عليهم، بل يتحبَّبُ ويتقرَّب، يفسِّرُ آيةً كريمةً بأسلوب مشوِّقٍ وينزلها على أحداثٍ معاصرةٍ ووقائعَ حاضرة، أو يشرحُ حديثًا شريفًا ويستنبطُ منه الحُكمَ والحِكمةَ بما يربطُ المسلمَ بدينه ويتشبَّثُ بأحكامه، أو يسردُ قصةً مفيدة ماتعةً تأخذُ بيدِ فتاةٍ ضائعةٍ فتهتدي إلى دينها، أو يسوقُ أخبارًا وعِبَرًا من أحداثٍ ووقائعَ سابقةٍ أو لاحقة، ليصلَ الماضيَ بالحاضر، والأصالةَ بالمعاصرة، ليبقى المسلمُ قريبًا من دينه، وسيَرِ أبطاله، وتاريخه..

إنها رسائلُ صغيرةٌ ولكنها تحملُ معاني جليلة..

كان سلفنا يسمونَ الرسالةَ (جزءًا) وهي في حدودِ العشرين صفحة.

وما كان مفهومُ المقالِ عندهم واضحًا كما هو عندنا.

وكذلك "البحث"، و"الدراسة"، التي قد تصلُ إلى السبعين صفحة أو أكثر!

وانتشر لها في عصرنا مصطلح "كتيِّب" تصغيرًا للفظِ الكتاب بين العامة، أو شعبيًا كما يقال، لكنَّ الخاصةَ من العلماءِ وطلبةِ العلمِ لم يستعملوها في كتاباتهم إلا نادرًا، وذلك لجلالةِ قدر الكتابِ عندهم وسموِّه، حاملِ العلمِ والهدايةِ والخير. وكأنهم قاسوا ذلك على ما قاله التابعي الجليل سعيد بن المسيِّب رحمه الله: "لا تقولوا مُصَيحِف ولا مُسَيجِد، ما كان لله فهو عظيمٌ حسنٌ جميل".

.. نعم، لقد تقلَّصَ نفوذُ الكتابِ الصغيرِ بعد عقودٍ ثلاثةٍ تلَت مطلعَ القرنِ الهجري الخامسِ عشر، وكأنه أدَّى دورهُ المنوطَ به!

وفي هذا شيءٌ من الصحة، ولكن لا يُخشَى منه، فهو لم ينقطعْ أولاً، بل مازال يطبعُ ولكن بنسبةٍ أقلّ، كما صارت موادّ كتابية وإعلامية تطبعُ في نشراتٍ مطوية، بتكلفةٍ أقل، وهناك وسائل وأساليبُ أخرى انتشرت باستحداثِ الشبكةِ العالمية للمعلوماتِ وفنونها..

إن لكلِّ زمنٍ وسائلهُ النافذة، والكتابُ منذ نشأتهِ في قرونٍ غابرةٍ وحتى يومنا هذا مازال نافذًا، وإنْ خفتَ ضوؤهُ نوعًا ما، ومن ذلك فرخهُ الكتابُ الصغير..

والمهمُّ عند المسلم: المحتوى.. والأسلوب.. والإقناع، سواء أكان ذا غلافٍ أم لم يكن..

واللهُ يؤيدُ الحقَّ وينصره.

(ز)
تنظيم الكتاب الإسلامي

مازال الكتابُ الإسلامي يُنشر من غير تنظيم، أعني من غير تخطيطٍ وتوجيه، فهو في معظمه جهود أفراد وليس مؤسَّسات، فلا يُشكل إنتاجُ الجمعيات واللجان والنوادي وأمثالها سوى نسبة ضئيلة مقارنة بإنتاج الأفراد، وحتى الذي تنشره لا يشكل سوى نسبة قليلة من إنتاجها الحقيقي، ذلك لأنها تتلقَّى من الأفراد جهودهم وتنشرها لهم!

وأذكر هنا جانب النقد والميزان، أما حجم الساحة الكتبية الإسلامية فإيجابية ورائعة جدًّا، وتبشِّر بحركة فكرية ونهضة ثقافية متصاعدة.

إن العالم سار ويسير في تطور رقمي هائل في العقود الأخيرة، وما زالت جهودنا المحكَّمة، المدروسة والمخطَّطة، تعاني فوضى وبطءًا، وإعادة وتكراراً، فبعض كتب الدعوة أو العقيدة طُبعت أكثر من ٢٠ و ٥٠ طبعة دون تطوير، على الرغم من تطور الظروف، وعلى الرغم من حاجة المجتمع إلى معالجة أمور جديدة عقدياً ودعوياً، والإنتاج الجديد الموجود – غالبًا – جهودُ أفراد تحتاج إلى مراجعة وتحكيم وتطوير لتلائم الترجمة إلى لغات عالمية وتوزعَ في طبعات متتالية ورقياً وإلكترونياً.

وسببُ هذا التأخير والفوضى هو تشتتُ العالم الإسلامي، وعدمُ تسييره من قبل حكّام يهمهم نشر الإسلام، ولتشتت جهود علمائه ومفكريه، فليس هناك ما يجمعهم على خطة واحدة للنشر، وليس هناك ما يوجههم عالمياً إلى ما يحتاجه الناس وتحتاج إليه ساحة الدعوة، وليس هناك من يجمع لهم أحوال الدنيا وتطوراتها السريعة ونوازلها في كلِّ بلد، لتعالجَ الأمور في وقتها، وتوجَّه إسلامياً، وتُنشرَ في وسائل الاتصال الإعلامية والدعائية في حينها.

لقد كتبتُ منذ سنوات مقترحًا مشروع "الجمعية العالمية للكتاب الإسلامي" التي تستطيع أن تقوم بهذا العمل بكفاءة إذا كُتب لها النجاح، وتشكَّلُ من دعاة ومفكرين وخبراء في الكتاب من معظم الدول الإسلامية، وكلُّ لجنة في كلِّ بلد تقدم تصورها في هذا الشأن، وتقوم بجمعها ودراستها وتقويمها الهيئة العليا للجمعية، وتتبنى تنفيذها في خطوات متطورة وملموسة اللجنة

التنفيذية بها، مثل ترجمة الأعمال المقبولة والمهمة لنشرها عالمياً، ليستفيد منها المسلمون وغيرهم، خدمة لدين الله القويم، ودفعة قوية للدعوة، ولكسب إخوة جدد في الدين.

وقد تأخرنا كثيراً في تنفيذ هذا الأمر.

وما زال الأمر متاحاً.

والله الهادي.

(ح)
مجلة التراث الإسلامي

متابعة ما يُنشر من كتب التراث الإسلامي، وجمعه وتصنيفه وترتيبه ونشره، صارت من الضرورة بمكان، وخاصة بعد أن كثرت وتشتّتت، وهي نتيجة الإقبال على تحقيقها في أنحاء العالم، لسهولة الحصول على المخطوطات من الشابكة، وتعدد نسخها، وإن اختلفت مناهج المحققين، وتباينت مستوياتهم في ذلك.

لقد قامت مجلتا "أخبار التراث العربي" و"أخبار التراث الإسلامي" بشيء من الواجب تجاه تراثنا العظيم، وغطّتا نسبةً ما من أخبار كتب التراث، ولكنهما لم تعدا قادرتين على الإحاطة بها وحصرها على الأسلوب الحديث، ومعاملة المعلومات بيانيًّا.

والمجلات التراثية الأخرى اهتمامها بالدراسات والبحوث والنقد أكثر من سعيها لإبراز ما ينشر من كتب التراث.

وقد وددت لو كانت هناك مجلة تحصر عملها في رصد ما ينشر من كتب التراث الإسلامي، وخاصة العلوم الشرعية، والتفنن في إظهارها والإعلان عنها، مع تصوير أغلفتها عند الإمكان، فهو أفضل طريقة في التوثيق، وقد أردت أن أحقق كتابًا فرأيت بيانات طبع الكتاب كاملة في الشابكة، وفي نشرة إيداع البلد، وبعد البحث الحثيث عنه تبيَّن أن الكتاب لم يطبع، وإنما أراد الشخص حجزه بذلك لئلا يحقق، ومضى على ذلك زمن..

هذا إضافة إلى ذكر عناوين الكتب في المجلة كما هي دون تصرف فيها، وأسماء مؤلفيها وسنوات وفياتهم، والمحققين، وذكر الناشر، وسنة النشر، مع بيانات التوريق، والتعريف بها إن أمكن، ولو في سطور قليلة.

ويمكن سرد هذه العناوين موضوعيًّا، أو على حروف المعجم، أو تقسيم المجلة إلى أبواب مناسبة كما يراها محرروها. ولو لم أكن مرتبطًا بهذه المجلة وغيرها لفعلت.

وإن محبي تراثنا الجليل يستهينون بما يلاقونه من صعوبات في سبيل خدمة الأمة ونهضتها، وخاصة من الناحية العلمية.

ومما ييسر عمل هذه المجلة المرتقبة، المباركة، أن معظم دور النشر، أو كلها، لديها مواقع على الشابكة، وبإمكان محرري المجلة الاعتماد عليها في معرفة ما نشر من كتب التراث، إلى جانب إصدارات المراكز والمؤسسات والهيئات العلمية الأخرى، المهتمة بالتراث، التي لها أيضًا مواقع وصفحات على الشابكة.

والأفضل أن تكون المجلة شهرية، إلكترونية، لسهولة توزيعها، والوصول إليها من أطراف الدنيا.

إن صدور هذه المجلة وأمثالها لم يعد حلمًا، بل واقعًا قريبًا إن شاء الله، فلا يلزمها رأس مال، ولا جهود كبيرة تذكر، والشعور بالواجب، والحبُّ العظيم للتراث، هو الذي يهيِّج العمل، وراحة المثقف الجاد في العمل وليس في الكسل.

والله الهادي.

(ط)
الجمعية العالمية للكتاب الإسلامي

قصتي مع الكتاب الإسلامي قصة حياة، وشوق، وألم.
فقد بدأ اهتمامي به منذ سِني فتوَّتي واستمرَّ حتى يومي هذا، لا أنفكُّ عنه ولا ينفكُّ عني!

ولو تحدَّثت عن ذكرياتي مع "صديق العمر" هذا، فلعلها تجيء في كتاب ذي أجزاء.
لكني سأقتصر في مقال قصير هنا على جانب "الألم" ومعه "الأمنية"، معرضاً عن جانب "الحياة" والشوق"، وفي الأول تكمن الفائدة إن شاء الله.

ولعل قارئاً متابعاً للنشر يرمي بسهمه في أول الحديث ويقول: الكتاب الإسلامي بخير، وهو أكثر انتشاراً من سائر الكتب الأخرى، ومتوفر، وتوزيعه جيد، وقد تعددت دور النشر التي تهتم بنشره أكثر من الكتب الأخرى...

وهذه نظرة تفاؤلية صائبة، وواقع حقيقي لا يُنكر، باستثناء ما هو في دول. ولكن المشكلة أننا استمرأنا الفوضى نتيجة تربية حكوماتنا، واكتفينا بالنظرة الظاهرة دون التعمق في الواقع، واستبعدنا التخطيط من كثير من مشاريعنا العلمية والثقافية، وأهملنا التوجيه فيما يمكن توجيهه وتوظيفه دعوياً وعالمياً... وأعني التخطيط السليم النافع، الذي يتبعه عمل وتطبيق ومتابعة نتائج ودراسات جدوى وتقويم.

لكن أشير أيضاً إلى أن هناك مشاريع تربوية ودعوية ينظر فيها نقّاد متخصصون، وخبراء متمرِّسون، وكتّاب متعمِّقون، فيقعِّدون وينظِّرون، ويقارنون ويدرسون، وينبِّهون إلى لزوم التخطيط وما يمكن عمله أو اجتنابه، بأسلوب علمي ناجح، محذِّرين من الشعارات والعواطف التي لا حدود لحركاتها، فيلزم ضبطها وتوجيهها، وإلا فُقدت بسرعة أو انحرفت إلى ما لا يُحمد...

وقد استأثر بعضها باهتمام العلماء والمفكرين المسلمين، ليتداركوا ما أهملته دولهم، بما يقدرون عليه من كوادر بشرية وقدرات مالية.

ومما لا أعرف أنه استأثر باهتمامهم مترجماً إلى واقع وعملٍ في تنظيمٍ مشرَّف ولائق، هو قضية "الكتاب الإسلامي"، الذي لا يكاد يخلو منه مكتبة شخصية أو عامة أو متخصصة، في الشرق والغرب، ومسلماً كان صاحبها أو غير مسلم.

وكان هذا ما دفعني إلى الاهتمام به وإصدار دراسات ومسارد وتحقيقات فيه، بجهود شخصية وقدرات متواضعة، مع التنبيه إلى لزوم القيام بأعمال جماعية لخدمة الكتاب الإسلامي، ليؤتي ثماره بشكل أفضل.

ولما رأيت أن هذا غير كاف ، وأن الاستجابات قليلة تجاه هذا العمل، وهي لا تتجاوز الأعمال الفردية أو القريبة منها، مما يعني أنه لا يلبي طموحات المجتمع الإسلامي في صحوته المتنامية، وخاصة الطبقة العلمية المتقدمة منه، لهذا آثرت أن أطرح فكرة "مجلة" تهتم بهذا الأمر، فكتبت إلى دار نشر نشيطة لها تجربة جيدة في نشر وتوزيع الكتب الإسلامية، لتقوم بإصدار "مجلة الكتاب الإسلامي"، ذاكراً ما يمكن تقديمه فيها، من تبويب موضوعات، وتقديم قوائم بمفردات، ومعالجة علمية لجوانب في ذلك... ولكن الناشر رفض، وعلل ذلك بأن هناك دور نشر أصدرت مجلات فلم تنجح وتوقفت...

ولهذا وغيره أرى الأنسب في هذا أن تُطرح فكرة أكبر من المجلة لاحتواء هذا المشروع، وهي كبيرة تناسب عزائمَ رجال، وهمَّةَ أقوياء، وجهودَ مخلصين، وتعاوناً على البرّ، مع إدارة وتخطيط ، وصبر ومثابرة... ألا وهي مشروع "الجمعية العالمية للكتاب الإسلامي" أو "رابطة الكتاب الإسلامي العالمية"، كرابطة الأدب الإسلامي مثلاً... أو أي مسمى لهذا المشروع، في تنظيم إداري إسلامي جماعي للكتاب الإسلامي، الذي مازال مشتتاً أمره، وهو نتاج أمة ننتمي إليها، وثقافة إسلامية كبيرة، وفكر عظيم يقدِّره أهله، ووسيلة ناجحة لنشر الدين الذي كُلِّفنا بتبليغه...

وما أذكره هنا ليس طرحاً لمشروع إداري قائم على لوائح وتنظيمات، فهذا لن يُعدمَ له أهل يقومون على تنظيمه أحسن تنظيم إن شاء الله، وإنما هو صورة عامة لما يدور في خاطري من هذا المشروع، الذي سيبدو من خلاله أهميته وفائدته، لأصلَ به إلى فكر القارئ وقلبه، عسى بذلك أن يحرِّك قلوباً، ويلفت عقولاً، وينير دروباً... وهذه صور وخواطر وإشارات في ذلك، والله المستعان:

١- لقد **أغلق الأعداء أمام الأمة الإسلامية أبواباً كثيرة في الوحدة**، أقساها ما عُرف بـ "الحدود السياسية"، وكان الأولى أن تسمى "الحدود الخارجية"، يعني الخارجة عن إرادة الأمة. ولكنهم لم يستطيعوا أن يغلقوا نوافذ الإيمان في قلوب المسلمين التي تطلُّ على كل مسلمي الأرض. وما علينا إلا أن **نبحث** -تحت هذه الظروف- **عن روابط تُبقي على هذه الوحدة** التي ثبتت عليها القلوب في صور عملية ودعوية تناسب عصرنا وظروفنا، أمثال الجمعيات والمنظمات والرابطات العالمية التي تنطق بقلب واحد وقلم واحد...

وعلى المسلم أن يتذكر دائماً أنه عضو في رحاب أمة، وأن له إخواناً يلزمهم ما يلزمه، ويهمهم ما يهمه، وعليه أن يمدَّ إليهم يده، ويسعفهم بما يقدر عليه من قوة.

والكتاب ليس غاية في حدِّ ذاته، بل هو وسيلة إلى رضى الله، من الدعوة والتعاون على ما فيه خير المسلمين.

ومن وجوه ذلك الخروج من قوقعة القومية والمحلية التي فُرضت نتيجة الحدود "السياسية" التي رُسمت لكل دولة، فصار المسلم يعتمد على علماء بلده ومفكريه في أكثر ما يعتمد من أفكار واتجاهات، ويتعرَّض لتربية وطنية مكثفة من إعلام حكومة كل بلد، لينشأ في عنصرية ووحدة قومية ومذهبية محددة. وهذا كله يضرُّ بالوحدة الإسلامية، وبالفكر الإسلامي الذي ينطلق من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أولاً.

وقد رأيت صعوبة انفكاك كتّاب إسلاميين كبار من هذه النعرة، ذلك أنهم رُضعوا لبان هذه التربية الضيقة في المدارس والبيوت والأسواق والمؤسسات، فصُنعت منهم قوالب مصفحة لا يقدرون على الخروج منها، ولم تعد طبائعهم المعوجَّة تقدر على التلاؤم مع بقية إخوانهم في بيئات أخرى!

وبالانطلاقة إلى عالم الإسلام الرحب بمثل هذه الروابط الفكرية والإيمانية يتعرّف المسلمون على بعضهم البعض بطلب ربّاني حكيم {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}. وهذا التعارف ليس نظرياً، بل إنه يتحول إلى عمل ومؤازرة وتعاون، إذا صدقت النيات، وتعاضدت الأيدي، واستمرَّ التناصح ...

وما ذكرته في هذه الفقرة "إشارات" إلى موضوع كبير في الوحدة الفكرية لدى الأمة، ليس هنا موضع تفصيله، لكن الكتاب الإسلامي أحد الوسائل في ذلك، فهو يساعد على التنمية الفكرية للأمة، ويشجع الحركة الثقافية على الاهتمام بالأصول والمصادر الإسلامية، ويزيد من التواصل والتقارب بين الشعوب الإسلامية ومفكريها...

٢- أعني بـ "**الكتاب الإسلامي**" كل كتاب أو ما في حكمه من بحث ورسالة **له علاقة بالإسلام وعلومه وتاريخه وأرضه وأهله**، سواء مما كتبه المسلمون أو غيرهم، وكان في مصلحتهم أو ضدها. ويكون المعنى مضمون الكتاب أو معالجته لموضوع إسلامي، إيجاباً كان أو سلباً. فلا يعني تزكيته عموماً.

٣- ما أشير إليه هنا من "الجمعية العالمية" مشروع كبير، ولكن لا يعني هذا أن لا نبدأ إلا به، بل قد يكون الأفضل **البدء بجمعيات محلية وقومية** تكون نواة وانطلاقة إلى ما هو إسلامي عام، وهذه الجمعيات تتعاون فيما بينها كما هو مخطط له في هذه المقالة، وقد تقبل برئيس ينسق ما بينها، كما هو مسمى "رابطة الجامعات الإسلامية" وما إليها، ويمكن أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه تحت إدارة عامة إن شاء الله... وبالصبر والمتابعة المستمرة والعزيمة القوية يُصنع كل شيء، بعد حسن التوكل على الله.

٤- إن الكتاب لا يعني ورقاً وحبراً وتسويقاً ومالاً، إنه **دين وفكر وحضارة وعلم وقوة**... فإذا تراكم كل هذا وتوحَّد صار جبالاً لا جبلاً.. وهو نتاج أمة واحدة ولو فرَّقتها الحدود المصطنعة. والرابطة التي تجمع هذه القلوب هي التي تجمع هذه الكتب أيضاً.

٥- "الجمعية العالمية للكتاب الإسلامي" يكون **هدفها** التعرف على ما ينشر عالمياً عن الإسلام في صورة كتب مطبوعة ورسائل جامعية وبحوث قيِّمة، وذلك من خلال وسائل وأساليب مكتبية وإعلامية ووسائل نشر مطوَّرة،

بمتابعات شخصية واتصالات إلكترونية وتعاون بحثي متنوع مع دور النشر والمؤسسات والمراكز العلمية والثقافية العامة والخاصة.

٦- تنظم الإدارة العليا للجمعية **الهيكل الإداري** فيها وتحدد **المهام الأساسية** للرؤساء والمديرين واللجان المنبثقة عنها، كما تحدد وظيفة الجمعيات المتفرعة عنها، وتختار خبراء ومتدربين في الترجمة لتترجم وتواكب ما ينشر باستمرار وتوزعه على البلدان بحسب لغاتها، وتتولى الجمعيات الفرعية في كل بلد القيام بهذه المهمة، ما عدا مهمات تكلف بها لجان متخصصة في الإدارة العليا نفسها لتوصيل المعلومات إلى ذويها مباشرة.

٧- يكون **القائمون على هذه الجمعية** أو الرابطة أعلاماً متخصصين وعلماء معروفين لهم خدمة حسنة ومشهود لهم في الساحة الإسلامية، يوثق بهم وبأعمالهم وتوجهاتهم الخيّرة، وتكون لهم علاقة طيبة مع المجتمع ووجهائه.

٨- **يكون للجمعية فروع في كل بلد**، تتابع ما ينشر عن الإسلام، وتفيد الباحثين المسلمين بما يلزمهم بلغاتهم، وتزود الإدارة العامة بكل جديد، حسب الخطة المرسومة لها. وتشير إلى الإصدارات المهمة، وإلى ما أثار منها نقداً للإسلام وأهله، وما صاحب ذلك من كتابات وردود، لتعلن عنها الإدارة العليا بطريقتها الخاصة. وتترجم ما يهم منها إلى لغات عالمية، لتثقيف الأمة الإسلامية وتزويد عقول أفرادها بالفكر الإسلامي الصحيح، والمجابهة العلمية القوية أمام الشبهات والتشكيكات، وتنبيههم على المخاطر التي تحدق بهم، كما تنبه على الإعلاميين والمفكرين الذين اتخذوا من الطعن في الإسلام هدفاً لهم وغاية، وتحذر من الكتب التي ظاهرها ثناء على الإسلام وباطنها هدم وتدمير.

٩- كما **تزوَّد الإدارة العليا ببيانات وراقية مما سبق من كتب إسلامية**، لتبوَّب وتنظَّم موضوعياً ومعجمياً، وليترجم ما يختار منها إلى لغات أخرى، كما تفيد الباحثين وطلاب الدراسات العليا الذين يشكون من شح المصادر في موضوعات معينة...

١٠- يكون في كل مكتب مخزن أو **مكنز منظم** يحوي بيانات بالكتب الإسلامية في كل بلد بلغته، وعند الإدارة العليا مكنز عام يجمع شتات المكاتب الأخرى، ويكون هذا دعماً عالمياً لثقافة إسلامية.

١١- ومن فوائد هذا العمل **التعريف بأعلام الأمة ومفكريها** بكل لغة، وبيان آثارهم العلمية وخبراتهم ليُستفاد منها.

١٢- يكون للجمعية **لجنة تهتم بالنشر** كما أشير إليها، فتنشر **وتترجم أهم الكتب الإسلامية**، ويمكن أن توزع هذه المهام على فروعها.

١٣- وهذ يذكرنا **بما كتب في السيرة النبوية** وشمائل الرسول عليه الصلاة والسلام والدفاع عنه، ثم طبعها وتوزيعها على نطاق واسع بمئات الألوف أو الملايين، والجمعية **يمكن أن تفعل ذلك مع كل موضوع يثار ضد الإسلام**، حتى يتبين للناس الحق، وسيكون هذا إعلاماً قويا ومتماسكاً يقف في وجه شلاّل الإعلام المضلِّل المنتشر في العالم.

١٤- تقوم الإدارة أيضاً بنشر ما يلزم في **موقعها الخاص** بالشبكة العالمية، وخاصة الكتب الإلكترونية أو المصوَّرة، **وتوزعها** على مواقعها الفرعية، ومواقع أخرى. وهذا يختصر الطريق ويوفر على الجمعية أموالاً وتتخطى به عراقيل كثيرة.

١٥- تصدر الجمعية **مجلة أو مجلات ونشرات علمية متتالية ومستخلصات كتب** يُظنُّ فائدتها أو الحاجة إليها، كما تقدِّم **فهارس حولية بأهم الكتب الإسلامية الصادرة في العالم**، بلغات، وتوزعها على المكتبات التجارية والعامة، لتصل إلى أيدي الباحثين من جميع الطرق في نقاط توزيع مدروسة. وينسَّق هذا مع الجمعيات الفرعية لعدم التكرار والازدواجية في العمل.

١٦- وهذا يقودنا إلى لزوم أن يكون للجمعية **جهاز توزيع قوي**، أو أن تتعاقد مع شركات ومؤسسات توزيع عالمية ومحلية ذات قدرات وجهود توزيعية ممتازة.

١٧- **الحصول على المطبوعات المنشورة** غدا أسهل مما سبق بكثير، وخاصة في أمريكا وأوربا، ومعظم الدول -إن لم تكن كلها- تصدر ببليوجرافيات وطنية في كل سنة، وصار تخزينها في أقراص مدمجة معروفاً. والدول العربية كذلك مهتمة بنشر نتاجها القومي...

ويوجد فهرس بمحتويات مكتبة الكونغرس -أضخم مكتبة في العالم- في مئات المجلدات. وهناك مشروع رائد لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، لو أنجزته لقدَّمت خدمة كبيرة للباحثين، وهو مشروع "الفهرس العربي الموحد" الذي يهدف إلى تقديم كل الكتب المؤلفة باللغة العربية للمستفيدين في بيانات كاملة، وهي تعمل فيه منذ سنوات، وتصطدم بمعوقات ومنغصات، واجتمع لديها الكثير مما يمكن أن تقدمه، ولو أنها أبرزته هكذا وأضافت إليه كلما استجدَّ عندها شيء لكان أجدى وأنفع، فإن مجموع ما تريده قد لا يتحقق، أو يستغرق مدة طويلة، وما يعترضها دليل على ذلك.

ومثل هذا المشروع يوفِّر جهداً كبيراً على العاملين في الجمعيات العربية للكتاب الإسلامي، إذا كان هناك تجاوب في التعاون، بل إن عملها سيقتصر على الانتقاء والترتيب والتقسيم الموضوعي والترجمة والنواحي الدعائية والإعلامية، وتزويد الجمعيات الفرعية بما

يلزمها، مع متابعة الجديد ومواكبة ما تقذفه المطابع، فإن الببليوجرافيات الوطنية تتأخر أحياناً. والمهم هو التبادل المعلوماتي بين المسلمين...

كما أشير إلى أن قسماً من هذا يدخل تحت مسمى "مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي"، التي تشكو منها حتى الحكومات، نظراً لفوضى المعلومات، أو نقصها، أو عدمها، أو عدم التعاون الجدي في شأنها. وقد دعا مثل هذا إلى أن تعقد مكتبة الملك عبدالعزيز ندوة عالمية حول هذا الموضوع عام ١٤٢٠ هـ، واستفادت من خبرات عالمية في ذلك، وصدرت أعمال هذه الندوة في أربعة مجلدات، ربما بالعربية والإنجليزية.

ولا أدري إذا كان الكتاب من بين موضوعات هذه الندوة أم لا، وما إذا كانت أوصت بلزوم أن تكون هيئة إسلامية عامة تتابع هذه الأمور، لتتيح أمام القارئ المسلم معرفة ما في البلدان الشقيقة من موضوعات إعلامية وثقافية وغيرها، وهل أنتجت هذه الندوة فوائد عملية أم ذهبت أبحاثها أدراج الرياح؟ والأمر الأخير هو المهم.

١٨- إذاً فالأمر يتعلق بأمر **موجود ومباح** على الساحة الإسلامية والدولية، حيث الكتب والرسائل والبحوث العلمية المتوفرة. والعالم الإسلامي لديه طاقات بشرية وخبرات علمية وقدرات مالية وإدارية للقيام بمهام هذه الجمعية وغيرها من الجمعيات العلمية النافعة، وما تنهض به هنا سيكون **قاعدة معلومات للباحثين** عموماً، وليس للمسلمين وحدهم.

١٩- **يختار من الفقرات السابقة ما يهم وما يلزم، فهي مشروع مبدئي** قابل للاختيار والنقاش.

٢٠- ليس لدي اطلاع كاف على الهيئات والجمعيات الإسلامية في العالم التي يمكن أن تقوم بمثل هذا المشروع، والمجال مفتوح للتنافس فيه ...وهذه رسالة إلى كل من يقدر على إيصال الفكرة لمن له قدرة على ذلك...

٢١- وأعود إلى التذكير بما أشرت إليه، وهو أنه إذا بدا هذا المشروع كبيراً، وأنه قد يستغرق وقتاً..أو لا يظن فيه التجاوب...إلى غير ذلك من الأعذار، فلا أقلَّ من أن **يبدأ بأقلَّ منه، كجمعية خاصة بالكتاب الإسلامي في كل بلد، أو إصدار مجلة في هذا الشأن أولاً، وتطرح هذه الفكرة وتناقش** في الساحات الإعلامية الثقافية، وفي الندوات والمؤتمرات الإسلامية، ويفعل الله ما يشاء.

(ي)

أكثر الكتب الإسلامية تأثيراً !

ما هي أكثر الكتب التي أثَّرت في حياة المسلمين وفكرهم على مدى التاريخ؟

سؤال طرحته على نفسي كثيراً، وودت لو عرفت جوابه!

والذي أرَّقني أنني لم أجد من بحث فيه كاملاً، كما أنني لم أعرف الجواب من أطرافه.

وكنت أعجب كيف أنه لم يُبحث فيه حتى الآن، على الرغم من أهميته، ومرور ثلاثة عشر قرناً على بدء التأليف في الإسلام، دون تقويم شامل له، أو إشادة بروائعه وأكثره تأثيراً، في دراسة علمية متكاملة.

فإن معرفة جانب عظمة التأثير في الكتاب يعني أهمية مضمونه، وقوة ما طرح فيه، وسيطرته على فكر أعلام الأمة واتجاهاتهم العلمية على مدى قرون وقرون.

ويعني أيضاً أن مؤلفه أوتي عقلاً جبّاراً، وذكاءً كبيراً، وفكراً راجحاً، وقوة في الفهم والاستنباط، وقدرة على الاستنتاج، وبراعة في الأداء وإيراد الحجج.

وإذا أوتي مثلُ هذا الكتاب قبولاً عند الأمة وعلمائها فقد يعتبر مؤلفه من المجدِّدين، وهؤلاء لهم قيمة عظيمة عند المسلمين، حيث ورد الثناء عليهم في الحديث الصحيح، فهم يعتبرون بحق ورثة الأنبياء، ومجددي الدين، ومحركي العقول والقلوب، ومذكي روح النهضة والصحوة في النفوس والمجتمعات.

وإن إبراز هذه الكتب وأمثالها أمام القارئ المسلم، ودراسة ما فيها، والإشارة إلى جوانب العظمة فيها، وبيان دقة مؤلفيها، والنتائج التي توصلوا إليها، يوقظ في نفسه همةً عالية في طلب العلم، والبحث في مسائله، وتقديم المفيد منه، والإقبال على القيِّم النافع منه، فالفكر يقدح الفكر، والعلم يزيد بين اثنين، ومدارسته بين الأستاذ والتلميذ يزيد من الاستنتاج والفهم.

ومثل هذا يشجع العلماء والمفكرين المسلمين ليحذوا حذوهم في اختيار الفِكَر، وطُرق البحث، وجوانب التأثير، ومناسبة العرض، كلٌّ فيما يناسب عصره، وما يوافق علمه وتخصصه.

قلت هذا تذكيراً للقارئ الكريم بهذا الموضوع الذي لم يبحث بعد، وتشويقاً له حتى يتفاعل معه ويبحث فيه، أو يشارك في البحث فيه، أو يتذكر ما يشاء منه ويدونه عنده.

ومع جلالة البحث في هذا الموضوع ورغبتي في خوض مباحثه، فقد عرتني هيبةٌ من الخوض فيه.

فالموضوع يحتاج إلى عقل "كبير"، ومعرفة ودراية بالثقافة الإسلامية على مدى العصور، والحضارة الإسلامية الكبيرة، وإحاطة بجوانب التأثير الحقيقية، من خلال إيراد الأدلة والأمثلة، وهذا كله يحتاج إلى شمولية في معرفة العلوم والآداب والمقارنة بينها وربطها بمصدر التأثير المبحوث فيه.

وكنت أقول إن الذي يريد أن يكتب فيه ينبغي ألا يكون "مذهبياً"، حتى لا يدرج شيئاً مما تعلق به ضمن أشياء أخر هي أقوى وأجلّ مما يبحث فيه ويريد له بحثاً علمياً خالصاً..

وكانت الفكرة تبرق في ذهني مرة بعد أخرى، فأطفئها أو "أختبئ" منها بحجة أنها كبيرة على أمثالي من طلبة العلم، وأنني قد أبحث فيها إذا ازددت علماً وخبرة إن شاء الله. وكان العنوان الذي اخترته هو: "أكثر الكتب تأثيراً في الفكر الإسلامي" أو "في الحياة الإسلامية".

ثم تفاجأت بصدور كتاب في هذا الموضوع، أو قريب منه، فأطفأ في نفسي "التفاعل" الذي كنت أجده للبحث فيه. حيث لا أجد الرغبة في الكتابة فيما كُتب فيه عادة، إلا إذا قورن بها سبب آخر، وكنت متفائلاً أن يتولَّد من هذا التفاعل النفسي والفكري مع الموضوعِ الخوض فيه بشكل أو بآخر، في وقت ما، إذا قدَّر الله.

وعندما وقع عيني على هذا الكتاب، تأملت أن يكون قائماً بما جاش في قلبي وسيطر على فكري، لكنني رأيت أنه جزء من المشروع وليس كله، وعليه ملاحظات، وقد ينال منه النقد ما ينال.. وأودُّ هنا أن أذكر للقارئ مقتطفات من مقدمته، ثم قائمة بالكتب التي عرضها، وهي عشرة.

والكتاب هو: "كتب إسلامية غيَّرت الفكر الإنساني" تأليف أحمد الشنواني، صدر في دمشق والقاهرة عن دار الكتاب العربي سنة ١٤٢٥هـ، ويقع في ٢٥٦ص.

ذكر المؤلف أننا نجد في تاريخ الإسلام عدداً من الكتب العظيمة التي كان لها أعظم الأثر على مسيرة الحياة والإنسان والتاريخ والثقافة والفكر والعلم والمدنية، وأنه جمع في كتابه هذا

عشرة كتب من الكتب الإسلامية الرائدة والخالدة التي أثرت تأثيراً عظيماً على الفكر الإنساني على مرِّ التاريخ، وأنها خلاصة قراءات للكتب لفتت نظره إلى ما فيها من فكر وتجربة وخبرة، وهي:

الموطأ لمالك بن أنس (الكتاب الذي صار الأساس لبناء المدرسة الفقهية للعالم الإسلامي بأسره)

الرسالة للإمام الشافعي (أول كتاب منظم قدم للإنسانية الفكر القانوني والتشريعي للإسلام).

المسند للإمام أحمد بن حنبل (أكبر موسوعة لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة وأقضيتهم)

الجامع الصحيح للإمام البخاري (أعظم عمل علمي يجلُّه المسلمون).

الرسائل الفلسفية للكندي (الرسائل التي ثبتت دعائم الفلسفة الإسلامية).

تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لابن مسكويه (الكتاب الذي أرسى تقويم الأخلاق والسلوك على أساس دراسة علمية سليمة).

إحياء علوم الدين للغزالي (مرجع الباحثين على الإيمان الصحيح الذي سيظل مصدر إلهام ونور في العالم الإسلامي)

الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة لابن رشد (الكتاب الذي ترك أعظم الأثر في أوروبا وأخرجها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والفكر).

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (الذي لقب بمرجع العلماء وحجة الفقهاء ولسان الحكماء).

رسالة الخلود لمحمد إقبال (الرسالة التي فسرت حقيقة الخلود وناقشت قضايا الإنسانية بطريقة فنية رائعة).

ويلاحظ القارئ أن المؤلف توسَّع في أبعاد الموضوع الذي نريد البحث فيه، فشمل عنده: "الفكر الإنساني" وليس "الإسلاميَّ" وحده، ولهذا أورد كتباً في الفلسفة والأخلاق، التي أثرت في الفكر الغربي وآراء فلاسفته ومنظِّريه.

والموضوع مازال بحاجة إلى بحث ومناقشة وتعقيب، وربما كتابة جديدة فيه، فإن هناك علماء وأعلاماً بإمكانهم استنتاج المزيد من نقاط القوة والتأثير في تلك الكتب العظيمة وجوانبها العلمية الفذَّة.

وحتى لا نغمط الكاتب حقه، نذكر أن فضل الريادة في الكتابة في هذا الموضوع تبقى له، مع الدعاء له بالتوفيق والسداد.

وإن هناك موضوعات قُتلت بحثاً حتى مُلَّت ولم تعد تقرأ، وموضوعات لم تبحث، أو بحثت ولم تعط حقها... وقد يوافقني القارئ على أن هذا الكتاب ينطبق عليه ما ذكرنا.

ومن الأمور التي يمكن التدرُّج فيها للبحث عنها هنا، هو اختيار عشرة كتب معروفة من كل فن من فنون العلوم الإسلامية، الشرعية منها وغير الشرعية في ساحة الإسلام، ثم اختيار خمسة من هذه العشرة، ثم واحد من الخمسة، لتبرز أهم الكتب تأثيراً. ويبدو واضحاً أن الاختلاف في وجهات النظر ستكون واردة، لكن المهم هو تحريك الفكر، والإشارة إلى ما هو "مؤثر" و"فعال" و"مفيد"، وهو المطلوب. فقد أذكر من الكتب الشرعية أن كتاب "رياض الصالحين" للإمام النووي يعتبر في قائمة الكتب الأولية المؤثرة في حياة المسلمين، فهو أكثر الكتب انتشارًا وتوزيعاً بعد القرآن الكريم، ويقتنى أكثر من الصحيحين على الرغم من كونه قبساً منهما ومن غيرهما، ولا يكاد يخلو منه مسجد أو جامع، بل يكاد أن يكون في بيوت معظم المسلمين.

وستمتد المناقشة إلى الكتب الأكثر تأثيراً في عصرنا هذا، ولتكن عشرين أو أربعين أو أكثر...

مع الإشارة والتركيز على حرية البحث والتجرد فيه، وعدم التضييق على الفكر، وألا يكون مذهبياً أو وطنياً محدوداً له تأثير في بقعة معينة من ديار المسلمين أو جماعة وطائفة منهم دون غيرهم، بل يكون شاملاً لهذا وذاك، وليكون البحث قائداً إلى آفاق أوسع في الفكر والثقافة بما يناسب الموضوع المبحوث فيه.

هذا مع الإشارة إلى ما هو معروف عند الباحثين، من أن الموضوعات التي يتطرق إليها أول مرة تتأرجح بين القوة والضعف، حتى يأتي من يكمل مواضع النقص فيها، ويأتي آخرون

فيزيدونها إيضاحاً وأمثلة، فتكتمل جوانب الموضوع، ولعل هذا ما حدث لمؤلف الكتاب السابق، وهو ما يؤمل من الاهتمام به وبما عرضه واستنتجه.

ويكفي المؤلف الكريم أنه تطرَّق إلى موضوع لم يبحث فيه من قبل، ولو أنه لم يحقق الهدف منه كاملاً.

وقد يقوم القائمون على موقع أو مؤسسة علمية أو مركز ثقافي أو صحيفة إسلامية بعمل دراسة محكمة وتصميم استمارة موجزة وطرحها لمساءلة القراء عن أهم الكتب أو أكثرها تأثيراً في الإسلام، فقد يتلقون مشاركات قيمة قد لا تخطر على ذهن باحث واحد لو تصدى للكتابة في هذا الموضوع، ويمكن جمع هذه الإجابات ثم اختيار الملائم منها ونشرها في موقع أو كتاب.

والمخطط لهذا أن يعمَّ طبقات المجتمع المسلم الفكرية المتعددة، والعلوم المتنوعة، مثل علم الكلام، والأدب الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والتصوف، والبلاغة، والفلسفة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، والحضارة الإسلامية، عدا ما هو معروف من العلوم الشرعية الجليلة..

كما أن الفكرة مطروحة لتكون رسالة جامعية عالية، بل رسائل، حيث تعلق الأمر بأكثر من جانب علمي متخصص...

وأخيراً أشير إلى أن هناك من سبقنا إلى البحث في هذا الموضوع من الغربيين، ولا عذر لنا في التخلف عنهم فيه، فالمجال مفتوح لمن شاء للخوض فيه...

ومما وقفت عليه من ذلك:

كتب غيَّرت وجه التاريخ / تأليف روبرت داونز؛ ترجمه أمين سلامة، صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كتب غيَّرت التاريخ / تأليف أشرف عبدالغفور قدح (لم أره).

تراث الإنسانية: السلسلة التي تناولت بالتعريف والبحث والتحليل "روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإنسانية" وأصدرتها الهيئة السابقة...

ويفعل الله ما يشاء.

ملحق فيه

تعقيب وبيان حول

"كتب قيمة إسلامية بينة"

إلى الإخوة القائمين على موقع "الألوكة" حفظهم الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإني أشكر لكم موافقتكم على نشر "كتب قيمة إسلامية بينة" في الموقع، الذي أرجو الله أن ينفع به.

وعذراً إن تدخلت في شؤون التحكيم عندكم، وما أذكره هنا دفاع عما اخترته من عرض كتاب حذفتموه، وهو "كتب إسلامية غيرت الفكر الإنساني" لمؤلفه أحمد الشنواني.

١. ليُعرف أولاً أن عرض الكتاب ليس تزكية له ولا دفاعاً عنه، وقد نبهت إلى ذلك في آخر مقدمة الكتاب بقولي: "**على أن ذكرها هنا ليس تزكية لها جميعاً، وإنما هو تنبيه لموضوعاتها وما بحث فيها**".

٢. الكتاب جديد في موضوعه لم يتطرق إليه من قبل، ولم يؤلف فيه أحد، على الرغم من مرور نحو ثلاثة عشر قرناً على تأليف الكتب في الإسلام. فما هي أكثر الكتب تأثيراً في ساحة الإسلام، أعني تأثيرها على المسلمين على مدى هذه القرون، بغضِّ النظر عن نوع المحتوى، وملاءمته لمذهب فقهي أو عقدي دون آخر؟

ولذلك يُكتب لمؤلف هذا الكتاب الريادةُ في خوض هذا الموضوع، بغضِّ النظر – أيضاً – عن نجاحه أو فشله فيه، بل توسع في موضوع الكتاب ليشمل "الفكر الإنساني" وليس الإسلاميَّ وحده، ولذلك أورد عناوين كتب فلسفية وأخلاقية أثرت في الفكر الغربي أيضاً.

٣. والهدف من عرضه ليس موافقته على كل ما يقول، ولا على ما يقوله بقية الكتَّاب فيما يأتي من عرض كتبهم، بل هو "للإشارة" إلى موضوع هذا الكتاب الخطير، فقط الإشارة، ليعلم القارئ أهمية موضوعه، وأنه بُحث، وليكون على علم به.

وقد أشرت إلى هذا النوع من العمل في مقدمتي أيضاً، فقلت "**والهدف من هذا كله الإشارة إليه، وتنبيه القارئ إلى موضوعه وأنه بحث، ليقتنيه أو يقرأه من شاء**".

فهل من حرج إذا عُرِضَ رأي كاتب، في حيدة علمية، ليُطَّلَعَ عليه؟

ألا توجد كتب كثيرة شرعية وغير شرعية في مكتباتنا الخاصة والعامة توجد فيها أخطاء وخلافيات ووجهات نظر واجتهادات لا توافق ما نرتئيه، منها ما هو غير محقق ولا تعقيب عليها، فلا نضيق بها، ولا يمكن الاستغناء عن بعضها أصلاً، لأنه لا مقصد لأهلها في مخالفة الإسلام، بل هو اجتهاد ورأي، ويقال في هذا الكتاب مثلما يقال في غيره.

٤. وإذا لم ينجح الباحث في مشروع له فلا يعني إهماله "كاملاً"، بل يستفاد منه ولو في شيء قليل، ويكفي أنه فتح المجال في هذا الموضوع، أو نبَّه إليه، أو فتح شهية النقاد ليكتبوا ويصححوا ويزيد ويعقِّبوا، فتزاد المناقشة العلمية النافعة في هذا الموضوع، فالفكر يقدح الفكر، والعلم يزيد بين اثنين كما يقال.

وعندما عرضت الكتاب أشرت إلى أن الكاتب لم يوفق في الوصول إلى ما كنت أؤمّله، بل إنه تطرق إلى جزء مما هو مطلوب، وقلت فيه: "**عندما وقع عيني على هذا الكتاب تأملت أن يكون قائماً بما جاش في قلبي وسيطر على فكري، لكنني رأيت أنه جزء من المشروع وليس كله، وقد يكون عليه نقد، والمهم هنا أن أذكر للقارئ مقتطفات من مقدمته منه**".

٥. فما يقول إخواني في التحكيم: إبعادُ الكتاب أفضل، أم الإشارة إليه ليفتح مجالاً للنقاش المفيد، ويتحرك إلى الكتابة فيه من هو أكثر اطلاعاً، فيزيد الموضوع إيضاحاً، ويعطيه حقه، وخاصة أنه لم يكتب فيه حتى الآن كما قلت؟ وقد ذكرت في المقدمة إلى أن هناك موضوعات قُتلت بحثاً حتى مُلَّت ولم تعد تقرأ، وموضوعات لم تبحث، أو بحثت ولم تعط حقها... وقد يوافقني القارئ على أن هذا الكتاب ينطبق على ما كتبت بما هو مفهوم.

وفي جميع الأحوال لا خسارة من عرضه ألبتة، بل الفائدة –عندي– واضحة تماماً.. والله أعلم..

٦. والوضوح في الفائدة يكمن في أن معرفة الكتب ذات التأثير على المجتمعات والطبقات العلمية منها خاصة يفيد الباحثين في معرفة نقاط التأثير وأسلوب الكتابة ومجالها وكيفية اختيار الموضوع، ليكون ذلك قائداً إلى الكتابة وطريقة التأثير، ومن ثم الاستفادة منها للكتابة فيها حالياً بما يفيد المسلمين ويجمع كلمتهم ويثير فيهم كوامن الخير والقوة.

والذي يفتح مثل هذا المجال هو الإشارة إلى مثل هذه الكتب وعرضها.

٧. ومن الأمور التي قد تبرز في النقاش هنا هو اختيار عشرة كتب معروفة من كل فن من فنون العلوم الإسلامية، الشرعية منها وغير الشرعية في ساحة الإسلام، ثم اختيار خمسة من هذه العشرة، ثم واحد من الخمسة، لتبرز أهم الكتب تأثيراً. ويبدو واضحاً أن الاختلاف في وجهات النظر ستكون واردة، لكن المهم هو تحريك الفكر، والإشارة إلى ما هو "مؤثر" و"فعال" و"مفيد"، وهو المطلوب.

وستمتد المناقشة إلى الكتب الأكثر تأثيراً في عصرنا هذا، ولتكن عشرين مثلاً، في فنون مختلفة، كالتفسير، والعقيدة، والدعوة، والتراجم، والحديث، واللغة العربية...

وقد كتبت شروطاً لمن أراد أن يبحث في هذا الموضوع، عندما عرضت الكتاب المذكور.

وإن كل هذا يقود إلى آفاق أوسع في الفكر والثقافة، وعدم التضييق على ذلك هو ما كنت أرجوه من إخواني في "الألوكة".

٨. هذا مع الإشارة إلى ما هو معروف عند الباحثين، من أن الموضوعات التي يتطرق إليها أول مرة تتأرجح بين القوة والضعف، حتى يأتي من يكمل مواضع النقص فيها، ويأتي آخرون فيزيدونها إيضاحاً وأمثلة، فتكتمل جوانب الموضوع، ولعل هذا ما حدث لمؤلف الكتاب الكريم، وهو ما يؤمل من عرضه.

٩. يبقى القول في تسمية الكتاب "**كتب قيمة إسلامية بينة**" وأن الكتاب المذكور لا يندرج تحت هذا التعبير، من وجهة نظر إخواني في "الألوكة".

أقول: فيه جانب من ذلك لا شك، دون تحديد نسبته، ويكفي المؤلف أنه تطرَّق إلى موضوع لم يتطرق إليه من قبل، ولو أنه لم يحقق الهدف منه كاملاً.

ثم إنه لا يشترط أن يشمل المصطلح جميع جزئيات الموضوع الذي يتناوله، بل يكفي أن يكون معظمه كذلك، وهو أمر معروف عند الأصوليين، فلا يشترط أن يكون جميع فصول وبحوث ومطالب الكتاب مندرجة تحت عنوان الكتاب بكل دقة، بل هو عنوان عام لأبوابه وفصوله.

وهناك من يختار عنوان قصة من مجموعة قصصه يعنون بها كتابه!

وأمثلة هذا كثيرة.

فإذا قلت في العنوان "كتب قيمة" فلا أعني كل المؤلفات المعروضة فيه، فقد تكون عشرة منها من بين مائة ليست كذلك، وإنما الهدف من عرضها هو التنبيه إلى أهمية موضوعها. ثم إن ذلك يختلف من وجهة نظر مؤلف إلى آخر.

١٠. فرجائي من إخواني في التحكيم أن يأخذوا جميع ما ذكرت في الاعتبار إذا أرادوا حذف عرض كتاب ما.

وإذا لم يبدُ لهم وجه الفائدة فيه فليقدِّروا اختيار المؤلف، فهو المسؤول أمام القراء عن عمله.

١١. ومن خلال هذا التعقيب أقترح على موقع "الألوكة" أن يقوم القائمون عليه بعمل دراسة محكمة وتصميم استمارة موجزة وطرحها لمساءلة المرتادين إليه عن أهم الكتب أو أكثرها تأثيراً في الإسلام، مع بيان السبب والمقارنة، حسب المقدرة. فقد يتلقون مشاركات قيمة قد لا تخطر على ذهن باحث واحد لو تصدى للكتابة في هذا الموضوع، ويمكن جمع هذه الإجابات ثم اختيار الملائم منها ونشرها في الموقع أو في كتاب. لكن الذي أرجوه هنا أن يكون الأمر شاملاً لا مذهبياً، ليشمل طبقات المجتمع المسلم الفكرية المتعددة، مثل علم الكلام، والأدب الإسلامي، والإعلام الإسلامي، والتصوف، والبلاغة، والفلسفة الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي، عدا ما هو معروف من العلوم الشرعية الجليلة.. ويفعل الله ما يشاء.

١٢. بعد هذا، أرجوا ألا يكون هناك بأس من عرض هذا الكتاب، كوني قارئاً في الموقع، لا معداً أو مؤلفاً.

فالكتاب هو "**كتب إسلامية غيَّرت الفكر الإنساني**" الذي ألفه أحمد الشنواني، وصدر في دمشق والقاهرة عن دار الكتاب العربي سنة ١٤٢٥هـ، ويقع في ٢٥٦ص.

قلت في أوله: "كان موضوع هذا الكتاب قد شغلني سنوات، وحُبِّب إليَّ بحثه وعرضه، لكنني كنت أهاب الخوض فيه، فهو يحتاج إلى عقل "جبّار" ومعرفة ودراية بالثقافة الإسلامية على مدى العصور، والحضارة الإسلامية الكبيرة، وكنت أقول إن الذي يريد أن يكتب فيه ينبغي ألا يكون مذهبياً، حتى لا يدرج شيئاً مما تعلق به ضمن أشياء أخر هي أقوى وأجلّ.. وكانت الفكرة تبرق في ذهني مرة بعد أخرى، فأطفئها أو "أختبئ" منها بحجة أنها كبيرة على أمثالي من طلبة العلم، وأنني قد أبحث فيها إذا ازددت علماً وخبرة إن شاء الله. وكان العنوان الذي اخترته تقريباً هو "**أكثر الكتب تأثيراً في الفكر الإسلامي**" أو"**في الحياة الإسلامية**".

وعندما وقع عيني على هذا الكتاب، تأملت أن يكون قائماً بما جاش في قلبي وسيطر على فكري، لكنني رأيت أنه جزء من المشروع وليس كله، وقد يكون عليه نقد.. والمهم هنا أن أذكر للقارئ مقتطفات من مقدمته، ثم قائمة بالكتب التي عرضها، وهي عشرة.

ذكر المؤلف أننا نجد في تاريخ الإسلام عدداً من الكتب العظيمة التي كان لها أعظم الأثر على مسيرة الحياة والإنسان والتاريخ والثقافة والفكر والعلم والمدنية، وأنه جمع في كتابه هذا عشرة كتب من الكتب الإسلامية الرائدة والخالدة التي أثرت تأثيراً عظيماً على الفكر الإنساني على مرِّ التاريخ، وأنها خلاصة قراءات للكتب لفتت نظره إلى ما فيها من فكر وتجربة وخبرة، وهي:

١. **الموطأ** لمالك بن أنس (الكتاب الذي صار الأساس لبناء المدرسة الفقهية للعالم الإسلامي بأسره)

٢. **الرسالة** للإمام الشافعي (أول كتاب منظم قدم للإنسانية الفكر القانوني والتشريعي للإسلام).

٣. **المسند للإمام أحمد بن حنبل** (أكبر موسوعة لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وفتاوى الصحابة وأقضيتهم)

٤. **الجامع الصحيح للإمام البخاري** (أعظم عمل علمي يجلُّه المسلمون).

٥. **الرسائل الفلسفية للكندي** (الرسائل التي ثبتت دعائم الفلسفة الإسلامية).

٦. **تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق** لابن مسكويه (الكتاب الذي أرسى تقويم الأخلاق والسلوك على أساس دراسة علمية سليمة).

٧. **إحياء علوم الدين** للغزالي (مرجع الباحثين على الإيمان الصحيح الذي سيظل مصدر إلهام ونور في العالم الإسلامي)

٨. **الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة** لابن رشد (الكتاب الذي ترك أعظم الأثر في أوروبا وأخرجها من ظلمات التقليد إلى نور العقل والفكر).

٩. **الإصابة في تمييز الصحابة** لابن حجر العسقلاني (الذي لقب بمرجع العلماء وحجة الفقهاء ولسان الحكماء).

١٠. **رسالة الخلود** لمحمد إقبال (الرسالة التي فسرت حقيقة الخلود وناقشت قضايا الإنسانية بطريقة فنية رائعة).

محمد خير رمضان يوسف

٣٠ ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ

(ك)
نعم .. ولكن ما السبب؟
وكيف العلاج؟

قرأت للأستاذ علي العمير مقالاً طريفًا بعنوان (الإعلان الماكر) في جريدة "عكاظ" العدد (٦٩٨٨) في ١٤٠٥/١١/٢٠هـ تطرّق فيه إلى الحيلة التي باع بها صاحب دار نشر بأمريكا (١٧) ألف كتاب في أسبوع واحد، عندما أعلن أن في الكتاب خطأ مطبعيًّا، والذي يكشف هذه الغلطة سيأخذ جائزة قدرها خمسة آلاف دولار.

وبعد تعليقه الساخر على هذا الإعلان – الذي أوافقه عليه – بدأ بالتهجم على جمهور الكرة والفن والتليفزيون والفيديو؛ لأنه ولو أعلنت إحدى دور النشر عن كتاب بهذا الأسلوب في بلدنا، فإنها لن تجد مِن جميع هؤلاء أية أذن مصغية، أو أي قلب واعٍ، بل لن يقرؤوا الإعلان نفسه ..

وتحمس أكثر عندما أعلن هو أيضًا، أنه سيقوم بتوزيع الكتب مجانًا لكل من يطلبها، وأصر على كلمة: (لكل من يطلبها)؛ لأنه على ثقة بأن أحدًا في بلادنا لن يشغلَ نفسه بطلب كتاب ..

وكان إعلانه هذا آخِرَ مقاله!

وفي البداية أذكر أنني على وجل من الرد عليه، فأخشى أن يمطرني بوابل كلماته في مقال آخر، ويهرس كلماتي بحدَّة قلمه، ولكنني أشُدُّ العزم وأتوكل على الله.

فقد لاحظت كثيرًا على قادة الأقلام وهم يتهجمون على شباب اليوم ومثقفيه، وينقدون الواقع المرَّ الذي يعيشون فيه، فلا يعقدون صداقة مع كتاب، ولا زمالة مع القلم، ولا منتدى للعلم، ولا سهرة للثقافة، بل أمرهم موزع بين الكرة والتليفزيون، والسيارة والفيديو .. إلخ.

ويطلبون منهم جميعًا أن يتركوا هذه الأمور، ويُقبلوا على العلم والقراءة والمدارسة، فإن الأمة بحاجة إلى جهود الشباب، قلب الأمة النابض ..، الحضارة والمدنية لا تقومان على أكتاف

هزيلة مترنحة، بل هما بحاجة إلى عمل وطول مثابرة .. ولكن أين المجيب، وأين المتأثر بهذه الكلمات؟!

هل يكفي أن يُبرِز أساتذتُنا العلَّةَ ويشخِّصوا المرض، ويحوموا حول السرير الأبيض، أم أننا بحاجة إلى دواء ومعالجة؟

لا شك أنها ظاهرة متفشِّية غير صحية، وشبابنا غدَا تائهًا ضائعًا لا يعرف واجبه، ولا يفكر في مستقبله، بل ينظر إلى الواقع ويقتنع به، ولا يحاول تطويره، إلا ما ندر!

والواجب على العلماء والخبراء أن يعقدوا جلسات كثيرة، ليعطوا حلاً لهذه الأزمة الخانقة .. الأمر ليس سهلاً، بل هو بحاجة إلى مدارسة وتخطيط، بحاجة إلى دراسات ميدانية لفئات المجتمع المتعدِّدة.

نريد أن نعرف آراءَ الموظفين والطلاب والفنيين والأطباء والأطفال والنساء وذوي المهن المختلفة .. لماذا لا يقرؤون؟ لماذا لا يقتنون مكتبات في دورهم؟ لماذا لا يحبِّذون لأولادهم حب القراءة وجمع الكتب؟ ما أسباب عكوف الشاب على الفيديو وتعلقهم بالسيارة؟ ما الذي دعاه لهجر الكتاب وعدم تذوُّق كلماته؟ ألأنه خاوٍ من العلم أم أنه لا يجد ما يناسب ذوقه وتخصُّصَه كيف يريد أن يحصل على الكتاب؟ لماذا لا يتردد على المكتبات العامة والخاصة؟ هل إذا أهديته كتابًا سيقرؤه؟ وما نوعه؟ ما الدافع الحقيقي وراء انشغاله بأمور اللهو واللعب؟ هل تمر به لحظات تفكير يريد أن يكون أديبًا أو عالِمًا؟ وكيف؟

إنها أسئلة كثيرة بحاجة إلى تبويب وترتيب، ولو قامت بهذه الدراسة وزارة الإعلام أو وزارة التعليم، أو رئاسة الشباب، أو جمعية الثقافة والفنون لوجدت منه نفعًا حاضرًا، تنطلق من خلالها إلى وضع اليد على مكان الجرح، والتخطيط لأمر مستقبل.

ولا شك أن هناك اقتراحات عديدة لعودة الجمهور إلى العلم والاستفادة منه، كل حسَب تذوقه وتخصصه .. ولكني لا أرى أن الكتاب هو القناة الوحيدة التي من خلالها يمكن جذبُ الشباب للعودة إلى حظيرة البحث والمدارسة والتزود بالعلم .. نَعَم، إن الكتاب له أهله ومحبوه من الباحثين والمثقفين الذين يرون ضرورته، ولكنه غَدَا أداة إعلامية للتعليم والتثقيف، وليس للإعلام والترفيه .. وأنت خبير – عزيزي القارئ – أن الوسيلة الإعلامية تحاول جاهدة أن

تؤثر في فكر المتلقِّي عن طريق التشويق والإخراج الناجح، وهو ما لا يكاد يوجد في الكتاب؛ فالكتاب جادٌّ، والجمهورُ غير جادٍّ؛ فأنى الملتقى؟!

علينا أولاً أن نخفف من علاقة الجمهور بوسائل اللهو واللعب، بأن نوجِدَ له البديل المشوِّق المقبول والمفيد.

أما أن نسحب من تحته الفراش الوثير، ونضعه – فجأة – على أرضٍ لم يتعوَّدِ الجلوس عليها، فإنه في نظري ليس مِن الحكمة والخطة السليمة.

البديل في نظري أن تكثف رئاسةُ الشباب والنوادي الأدبيةُ وجمعية الثقافة جهودَها – مع اعترافنا بأنها تبذل جهودًا كبيرة في هذا الصدد – من أجل لفت نظر الشباب إلى ما هو أهمُّ من الكُرَة والفيديو والسيارة، وتركز على ذلك بأفانينَ متعددة ..

ولو أخذت وسائل الإعلام دورها – والصحافة – منها – على وجه الخصوص – في هذا وأحكمَتْ خطتها بقدر ما تعطي الأهمية على صفحاتها كل يوم للرياضة، لاختلف الوضعُ، ولتغيَّرت الحال.

ولو أُعطِيَت الأهمية للمبدعين في الأدب، وأصناف العلوم، وعُقِدت معهم اللقاءات، وأخذت لقطات من الصور لمكتباتهم، وبيِّن مدى تعلُّقهم بالكلمة – وبخاصة الشباب منهم – أكثر من الرياضين والفنانين، لكان الوضعُ غيرَ ما هو الآن!

ولو تبرَّعت الجرائد في صفحات إعلاناتها للدعاية ككتاب هام للشباب، وقمين بأن يقرأ، مع إعلانات السيارات والعطور والأحذية، لاستقام الحال أكثر من السابق.

ولو كان هناك اتفاق بين الإعلاميين بأن يسألوا أثناء إجراء أي لقاء عن الكتاب المحبَّب إلى المسؤول – بخط عريض في ذلك – لترسَّخ في الأذهان قيمة الكتاب وأهميته.

ومنذ مدة ليست بالقصيرة وأنا أفكر في حلٍّ للشباب، من منظور عام لأزمتِه الثقافية، وكيفية تحوله إلى المنبع الأصلي للثقافة – وهو الكتاب – وأخذت في ذهني بأن يبقى الشباب مرتبطًا بما هو مرتبط به الآن، فما الحل؟

إنها خطة على المدى البعيد إذًا، وأرى أثناءها أن تحول فكرة كل كتاب مهم إلى حوار وسيناريو، تؤدى من خلال عروض مسرحية، أو مسلسلات تليفزيونية، بإخراج مشوق ومؤثر، تتبيَّن فيها الحياةُ الاجتماعية أو الفكرية لفئات المجتمع المختلفة.

وهذا إنما هو اقتراح وجزء من الإصلاح، وليس كله، وهل المهم قراءة الكتاب بذاته أم إيصال فكرته إلى الجمهور؟ والباب مفتوح للحوار والمناقشة!

(نشر في جريدة "عكاظ" بجدة ع ٦٩٩٩ (١/١٢/١٤٠٥هـ))

(ل)
رثاء كتاب من ورق

عندما تقرأ كتابًا فقد تبتسمُ وتقهقه،

وقد تدمعُ عيناكَ وتكفكف،

أو تستغرقُ في تفكيرٍ طويلٍ وتتخيَّل...

إنه فيلمٌ وثائقيٌّ إنسانيٌّ من ورقٍ ومجموعةِ حروفٍ متتالية،

يرسمُ لكَ مشاهدَ ويضعُ لكَ حوارات،

ويذهبُ بكَ إلى آفاقٍ أو يضعُكَ في وديان،

ويعطيكَ فكرًا ومعرفة،

وعلمًا وزادًا..

....

لقد تعبَ هذا الكتابُ الذي حملَ أطنانًا من أفكارِ البشر،

فيها آلامهم وآمالهم،

وسلمُهم وحربهم،

وودُّهم وغدرهم،

وقصصهم وحكاياتهم،

ومعارفهم وعاداتهم،

وعقائدهم وفلسفاتهم،

وعلومهم ولغاتهم،

وآدابهم وأشعارهم،

وأمثالهم وحِكَمهم،

وتاريخهم وسيَرهم،

على مدى أحقابٍ من التاريخ،

وسلَّمَ هذا الكتابُ نفسَهُ إلى أشعَّةٍ وإلكترونات،

ليقبعَ خلفَ ملفّاتٍ ومجلَّداتٍ في زوايا لا تُلمَس،
ولا تُرَى إذا طُفِئَ ضوؤها!
بعد أن كان جسمًا وجمالاً وهيبة،
لقد كان الكتابُ متواضعًا جدًّا عندما قبلَ أن يكونَ كذلك،
وادَّعَى الإنسانُ أنه فعلَ به ذلك لتقدُّمِ العلم،
ولمناسبةِ زمانِ الإلكترون!
وبقيتْ نُسخٌ على استحياءٍ تبحثُ عن قارئ قديمٍ ليلمسها بحنان،
ويتذكَّرَ جنسَ الكتابِ وتاريخَهُ القديم،
وزمانَهُ الأصيل،
وعطاءَهُ الجزيل،
والقارئُ ساكنٌ حزينٌ لا يتحرك،
قد احدودبَ ظهرهُ من الهمِّ والألم،
والكتابُ كأنه جدثٌ أمامه،
وقد انحنى وشكَّلَ قوسًا عليه،
وكأنه يقولُ له:
لقد هرمتُ مثلك،
وكلانا سواء!

(م)

مفارقات في أخبار الكتب

- الشيخ أمحمد علي زغوان من طرابلس الغرب، المتوفى سنة ١٣٩٤ هـ، عيِّن مديراً لمكتبة الأوقاف، وكرِّس جهوده لتنظيم كتبها ومخطوطاتها، ثم تفرغ لكتابة المخطوطات، منها مخطوطة بعنوان: مفاتيح الجنان، وآخر بعنوان: موالد النبي المكارم، وآخر بعنوان: جمع الجوامع (٤٠ ج) ولعل العنوان من قبله. (ينظر: المختار من أسماء وأعلام طرابلس الغرب ص٨٣).

- في معرض فرانكفورت للكتاب عام ١٤٢٨ هـ (٢٠٠٧ م) ابتُكر مؤشر يدلُّ على الكتب الأكثر سرقة من غيرها، وقد أعد قائمة بالكتب التي سرقت أكثر من غيرها من على منصات (١٥) دار نشر شاركت في المعرض. وذكر أن من فائدة هذا المؤشر أنه يدل على أفضل الكتب مبيعاً.

- الكابتن محمد سيف الدين، مؤلف كتاب "الميني تنس للأطفال" تقدم لاقتحام موسوعة جينس العالمية، أما السبب فهو غريب حقاً، ويتمثل في أنه حقق أقل مبيعات كتاب في العالم من خلال الكتاب الذي بيع منه (٤) نسخ فقط، إلى جانب (٥) أعداد مجانية تم توزيعها، من بين (٥٠٠) نسخة تم طبعها. ومن هذا المنطلق قدم طلباً رسمياً لمحاولة الدخول في موسوعة جينس المذكورة! (الأهرام ع ٤٤٠٧٧-١٤٢٨/٨/٢٨ هـ).

٢- الكتب: عرض ومراجعة ونقد

(أ)
كتاب في التأليف الجماعي

التأليف الجماعي/ أنس محمد خير يوسف وآخرون.- [الرياض: شركة العبيكان للتعليم، ١٤٣٨ هـ]، ٢٩٧ ص.

كتاب نادر، فريد من نوعه، في التأليف الجماعي!

وتطابق مضمونه مع أسلوب تأليفه، فإن تأليفه أيضًا جماعي!!

وفيه لمحة تاريخية عن هذا النوع من التأليف: قديمًا وحديثًا، وبيئاته الفعلية والافتراضية، وشروط ومحددات هذا التأليف، ونماذج عربية منه، ومعوقاته، وبيان الحقوق الأدبية والمالية في التأليف الجماعي (وضمنه نموذج من اتفاقية مصنف جماعي)، وخطوات التأليف فيه، وأبرز التجارب الدولية في مجال التأليف الجماعي، وبحث بعنوان: التأليف الجماعي في الثقافة الإسلامية، وأخيرًا: أساليب وطرق التأليف الجماعي، الذي تلخص في: التأليف الجماعي التتابعي، والتأليف الجماعي المنفصل، والتأليف الخليط، والتشاركي، والعشوائي، وجماعية الأفكار لكاتب واحد، والتأليف التتابعي الحلقي، والكتاب الجماعي.

وضمَّنه أهم المزايا والعيوب لكل طريقة.

(ب)
حول كتاب "حكم وآداب"

نشرَت جريدة "الشرق الأوسط" في عددها: ٧٥٧٠ بتاريخ ٩/ ٥/ ١٤٢٠ تعليقًا للمُحقِّق الناقد جليل العطية يلومني فيها أو يَنقدني كيف نشرت كتاب "حكم وآداب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه" قبل البحث عن مؤلفه، وأنه كان يجب علي أن أكون "أصبر من الأرض" فأبحث وأبحث وأبحث حتى أعرف مؤلفه.

هذا هو كل محتوى تعليقه، ولكنه ليس هو مضمون مقدمته، فإن بينهما بونًا شاسعًا ولكل منهما حديث.

١ - أما المضمون فكان أول ما انتهيت منه أن طويت الجريدة لأبقى في شأني وأتابع ما أنا بصدده؛ فقد وقفت على الكتاب الأصل "غرر الحكم ودرر الكلم"؛ للآمدي، وعرفت أن كتاب "حكم وآداب" قطعة منه، وكان هذا منذ مدة طويلة، وصحَّحت ما يلزم فيه وأعددت مقدمة للطبعة الثانية منه، أنوِّه بها للقارئ، وأُعلمه بذلك، ثم بدا لي ألا أعيد طبعه، فإن الكتاب الأصل موجود، ولم تعد هناك حاجة لـ "قطعة" منه، ولم أر حاجةً للتنويه بذلك في جرائد أو مجلات، إلا إذا دعا الأمر في خصوصية معينة، مثل هذه.

٢ - أما بشأن عتب المؤلف وكيف نشرتُه ولم أصبر أكثر، فأقول بأنني بحثت وبحثت وصبرت وصبرت، وعذري أن الكتاب لم يكن متوفرًا، لا في المكتبات العامة التي أتردد عليها، ولا في كبريات المكتبات التجارية في البلد الذي أقيم فيه، ثم إن السفارة الإيرانية أهدت مجموعة من مراجع كتب الشيعة إلى مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، فوقفت على الكتاب هناك، ولعله كان من تلك الدفعة، ويبدو أن المؤلف من الشيعة، فعرفت أنه هو.

وقد ذكرت في مقدمة الكتاب أن هذه القطعة من المخطوطة لم يعرفها حتى مالكها، وهو الأديب المطلع المرحوم عبدالعزيز الرفاعي، وهو الحريص على اقتناء أندر الكتب وأمهات المراجع، وكتب في مجلة "الفيصل" سلسلة طويلة من زاوية "وللحديث شجون"، في أصعب ما يتعرض له من تحقيقات تراثية، وصدرت في "كناشة الرفاعي"، بعد وفاته - رحمه الله -

فلماذا لم يعرفها هو أيضًا؟ إن عذره هو عذري، وعذري عذره؛ فإن كتب الشيعة لا يمكن الحصول عليها بسهولة، وإذا لم يكن هذا الكتاب متوفرًا فكيف السبيل إلى معرفة تلك القطعة من المخطوطة؟

وعجبي مما قاله المحقِّق الفاضل من أنني لم أُتعِب نفسي بالبحث عن المؤلف، واحتجَّ بهذا أنني وقفت على المرجع الفلاني فلماذا لم أقف على المرجع الآخر؟! فهل يمكن للمرء الوقوف على ما يشاء من مراجع؟ أوَلا توجد معوقات تخطر على بال كل قارئ، منها ما ذكرت؟

٣ – ولعله من المناسب هنا أن أطرح موضوع "المخطوطات التي لا يُعرَف مؤلِّفوها"، فهل الأفضل أن يبقى النافع منها حبيس الخزائن لا يُنشَر أم الأفضل نشره لتعم فائدته، ثم يأتي التوجيه والنقد والتحقيق من النقاد والأفاضل، ليُعرَف المؤلف، ومن ثم يصحح ما يلزم ويوجه التوجيه الصحيح في الطبعة الثانية من الكتاب؟

إنني مع الرأي الثاني؛ أي: نشر المخطوط النافع الذي لا يُعرَف مؤلفه بعد البحث والعرض على علماء التراث، بل أنصح كل مَن لديه مخطوطة ثمينة نافعة أن يفعل ذلك، وإذا لم يجرؤ عليه فليُرسلها إليَّ لنشرها، لتعم فائدتها، وليقل النقاد فيَّ ما يقولون.

وإنني هنا أركز على الفائدة العملية وليس الجدل النظري، أركز على ما ينتفع منه الباحث في بحوثه ودراساته العليا وتحقيقاته العديدة، ونصوص لا يكاد يصل إليها إلا بعد تعب مضنٍ.

٤ – وسأذكِّر بكتب تراثية عديدة منشورة ما زالت ناقصة الأجزاء وناقصة الصفحات، فلعلها إن نُشرت تكون مكمِّلة لها، وأنى لمحققي تلك الأصول أن يعرفوا الأجزاء الناقصة وهي قابعة في خزائن مخطوطات لا يُعرَف مؤلفوها؟ أليس الأفضل بعثها من رقادها بطبعها ونشرِها ليقف عليها مَن يُريد ذلك، فيرى فيها ما يرى؟ وأية خسارة في ذلك؟ بل الفائدة محقَّقة إن شاء الله.

٥ – وأذكِّر هنا بكتاب "درة التنزيل وغرة التأويل" في الآيات القرآنية المتشابهة، الذي طبع منذ أمد طويل منسوبًا إلى الخطيب الإسكافي، ثم تنبه الأستاذ عمر الساريسي إلى خطأ نسبته إليه فأوقف القراء على أنه للراغب الأصفهاني وليس للخطيب الإسكافي، واضطرب ميزان نقدِه عندما تدخل الأستاذ أحمد فرحات – جامعة الكويت – ليعضد رأيه بشواهد من أن مؤلفه الحقيقي هو قوام السنَّة، وليس الراغب ولا الإسكافي!

والكتاب ذو فائدة كبيرة للقراء والباحثين، لكن مؤلفه الصحيح لا يُعرَف حتى الآن... فلا بأس من طبع الكتاب مهملاً من ذكر مؤلفه، أو ذِكره كما أورده النساخ، ثم يأتي النقد والتحقيق.

وأيهما أخطر: نسبة الكتاب إلى غير مؤلفه أم طبعُه بدون ذكر المؤلف؟ ثم: ألم تتحقَّق الفائدة بطبع كتاب "درة التنزيل"؟.

ومثل هذا قليل – عزيزي القارئ – والهدف إبراز المكنون وتجليته أمام عيون الرقباء ومختبرات علماء التراث، ليعرفوا ويسدِّدوا، مع تحقُّق الفائدة مسبقًا، وأرجو ألا يحمل كلامي هذا محملاً لا يطيقه.

٦ – أما صلة ما قلته بما نحن بصدده فهو: أنني وقفت على صورة مخطوط جميل، فيه حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والذي جلب فيه نظري هو "ترتيبها الهجائي"؛ حيث تمر بالباحث أقوال وحكم لعلي رضي الله عنه فيجد صعوبة في الوصول إليها؛ نظرًا لعدم ترتيبها، وعندما وقفتُ على هذه القطعة الأثرية والحِكَم فيها مرتبة، أعجبني هذا العمل، وعزمت على نشره ولو لم أعرف مؤلفه، فلعله يُعرَف بعد نَشرِه، وقلت في مقدمة الكتاب: "ولا شك أن مُحاوَلةَ جمع حِكَم الإمام علي رضي الله عنه عمل جدير بالتقدير، وترتيب هذه الحكم بأسلوب مُحكَم يستحق الإعجاب والتكريم، وتوثيقها مطلوب في أية حال، ولو عثر على نسخة أخرى صحيحة كاملة من هذا المخطوط وعُرف جامعه، لكان هو الآخر عملاً مجيدًا".

وقد بحثتُ في الكتب والمراجع لأقف على ما يدلُّني على أن هناك كتابًا فيه حكم عليٍّ مرتبة فلم أقف، فأيهما كان أفضل: أن أبقي الكتاب هكذا مخزونًا نائمًا، أم أحقِّقه وأطبعه ليقف عليه القراء والباحثون ويعلموا أن هناك من جمع حكم عليٍّ ورتَّبَها، ولكن يلزم معرفة الكتاب كاملاً والبحث عن مؤلفه، ولينتج عن ذلك بحث ونقد وتوجيه؟ وأي خطر ينتج عن نشره كما هو؟

٧ – ماذا لو نشرت هذا المخطوط كما هو، ولم أزد فيه ولم أنقص، ورأيته مجهول المؤلف فقلت على غلافه "لمؤلف مجهول"؟ هل مِن شائبة تَحوم حول عملي هذا؟ هل قمت بـ "تزوير" في الحِكَم، أم زوَّرت اسم المؤلف؟ هل "لفَّقت" بين شيء من هذه الحِكَم وضربتُ

بعضها ببعض، أو وضَح فيه اسم مؤلف فلويت عنق أحرفه وكتبت بدلاً منه اسم شخص آخر لغرض في نفسي؟ هل "شوهت" المخطوطة بذلك بعدم تحقيقها جيدًا أو نشرت قطعة منها دون قطعة أو شوَّهت اسم مؤلف كان عليها؟ هل "ولَّدتُ" حِكَمًا جديدة من عندي وأدخلتها بين هذه الحكم أو اقترحت وولدت اسم مؤلف بعيد؟!

إذًا اقرأ ما قاله الأستاذ الفاضل جليل العطية في أول كلام قاله في التعليق المذكور: "المتتبّع لنشر التراث العربي - الإسلامي يُفجع بسبب كثرة التشويه والتلفيق والتوليد والتزوير الذي لحق النصوص والآثار المنشورة خلال العشرين سنة الماضية، ولو فكر بعضهم في إعداد موسوعة بأسماء المزورين المنتشرين في بيروت وطرابلس والقاهرة وتونس وغيرها من حواضر الوطن العربي، لقدم لنا قائمة سوداء نافعة".

قد بدا لك - عزيزي القارئ - ما وضحته، ثم قرأت كلام الأستاذ جليل وتلميحه إلى التشويه والتلفيق والتوليد والتزوير، لكنه لم يصرّح بذلك في محتوى التعليق، فما معنى إيراده هذا الكلام في المقدمة، وما صلته بالموضوع الذي هو بصدده؟ أيُّ تشويه وأي تلفيق وأي توليد وأي تزوير في قطعة من مخطوطة لم أرَ عليها اسم مؤلفها فنشرتُها كما هي؟!

هل أعتبر بذلك "مُزوِّرًا"؟ إن الأستاذ جليل نفسه سيقول لا، كما هو جواب أي قارئ أيضًا. إذًا فما مجال ذكر هذه المقدمة وما صلتها بموضوع التعليق؟

٩ - لقد مضى ما يقرب من شهر على مقاله هذا ولم أردَّ عليه، وما رأيت حاجة إلى ذلك، فإني عرفت مؤلف الكتاب، بعد أن وقفتُ على الكتاب الأصل، وصرفت النظر عن إعادة طبعه بعد أن وجد الأصل، ولكن الأمر المحزن هو خشيتي من أن يقرأ القارئ الكلمات الأولى من التعليق فقط فيُسيء بي الظن!

هاتفَني جاري، وأرسل إليَّ أخ لي شقيق قصاصة من الجريدة من بلد أوروبي يُقيم فيه، وكلمني في ذلك زملاء في العمل وآخرون من زملاء البحث، ثم صورة مِن القصاصة وصلتني من الناشر مدير دار ابن حزم.

ومع كل هذا لم أرَ ما يوجب الرد، ثم أردت أن أقف على مواقف بعضهم بعد قراءة المقال، فكان أن صدق ظني من إساءة الظن بي بما لم يتوقعه مني! فتعجَّبتُ والله! وعندما بيَّنتُ له الأمر باقتضاب اقتنع، لكنه رأى مِن الأفضل الرد، حتى يندفع اللبس، واللبس يأتي من عدم

قراءة نص التعليق كله، والاكتفاء بالأسطر الأولى منه، فإن الأستاذ جليل قال في المقدمة كلامًا لا علاقة له بالمضمون الذي كتبه!

وأعجب من هذا لو اكتفى القارئ بقراءة قول الكاتب: "ولو فكر بعضهم في إعداد موسوعة بأسماء المزورين المنتشرين في بيروت و..." فإنه سيَضرب كفًّا بكف حسرة وندامة على ما لم يتوقعه منِّي!

ولعل جليل العطية يرد ويقول: وما علاقتي بهؤلاء الذين لا يقرؤون، وإذا قرؤوا اكتفوا بالأسطر الأولى منه، أو ما كُتب منه بالحرف الأسود؟

أقول: إذًا ما علاقة مقدمتك بمضمون ما كتبت؟ ومَن المتسبِّب في فهم النقد خطأ؟

١٠ - بقي أن أشير إلى نقد آخر ذكره الكاتب بقوله: "إن المخطوط الذي نشره الأستاذ يوسف مضطرب، بل هو أوراق مُبعثَرة مِن غُرَر الحِكَم".

وقد شرحت في مقدمة الكتاب ما فيه الكفاية حول هذا الأمر، ولو كان ما أكتب فيه مجلة متخصصة لذكرتُ الرد المناسب والمفصل، وقد يَطلُب مني الناس إعادة طبع الكتاب فأستجيب له للضرورة، ليرى الأستاذ جليل الفارق القليل جدًّا مما سماه "اضطرابًا" لكنه قد لا يدرك أن هذا الاضطراب حصل في كتاب "غرر الحكم" بيد محقِّقه؛ حيث ذكر هو في مقدمة تحقيق الكتاب أن الحكم الواردة لم تكن مرتبة هجائيًا بشكل سليم، فغير هيئة الكتاب، وقام بتبديل مواقع الحكم لترتيبها بشكل جيد، ولم يوفق تمامًا في هذا العمل، وبذلك لم أتمكَّن من معرفة ترتيب الحِكَم التي في القطعة - مما شككت في ترتيبها - بالشكل الذي أراده المؤلف، بعد أن غيّر المحقق ترتيبها كلها تقريبًا ونقض أو غيَّر أسلوب المؤلف فيها.

فالاضطراب الذي رآه الناقد في كتابي ليس صحيحًا، وإنما حصل هذا الاضطراب في الكتاب الأصل بيد المحقق "عبدالحسن دهيني" الذي اعتمد على ثلاث نسخ مخطوطة ليس من بينها مخطوطة الهند هذه، وقد رأيت اختلاف كلمات بينها وبين الكتاب الأصل، فلعلَّ المحقق دهيني يستدرك ذلك ويستفيد.

وألخِّص مقالي كما لخص الأستاذ عطية مقاله فأقول: إن الكتاب الذي نشرته "حكم وآداب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه" ولم أَعرِف مؤلفه، وقفت على الكتاب

الأصل "غرر الحكم ودرر الكلم"، وتبيَّن لي أن الأول قطعة من وسطه، وجامعها الحقيقي هو "عبدالواحد الآمدي".

وقد وقف الأستاذ جليل العطية على كتابي فعرف مؤلفه أيضًا وكتابه الأصل، فعرف القارئ بذلك، ولكنه كتب مقدمة غير مناسبة ولا علاقة لها بمضمون النقد، ولولا تلك المقدمة الفظيعة لما كتبتُ هذا الرد أصلاً.

(نشر في جريدة "الشرق الأوسط" ع ٧٦٠٧ (١٤٢٠/٦/١٦ هـ))

(ج)
عبر هادفة ... في ذكريات منسية !

اللواء جميل بن محمد الميمان كان ضابط أمن كبير، عمل مديراً للإدارة العامة لمكافحة المخدرات بفي بلاد احرمين، واعتلى مناصب أمنية أخرى كبيرة وحساسة، في تاريخ مشهود له بالأمانة والإخلاص، وكان لا يستصعب عليه شيء، ولا يردُّ طلباً... كان نادرة الرجال، شهماً شجاعاً، من أذكياء الدنيا، نشأته بمكة المكرمة، ووفاته بالرياض سنة ١٤٢٧ هـ. تعرفت عليه وزرته في المسجد القريب من بيته بحيِّ المحمدية في الرياض، الذي كان يتعبد فيه ما بين المغرب والعشاء، قبل وفاته بشهور، وعملت له ترجمة طيبة في "تتمة الأعلام" المخطوط.

أكمل ذكرياته في ثلاثة أجزاء لطيفة، صدر الثالث منه وهو على فراش الموت! ولما قرأتها ورأيت فائدتها طلبت منه أن ينشرها مجتمعة في دار نشر لبنانية ليستفاد منها على نطاق واسع، فهي من أنفع وأحسن الكتب التي وقعت عليها عيني، وأثرت فيَّ تأثيراً بالغاً... ووعد بذلك بعد نشر الثالث منها... وتوفي إلى رحمة الله.

وقد أصدرها تحت عنوان "**ذكريات ومذكرات وعبر هادفة**" على نفقته، وكان يوزعها مجاناً، ويضعها في "مكتبة ازدهار المعرفة" القريبة منه.

وأحببت أن أنقل منها فقرات للقارئ، من كل جزء فقرة.

(دعاء .. وقصة)

قبل فترة طويلة كنت في الحرم المكي لانتظار صلاة العشاء، فجاء إلي صديق شاب أشهد له بالخير، ولا أزكي على الله أحداً، قال لي والدموع تنهمر من عينيه: إن والد زوجته طلب منه طلاق ابنته فرفض طلبه، لأن ما حدث بينه وبين زوجته هو خلاف بسيط يحدث بين الزوجين ولا يوجب الطلاق. فأصرَّ على موقفه، وحجر الزوجة عنده.

فوسط له عدداً من الأقارب والأصدقاء، فرفض عودتها له، وتقدَّم بدعوى الطلاق في المحكمة الكبرى، وتقرَّر موعد الجلسة بعد أسبوع.

ولما كنت أعرف أن الزوج يحبُّ زوجته كثيراً، وأن ما حدث بينهما لا يوجب الطلاق، ولعلمي بأن الزوجة تحبُّه أيضاً، وأن والدها عنيد، قلت لصديقي: قم. وذهبت به إلى رجل فاضل من أهل العلم والصلاح والتقوى كان موجوداً في الحرم، وقلت له: يا شيخ، هذا الأخ حصل بينه وبين زوجته خلاف بسيط، وإن والدها طلب منه طلاقها فرفض، أرجوك أن تدعو له، وتنصحه بدعاء مأثور يتناسب مع قضيته.

فدعا له بالخير وقال له: أكثر من قول: (ربِّ إني مغلوبٌ فانتصِرْ)، و"لا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم"، وسترى العجب إن شاء الله.

فذهب الشاب وطاف بالكعبة المشرَّفة، وهو يردِّد وصية الشيخ بإيمان وتضرُّع وانكسار. وبعد ثلاثة أيام رأيتهما معاً يطوفان بالكعبة المشرفة والسرور والبهجة تشيع في وجهه، فانتظرتهما عند مقام إبراهيم عليه السلام حتى انتهيا من الطواف، وسألته عما حدث، فقال: كرَّرت وصية الشيخ ليلة كاملة وأنا أطوف بالكعبة المشرَّفة، وفي سجودي. وفي اليوم الثاني جاءت زوجتي بمحض إرادتها وموافقة والدها إلى داري. وحمد الله وشكره وأثنى عليه. (ذكرياته ١/٦٥).

(الانتقام الرباني السريع)

أثناء عملي بشرطة العاصمة المقدسة قبل حوالي ثلاثين عاماً، روى لي الشيخ "حسن لبني" رحمه الله وأسكنه فسيح جناته –الشيخ حسن من أبرز المؤذنين وأجملهم صوتاً بالمسجد الحرام– قصَّة شاب يُدعى عبدالله، جاء إليه وأخبره بأنه خطب ابنة جاره فوافق والدها من حيث المبدأ، وطلب منه صداقاً خمسة آلاف ريال يدفعه في الحال، على أن يتمَّ العقد والزواج في العطلة الدراسية. فدفع المبلغ حسب طلبه، ولما بدأت العطلة راجعه لتحديد الموعد، فأنكر الاتفاق معه واستلام المبلغ، فذُهل الشاب! فوسَّط له عدداً

من أهل الخير، فأصرَّ على الإنكار!! فتقدَّم بدعوى عليه في المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة.

وفي يوم الجلسة قال القاضي للمدَّعى عليه: إن هذا الحاضرَ بالمجلس الشرعي يدَّعي عليك بمبلغ خمسة آلاف ريال أخذتَهُ منه على أساس صداقٍ لابنتك، ولم تفِ بوعدك، ولم تردَّ إليه المبلغ.

فأقسم بالله العظيم أنه كاذب في دعواه!

فانتقم الله منه في الحال، حيث فقدَ بصرَهُ وأغمي عليه ونُقل محمولاً إلى داره!!

وبعد صلاة العصر من نفس اليوم ذهب إليه الشيخ حسن لبني لزيارته فوجده في أسوأ حال، وأعطاه المبلغ ليسلمه للشاب ويطلب منه السماح، وفي اليوم التالي توفي إلى رحمة الله.

وكان لهذا الحادث الجلل الأثرُ البالغ في نفوس من سمعوا به، وحديث الناس في المنطقة الغربية لمدة طويلة.

وأذكر أن شخصاً تزوج فتاة بكراً ودخل عليها، وفي اليوم الثاني ادَّعى أنها ثيِّب ولم تكن بكراً، وطلب من والدها ردَّ الصداق الذي دفعه لها، فطلب منه أن يحلف بالله العظيم أنه وجدها ثيِّباً، فحلف. وفي الحال انتقم الله منه، فأصيب بجلطة في الدماغ وشُلَّ شللاً كاملاً لجميع أطرافه، وبقي على حالته السيئة سنين طويلة للعبرة والاتعاظ، ثم توفي بعد أن قاسى شتى ألوان العذاب.

أما الفتاة المظلومة فقد تهافت عليها الشباب الصالح، فكانت من نصيب أفضلهم حالاً ومالاً وجمالاً ونسباً. {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [سورة الحج: ٣٨]، {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون} [سورة الشعراء: ٢٢٧]. (ذكرياته ٢/٣٩-٤٠).

(د)

تصحيح كلمات

في تفسير البغوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

فهذا تصحيح كلمات وقعت في تفسير البغوي (معالم التنزيل)، الذي صدر عن دار طيبة بالرياض محققًا، عام ١٤٠٩هـ، يحسن استدراكها في طبعات قادمة، ويلزم ما كان منها تصحيحًا لألفاظ في القرآن الكريم طُبعت خطأ. والله المستعان.

وأشير إلى أن الآيات وردت بشكلين، أولهما بالرسم القرآني، وهذا لا كلام عليه، والآخر طباعة، أثناء تفسيرها، وهذا هو المقصود بتصحيحها إذا وردت ألفاظ فيها خطأ.

- ١/٢٦٣: ورد آخرُ الآية (٢٢٥) من سورة البقرة: (والله غفور رحيم).

والصحيح: {وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.

- ٢/١١٢: ورد (ولمْا يعلم) بسكون الميم، للآية (١٤٢) من سورة آل عمران.

والصحيح بالشدَّة المفتوحة: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}.

• ١٧٨/٣: ورد (وما كانوا) للآية (١١١) من سورة الأنعام.

والصحيح بدون واو: {وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ}.

• ١٨١/٣: جاء في تفسير آخر الآية (١١٧) من سورة الأنعام: أخبرَ أنه أعلم بالفريقين الضالين والمعتدين.

والصحيح: الضالين والمهتدين. فالآية هي: {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.

• ١٩٧/٣: وإنما خلق الله هذه الأزاج الثمانية.

والصحيح: ... الأزواج الثمانية.

• ٢٢٧/٣: الآية (٣٧) من سورة الأعراف: {جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}.

تُذكر مع الكلمتين اللتين قبلها: {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}.

ووردت مثلها آيات ناقصة في مواضع أخرى لم أذكرها، فقد تكون في المخطوطة كذلك، وإن كانت آيات مثلها لا تفسَّر ولكنها تُكتب، كما أوردتها في (المستدرك على تفسير البغوي).

• ٣٠٩/٣: ورد (ومن يضلل الله) للآية (١٨٦) من سورة الأعراف.

والصحيح بدون واو يسبقها {مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}.

• ٣٧٦/٣: وضع قوله تعالى {وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} الآية (٦٧) من سورة الأنفال، بين علامتي تنصيص، وبحرف أبيض.

ويكون بين قوسين مزخرفين، وبحرف أسود، كما هو شأن الآيات في التفسير.

ويأتي مثلها في عدة مواضع.

• ٥٤/٤: قوله تعالى: {وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} الآية (٤٢) من سورة التوبة.

يوضع قوس مزخرف في أوله، فقد جاء بعد كلام في التفسير.

- ٤/١١١: ورد (إذا رجوا إليهم) للآية (١٢٢) من سورة التوبة.

والصحيح: ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾.

- ٤/١٢٤-١٢٥: الآية (١٣) من سورة يونس. ورد بعضها بحرف أسود، وبعضها الآخر بحرف أبيض.

ويكون كلها بحرف أسود.

- ٤/١٧٢: ورد: لو قلتْ هذا. بسكون على التاء.

والصحيح بضمِّها.

- ٤/١٩٤: ورد: من نعت الحجاة.

ويعني: من نعت الحجارة.

- ٥/١٤: ورد: (فلوبهم منكرة) بالفاء، للآية (٢٢) من سورة النحل.

وهو خطأ مطبعي. قوله تعالى: ﴿قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

- ٥/٢٢٠: ورد (قال كذلكِ)، بكسر الكاف الأخيرة، للآية (٩) من سورة مريم.

وهي بالفتح: ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾.

- ٥/٢٢٢: ورد: مسلمًا ومخلصاك مطيعًا.

والكلمة الوسطى هي: ومخلصًا.

- ٥/٢٧٣: جاء تفسير الآية (٤٠) من سورة طه هكذا: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ واسمهما مريم.

والصحيح: واسمها.

- ٥/٣١١: ورد: (لا يأكلون لطعام) للآية (٨) من سورة الأنبياء.

ويعني (الطعام): ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾.

- ٥/٣٢٥: ورد: ما نراه إلى كما قال.

والصحيح: ما نراه إلّا كما قال.

- ٣٧٧/٥: الآية (٢٥) من سورة الحج {نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} طُبعت بحرف أبيض، وبين علامتي تنصيص.

وتكون بحرف أسود، وبين قوسين مزخرفين.

- وعند تفسير الآية التالية منها، في الصفحة التالية، ورد: (قوله عز وجل) بحرف أسود.

ويكون بحرف أبيض، فليس آية.

- ٣٩٥/٥: وردت الآية وتفسيرها هكذا: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} أي: محنة وبلية، شك ونفاق.

والصحيح أن يكون هكذا: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}. {لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً} أي: محنة وبليّة {لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}: شكٌّ ونفاق.

- ٤٢٣/٥: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا} آي..

والصحيح: أي، بالهمزة، وليس بالمدّ.

- ٢٩/٦: ورد: (ما يقولون) للآية (٢٦) من سورة النور.

والصحيح تثنية الميم: {أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ}.

- ٦١/٥: تكرر جزء من الآية (٥٨) من سورة النور هكذا: {بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} أي: يطوف، {بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

والصحيح أن الأول جزء من الآية، والتالي جعله المؤلف تفسيرًا، فيكون هكذا: {بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} أي: يطوف بعضكم على بعض، {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآَيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.

- ٨٦/٦: {أَوْ يَعْقِلُونَ} ما يعاينون من الحجج والإعلام. هكذا ورد بكسر الهمزة.

والصحيح فتحها، بمعنى الآيات.

- ١٢٩/٦: ورد في أول السطر بعد الآيات: ذْكِرُ. هكذا بسكون الذال، وكسر الكاف.

وهو خطأ مطبعي، فالصحيح: ذِكْرُ.

- ٢٠١/٦: ليست بسَّلْفَع. هكذا بتشديد السين.

وهو بفتحها دون شدَّة.

- ٣٠٢/٦: مطأطؤ رؤوسهم.

الصحيح: مطاطئو، أو مطأطؤو، في رسمَي إملاء.

- ٣٩٧/٦: {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ}، الله في الشفاعة.

لا لزوم للفاصلة، بل هي مكدِّرة هنا.

- ١٨٤/٧: وقرأ الآخرون "يوحي" بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم.

هكذا وردت الجملة الأخيرة، وكأنها كلام عادي، وهي جزء من الآية (٣) من سورة الشورى {كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} فيلزم وضعها بين قوسين مزخرفين، وتكون بحرف أسود.

- ٢٠١/٧: {مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ}

يُغلق قوس الآية، فما بعدها ليس من القرآن.

- ٤٠٢/٧: {مَا أَوْحَى}

هذا جزء من الآية (١٠) من سورة النجم، ولم يوضع بين قوسين مزخرفين، ولا كُتب بحرف أسود.

- ٤٢٩/٧ آخر الصفحة: "فهل من مُدّكر".

هكذا بين علامتي تنصيص، وبحرف أبيض.

وهو جزء من الآية (١٧) من سورة القمر {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}، فيكون بين قوسين مزخرفين، وبحرف أسود، مثل سائر الآيات، لئلا يظنَّ أنه كلام عادي.

- ٤٤١/٧: قالوا: وماالرحمن؟

تلزم مسافة بعد (ما).

- ٤٥٦/٧: ورد بعد الآية (٦٢) من سورة الرحمن {وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ}- بعد تفسيرها – قوله تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}. ويظنُّ القارئ أنها تالية للآية السابقة، حيث لم تخرَّج. وهي الآية (٦٨) من السورة. وهي مقحمة هنا، فقد فُسِّرت من بعد، في مكانها.

- ٤٥٨/٧: {فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} الآية (٧١) من سورة الرحمن.

لم يغلق قوس الآية.

- ٥٥/٨: {وَيَتَنَاجَوْنَ} قرأ الأعمش وحمزة: و "وينتجون".

هكذا بزيادة (و)، وبتقديم النون على التاء؟

والكلمة في الآية (٨) من سورة المجادلة.

- ٥٨/٨: {دَرَجَاتٍ}.

في الآية (١١) من سورة المجادلة. جاءت بين علامتي تنصيص..

وتوضع بين قوسين مزخرفين، وتطبع بحرف أسود.

- ١٠٩/٨: {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} الآية (٨) من سورة الصف.

وردت {بِأَفْوَاهِهِمْ} بهاءٍ واحدة.

- ٢٣٩/٨: إن الجن ظننوا.

ويعني: ظنُّوا.

- ٢٧١/٨: وردت الآيتان (٣٢) و(٣٣) من سورة المدَّثر هكذا: {كَلَّا وَالْقَمَرِ}... {وَالْقَمَرِ . وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}.

وهو تكرار.

- ٢٨٥/٨: {مَنْ رَاقٍ}

هذا جزء من الآية (٢٧) من سورة القيامة، وقد وضع بين علامتي تنصيص، وبحرف أبيض.

ويكون مثل بقية الآيات القرآنية، بين قوسين مزخرفين، وبحرف أسود.

- ٣٧٣/٢: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ}

وهذا جزء من الآية (٦) من سورة الانشقاق، وهو مثل سابقه... يوضع بين قوسين مزخرفين..

- ٤٠٣/٨: {الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} جزء من الآية (١٦) من سورة الأعلى.

مثل سابقه... يوضع بين قوسين مزخرفين..

- ٤٠٩/٨: {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} الآية العاشرة من سورة الغاشية.

أدمجت مع الآية التالية بدون فاصل.

- ٤١٧/٨: {إِرَمَ} في الآية (٧) من سورة الفجر.

دخلت مع الآية السابقة، والتفسير التالي لا يخصُّ الكلمة.

- ثم جاءت {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} بين علامتي تنصيص...

وتعالج كالسابق.

- والآية التالية {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ}

تكررت، والأولى لا يخصُّها التفسير التالي.

- ٤٣٣/١: {فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} جزء من الآية (١٤) من سورة البلد.

كذلك لم تعالج طباعيًا وفنيًا مثل بقية الآيات.

- ٨/٤٦٧: حوالك.

الصحيح: أحوالك.

- ٨/٥٨٢: كانت تحمل الشوك والعضاة. هكذا بتاء مربوطة.
- والصحيح "العِضَاهَ" بالهاء. وهو كلُّ شجر له شوك، واحدتها "عِضاهة".

(هـ)

كتاب وملاحظات

(تفسير ابن عطية)

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، وبعد:

فقد منَّ الله عليَّ بعمل مستدرك على (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لمؤلفه العلاّمة عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢ هـ)، الذي نشرته دار ابن حزم ببيروت في مجلدٍ واحد، وبلغت صفحاته (٢٠١٩ ص). وهو عن الطبعة القطرية، (طبعة جديدة منقحة ومرتبة...). وتابعت فيه أخطاء، معظمها نسخ آيات من المصحف الشريف غير المراد تفسيرها! ولذلك حسن إيرادها لتصحيحها، وإن لم أتتبعها في التفسير كله، وهي هذه:

ص ٨٦: ورد في العمود الأول منها {بُكْمٌ}، والصحيح {بِكُمُ}، فالمقصود الآية (٥٠) من سورة البقرة: {وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ}. وقد حدث مثل هذا كثيرًا، فالطابع يبحث عن الكلمة في المصحف، وينسخها دون النظر في ضبطها كل مرة.

ص ٨٦: العمود الثاني، ورد: {تُنظِرُونِ}، والصحيح: {تَنْظُرُونَ}، فالمقصود تتمة الآية السابقة (٥٠) من السورة: {فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}.

ص ٩٧: ورد: {رَحْمَتِهِ}، والصحيح: {رَحْمَتُهُ}، فالمقصود الآية (٦٤) من سورة البقرة: {فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

ص ١٢٤: {وَلَو}، الصحيح بدون واو، فالقصد تفسير الآية ١٠٩ من سورة البقرة: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا}.

ص ١٣٠: بامتثل = بامتثال.

ص ١٣٢: {آمَنّا}، الصحيح: {آمِنًا}، في الآية ١٢٦ من سورة البقرة: {رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آَمِنًا}.

ص ١٦١: "والأَقربون" وضع بين قوسين مزخرفين مما يعني أنه من القرآن الكريم، والصحيح ألّا يوضع بينهما، فالمقصود الآية ١٨٠ من سورة البقرة: {الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ}.

ص ١٨٤: أبان عدواته = عداوته.

ص ١٨٧: {فِيهِ} أعلاه ثلاث نقاط، ورد مرتين، نسخًا من الآية الثانية من سورة البقرة، والمقصود الآية ٢١٣ منها: {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}.
وقد تكرر مثل هذا مرات، ولن أشير إليها وإلى مثلها، في إشارات للتجويد في المدود والوقف ونحوه...

ص ١٨٧ أيضًا: "أحسبتم دخولكم الجنة واقعًا ولمّا". وضع هذا بين قوسين مزخرفين وكأنه آية، وإنما أورد المؤلف تقدير الآية.
وأدناه تقدير آخر مثله.

ص ٢١١: آخر الصفحة، ورد: واقع جزاءًا. ولا لزوم للألف.

ص ٢٢٠: ورد: و{عَلِيمٌ} معناه للأقوال، {عَلِيمٌ} بالنيات. والصحيح في الأول {سَمِيعٌ}. فالقصد الآية ٢٤٤ من سورة البقرة.

ص ٢٣٢: حُسن في الصفات = حَسُنَ في الصفات.

ص ٢٣٢ أيضًا: ورد: {عَلِيمٌ} من أجل النطق، و{عَلِيمٌ} من أجل المعتقد. والصحيح في الأول {سَمِيعٌ}. فالمقصود الآية ٢٥٦ من سورة البقرة.

ص ٢٦٣: أواخر الصفحة، ورد: {بُكْمٌ}، والصحيح {بِكُمْ}، فالمقصود الآية (٢٨٢) من سورة البقرة {وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ}.

ص ٤٣٩: بسبب عدم الصحابة الماءِ = الماءَ.

ص ٥٠٦: ورد: (حرَّم) جمع حرام. والصحيح: (حُرُمٌ)، فالمقصود الآية الأولى من سورة المائدة: {غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ}.

ص ٥٥٠: وابتلأهم = وابتلاءهم.

ص ٥٦٢: معاصروا = معاصرو.

ص ٥٧٨: ورد: {حَرَّمَ} جمع حرام. والصحيح: {حُرُمٌ}، الآية ٩٥ من سورة المائدة {وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا}.

ص ٦١١: وفقُه إذا غلب في الفقه غيره. الصحيح: وفَقَهَ...

ص ٦١٤: والصحيح أن يقد. هكذا. ويبدو أنها (يقصد).

ص ٦٣٢: الشنفري = الشنفرى.

ص ٦٣٧ بألبان النساءَ = النساءِ.

ص ٦٤٩: ورد: وقرأ الجمهور {وَجَنَّاتٍ} بنصب {وَجَنَّاتٍ}، عطفًا على قوله تعالى: (نباتُ). والصحيح: {نَبَاتَ}، فالمقصود الآية ٩٩ من سورة الأنعام: {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ}.

ص ٦٥٥–٦٥٦: ورد في تفسير الآية ١١٢ من سورة الأنعام: {يَفْتَرُونَ} معناه يختلفون ويشتقون، وهو من الفرقة، تشبيهًا بفري الأديم.

وواضح أن القصد: (يختلقون)، بالقاف، وليس بالفاء.

وهو من (الفِرية) وليس (الفرقة) كما ورد.

ص ٦٦٦: الأولاد المؤودون. الصحيح: المؤْأَدون.

ص ٦٦٦ أيضًا: ورد: {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا}. والصحيح: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ} فالمقصود الآية ١٣٧ من سورة الأنعام، والأولى هي ذات الرقم ١٤٨ من السورة نفسها.

ص ٧٢١: تقضتيه = تقتضيه.

ص ٧٤٧: {وَآمِنُوا}، الصحيح: {وَآمَنُوا} بفتح الميم، فالمؤلف يفسر الآية ١٥٣ من سورة الأعراف: {وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا}. وتكرر الخطأ نفسه في الصفحة نفسها.

ص ٧٧١: (وأمر بالمعروف). الصحيح كما في الآية المفسَّرة: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} الآية ١٩٩ من سورة الأعراف.

ص ٨٢٨: والتعمق في الباطن = الباطل.

ص ٨٤٦: {يُعَذِّبُكُمْ}. الصحيح بسكون الباء، لأن المقصود الآية ٣٩ من سورة التوبة: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}. وبالضم جاءت في الآية ١٨ من سورة المائدة.

ص ٨٧٢: والمنى = والمعنى.

ص ٨٧٥: ورد: {صَلَواتٌ}. والمقصود الكلمة التي في الآية ٩٩ من سورة التوبة: {وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ}.

ص ٨٩٦: قائلوا = قائلو.

ص ٩١٦: {يَخْرُصُونَ} [سورة يونس: ٦٦] معناه يحسدون ويخمنون. والصحيح: يحدسون..

ص ٩١٩: {قَوْمَهُمْ}. هو بكسر الميم، فالمقصود ما ورد في الآية ٧٤ من سورة يونس: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ}.

ص ٩٣١: وردًّا = وردُّوا.

ص ٩٥٩: المِلك وأتباعه = المَلِك...

ص ١٠٠٨: وو {السِّقَايَةَ} [سورة يوسف: ٧٠]. واو واحدة.

ص ١٠٢١: {فَاطِرِ}. هو بفتح الراء، فالمقصود الآية ١٠١ من سورة يوسف: {فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}.

ص١٠٢٦: ورد: ويصح في {الكِتَابِ} [الآية الأولى من سورة الرعد] التأويلاتُ اللذان تقدمًا. والصحيح: التأويلان... تقدَّما.

وضبط لفظ (الكتاب) بضم الباء، والصحيح الكسر كما أثبت {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ}.

ص ١٠٣٨: ورد: {وَأَنْفِقُوا}. والصحيح بفتح الفاء، فالمقصود الآية ٢٢ من سورة الرعد: {وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً}.

ص ١٠٤٢: {حَكَمًا}، الصحيح: {حُكْمًا}، في الآية ٣٧ من سورة الرعد: {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا}.

ص ١٠٥٢: ورد: لا حب النجاة.

و(لاحب) كلمة واحدة، وتعني الطريق الواضح.

ص ١٠٦٦: سكرت الريحُ تُسْكُر. والصحيح: تَسْكُر.

ص ١٠٨٢: {أَمْرَ اللهِ}. يصحح كما هو المقصود في أول سورة النحل: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ}.

ص ١٠٩٠: {وَمِنَ}. يصحح كما في الآية ٢٥ من سورة النحل: {وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ}.

ص ١٠٩١: {السِّلْمِ}. صحيح الكلمة بفتح السين المشددة وفتح اللام، فالمقصود الآية ٢٥ من سورة النحل: {فَأَلْقَوُا السَّلَمَ}.

ص ١٠٩٢: {جَنَّاتٍ}. وصحيحُ الكلمة في الآية ٣١ من سورة النحل: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا}.

ص ١١٣٣: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [سورة الإسراء: ١٤].
هذه آية، وليست كلامًا عاديًّا، فلم توضع بين قوسين مزخرفين.

ص ١١٣٦: والذم هنا لا حق.
(لاحق) كلمة واحدة.

ص ١١٤٢: إن في هيئة اليد بالميزان عظةٌ. الصواب: عظةً.

ص ١١٥٠: {يَرْحَمَكُمْ}. تصويب الكلمة من الآية ٥٤ من سورة الإسراء التي يفسرها المؤلف: {رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ}. وهي بالفتح في الآية ٨ من السورة نفسها.

ص ١١٦٠: {سَنَة}. صوابها {سُنَّةَ}، فالمقصود الآية ٧٧ من سورة الإسراء: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا}.

ص ١١٦٢: أن يحسَّن الله حالته. الصواب كسر السين المشددة.

ص ١١٦٢ أيضًا: على أتمَّ عموم. والصواب كسر الميم المشددة.

ص ١١٦٢ كذلك: والرقي والتعويذ = والرقَى.

ص ١١٦٦: {كِسْفًا} بسكون السين، إلا في الرُّوم فإنهم حركوها.
استوقفتني هذه الجملة.. والمقصود تحريك حرف السين في الكلمة، بفتحها، في الآية ٤٨ من سورة الروم: {وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا}.

ص ١١٧٤: {الكِتَابُ}. هو بالفتح، فالمقصود الآية الأولى من سورة الكهف.

ص ١١٧٤ أيضًا: {قِيَمًا}. المقصود الآية الثانية من سورة الكهف: {قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ}. إلا إذا قصد قراءة. لكن تكررت الكلمة في التفسير بتشديد الياء.

ص ١١٨٥: ولتتشن = ولتستشن.

ص ١٢١٧: {ذِكْرِ}. الصواب {ذِكْرُ} بضم الراء، فالمقصود الآية الثانية من سورة مريم.

ص ١٢١٩: لم نجعل لم مشاركًا = له مشاركًا.

ص ١٢٣٨: الأمر المنفذ المجذوم = المجزوم.

ص ١٢٣٩: العمود الثالث: {إِذًا}. صوابه بدون تنوين، فالمقصود الآية ٧٥ من سورة مريم: {حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ}.

ص ١٢٦٧: الهيبتهه = لهيبته.

ص ١٢٨٤: في أواخر العمود الثالث: "لم يذكب" = "لم يكذب".

ص ١٢٨٥: فجاءم = فجاءهم.

ص ١٣٠١: ورد: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ} [سورة الحج: ١١]. والمقصود الآية ٨ من السورة نفسها: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

ص ١٣٦٤: {أُذُنٌ}. صوابهُ {أَذِنَ}، فالمقصود الآية (٣٦) من سورة النور: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}.

ص ١٣٨٣: {قَوْمٍ}. صوابه في الآية ٣٧ من سورة الفرقان: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ}.

ص ١٣٩٩: الذي وعدم = الذي وعدهم.

ص ١٤٠٤: بالقرآن والشتم ونحوه = بالقول والشتم.. (ولا يبقى هذا الخطأ بدون تصحيح).

ص ١٤٠٥: وكانت مراجعتم = مراجعتهم.

ص ١٤٠٧: فتوعدهم بالإخراج من أرضه. الصحيح: (فتوعدوه). فلم يتوعدهم لوط عليه السلام بذلك، بل هم توعدوه.

ص ١٤١٩: وحملَّه = وحمَّله.

ص ١٤٢٥: لجميعهم. (بدئ بسطر جديد، وهو مرتبط بما سبق).

ص ١٤٣٤: {أَلِيمٌ}. صوابه: {اليَمِّ}، فالمقصود تفسير الآية السابعة من سورة القصص: {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ}.

ص ١٤٧٣: وضع في الترويسة ما يشير إلى تفسير الآيات ١٤-١٨ من سورة الروم، والصحيح: ١٠-١٧.
وتكرر مثل في مواضع أخرى لم يشر إليها.

ص ١٤٨٩: أن كلمات الله تعالى لم تكن لتنفذ = لتنفد.

ص ١٤٩١: {الغَرُورُ}: التطميع بما لا يتحصل. والصواب: {الغُرُورُ}. أما بالفتح فمعناه الشيطان، كما ورد في الصفحة نفسها.

ص ١٥١١: تكبي = تبكي.

ص ١٥١٥: كان طفلين = كانا طفلين.

ص ١٥٢٧: الألف والسلام = الألف واللام.

ص ١٥٢٨: {إذًا}. صوابه {إِذَا}، في الآية السابعة من سورة سبأ: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ}.

ص ١٥٣٥: وعمرَّها = وعمَّرها.

ص ١٥٦٣: {يُسَبِّحُونَ}. صوابه: {يَسْبَحُونَ}، في الآية ٤٠ من سورة يس: {وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}.

ص ١٥٦٤: ويكره عليه = ويكسره عليه.

ص ١٦١٥: للعبث من القبور = للبعث..

ص ١٦٢٠: الاقتداء منه = الافتداء منه.

ص ١٦٢٥: لأن كلتى = كلتا.

ص ١٦٢٨: {فَأَخَذَتْهُمُ}. صوابه: {فَأَخَذْتُهُمْ}، فالمقصود تفسير الآية ٥ من سورة غافر: {فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}.

ص ١٦٩٥: جوزَّه = جوَّزه.

ص ١٧٣٠: المهِلك = المهلِك.

ص ١٧١٨: {مِنًّا}. صوابه: {مَنًّا}، في الآية ٤ من سورة محمد: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً}.

ص ١٧٧١: {يَدْعُونَ}. صوابه في الآية ١٣ من سورة الطور، التي يفسرها المؤلف: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا}.

ص ١٧٧٣: كالؤلؤ = كاللؤلؤ.

ص ١٧٧٨: {عِلْمِهِ}. صوابه في الآية ٥ من سورة النجم: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}.

ص ١٧٨٦: {يَرَى}. صوابه: {يُرَى}. فالمؤلف يفسر الآية ٤٠ من سورة النجم: {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى}.

ص ١٧٨٦ أيضًا: {تَمَنَّى}. والمقصود الكلمة الواردة في الآية ٤٦ من سورة النجم: {مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى}.

ص ١٧٩٧: تفيهم = تفهيم.

ص ١٧٩٩: {رَبُّكُمَا}. والصواب بكسر الباء المشددة، فالمقصود الآيات المتكررة في سورة الرحمن: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

ص ١٨٠٣: {إِذًا}. صوابه: {فَإِذَا}. فالمؤلف يفسر الآية ٣٧ من سورة الرحمن: {فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}.

ص ١٨٠٤: إن في القيامة سؤالًا وآياتٌ. صوابه: وآياتٍ.

ص ١٨٢٤: كثر الضحك والمزاج = المزاح.

ص ١٨٥٩: وقولم = وقولهم.

ص ١٨٧٠: {إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. المقصود الآية الأخيرة من سورة الطلاق: {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. فهي {أَنَّ} وليست {إِنَّ}.

ص ١٨٧٥: ورد "نورهم بين أيديهم" على أنها آية، وقد سقطت منها كلمة، فالمقصود الآية الثامنة من سورة التحريم: {نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}.

ص ١٨٩٣: ورد في العمود الأول: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ} [سورة الحاقة: ٣٨]، بدل الآية ٢٨ من السورة نفسها: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ}!

ص ١٩٢٤: وردت {بَصِيرَةٍ} مرتين، والصواب {بَصِيرَةٌ}، فالمقصود الكلمة الواردة في الآية ١٤ من سورة القيامة: {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}.

ص ١٩٢٦: {بَلَّغْتَ}. صوابُ الكلمة في الآية ٢٦ من سورة القيامة: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ}.

ص ١٩٣٩: السَّراج = السِّراج.
والمقصود الشمس {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا} [سورة النبأ: ١٣].

ص ١٩٥٩: المغالات = المغالاة.

ص ١٩٦٤: {النَّارَ}. هي بكسرِ الراء، فالمقصود الآية الخامسة من سورة البروج: {النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ}.

ص ١٩٧٦: {نِعَمَهُ}. وصوابها كما وردت في الآية ١٥ من سورة الفجر: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ}.

ص ١٩٨٥: ورد {نُوحًا} هكذا! والمقصود بيان قراءة كلمة {تَلَظَّى} في الآية ١٤ من سورة الليل!

ص ١٩٩٠: بسين مكسروة = مكسورة.

ص ١٩٩٤: المقدرَّة = المقدَّرة.

ص ١٩٩٥: انفَّك الشيءُ = انفكَّ.

ص ١٩٩٥ أيضًا: الجلَّية = الجليَّة.

ص ٢٠٠٥: الحُمصُّة. والصواب في ضبطها: الحِمَّص، والحِمِّص، كما في المعجم الوسيط.

والحمد لله الذي يسَّر وأعان

(و)

ملاحظات وأخطاء في "فتح القدير"

اعتمدت في كتاب "عون البصير على فتح القدير" على طبعة دار الكلم الطيب (ط٢، دمشق، بيروت، ١٤١٩ هـ)، عند الاستدراك على "فتح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير" للإمام الشوكاني، الذي يعدّ من أحسن الطبعات الموجودة للتفسير، ولم ينشر محققًا بعد.

وعلى الرغم مما بُذل فيه من جهد طيب، إلا أنه وُجدت فيه أخطاء، منها ما يتعلق بكلمات من القرآن الكريم، ولهذا دوّنتها، ثم نشرتها، ليصحح كل نسخته منها، وقد تكون دافعًا للناشر ليصححها في طبعة قادمة من الكتاب.

وقد أشرت إلى هذه الأخطاء ببيان الجزء والصفحة، وأحيانًا بذكر الآية وحدها، أو بذكرهما.

والله الموفق.

- ١/١٧٥: {كُنتَ عَلَيْهَا} [سورة البقرة: ١٤٣].
  وضعت ضمتان على الكاف.
- ١/٣٦٥: باعثم.
  الصحيح: باعثهم.
- ١/٤٣١: {لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} [سورة آل عمران: ١٢٠].
  في التفسير: ولا..
- ١/٤٤٠: سبحاه.
  سبحانه.
- ١/٤٤١: {وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [سورة آل عمران:١٤٢].
  في التفسير: وليعلم.
- ١/٤٧٩: والضمير في قوله "منها" راجع إلى آدم وحواء.

وضعت "منها" بين قوسين على أنها من الآية، وهي {مِنْهُمَا}، في أول سورة النساء.

- ٦٢٠/١: والكافر في قوله {كَمَا}.

والكاف. والمقصود الآية ١٦٣ من سورة النساء {كَمَا أَوْحَيْنَا}.

- ٢١٠/٢: وهو صفة لدينا.

يكتب هكذا: وهو صفةٌ لـ {دِينًا}، في الآية ١٦١ من سورة الأنعام: {دِينًا قِيَمًا}.

- ٢٩٣/٢: {وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ} [سورة الأعراف: ١٦٤].

في التفسير: "وإذا".

وورد بعدها: معطوف على إذ يعدون.

الكلمتان الأخيرتان توضعان بين قوسين، فهما من الآية ١٦٣ من السورة نفسها: {إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ}.

- ٣٣٧/٢: {إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيم} لدعائهم عليم بأحوالهم.

هكذا في التفسير. ويكتب هكذا: {إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ} لدعائهم، {عَلِيم} بأحوالهم.

وهو في آخر الآية ١٧ من سورة الأنفال.

- ٣٥٤/٣: وماسكيننا.

ومساكيننا.

- {وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون} [سورة التوبة:٣٢].

ورد تفسير هذه الآية الكريمة هكذا: أبى الله إلا أن يتم نوره ولو لم يكره الكافرون ذلك، ولو كرهوا. (؟).

- ٤٢٢/٢: للتجؤوا.

لالتجؤوا.

- {قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [سورة التوبة: ٦٦].

في التفسير: وقد.

- {تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} [سورة التوبة: ١٠٣] أي: تطهركم وتزكيهم.

الصواب: تطهرهم.

- {هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللّهِ} [سورة هود: ٦٤].

ورد في التفسير: إن ناقة الله بدل من هذه.

وتكتب العبارة هكذا: إن {نَاقَةُ اللّهِ} بدل ...

- {قَالَ يَاقَوْمِ} [سورة هود: ٧٨].

ورد في التفسير: وقال.

- {آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ}.

هذا جزء من الآية ٩٩ من سورة يوسف، يوضع بين قوسين.

- ورد عند تفسير الآية ٣٢ من سورة الرعد: يرسل كثيرة.

والصحيح: برسل كثيرة.

- {فَأَنزَلْنَا} [سورة الحِجر: ٢٢}

في التفسير: وأنزلنا.

- {إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُون} [سورة النحل: ٥٤].

كلمة (يشركون) من الآية، توضع بين قوسين.

- {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلاَلاً} [سورة النحل: ٨١].

في التفسير: وجعل لكم...

- {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} [سورة الإسراء: ٨٤]. أي إنكم لا تعملونه.

صوابه: ... لا تعلمونه.

- {قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ} [سورة الحج: ١٩].

ورد في التفسير: "أحاطت النار بهم" ووضع بين قوسين مزخرفين على أنه آية، بينما هو تفسير لها.

- {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ} [سورة الحج: ٤٥].

ورد في التفسير: وكأين.

- {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون} [سورة النور: ٥٢].

هذا لم يوضع بين قوسين في التفسير.

- ورد عند تفسير الآية ٢٠ من سورة الفرقان: بكل من يصير.

وصوابه: بكل من يصبر.

- {قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِين} [سورة الشعراء:٢٦].

في التفسير: فقال...

- ورد عند تفسير الآية ٦٤ من سورة النمل: أن الله سبحانه شريكًا.

وتصويبه لغة: أن لله...

- {إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِين} [سورة النمل:٧٥].

هذا لم يوضع بين قوسين في التفسير.

- {أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} [سورة العنكبوت: ٤].

في التفسير وضعت آية أخرى هنا خطأ، وهي {{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [سورة الأعراف: ٧٨].

- ورد عند تفسير الآية ٢٧ من سورة لقمان: بعد نفاذه.

والصحيح بعد نفاده (بالدال).

- {قَالُوا يَاوَيْلَنَا} [يس: ٥٢].

الكلمة الأولى جعلت خارج القوس، وهي من الآية.

- {فَلاَ يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ} [سورة يس: ٧٦].

لم توضع هذه الآية لبيان تفسيرها.

- {وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيم} [سورة الصافات:٧٦].

في التفسير: فنجيناه.

- {قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ} [سورة ص:٦٠].

لم يوضع هذا بين قوسين في التفسير.

- {إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيم} [سورة الزمر:٥٣].

وهذا لم يوضع بين قوسين في التفسير.

- ٥/٤٠٥: ضؤوه.

ضوؤه.

- ٥/٤١٧: جاءت كلمة (الأغلال) في آخر بيت شعر، وليست منه، فإنه يأتي بعدها: جمع غل.
- ٥/٤٣٩: هذا الأمور.
  هذه.
- ٥/٤٤٠: المعصرات هي السحاب.
  لعلها: السحب.
- ٥/٤٨٠: والطيع.
  والطبع.
- ٥/٦٣٨: نوَّرُ الفلق.
  نوَّرَ.

*** *** ***

(ز)

سرقة كتاب "الخضر بين الواقع والتهويل"

أبلغ باحث «الشرق الأوسط» أن صاحب دار للنشر في بيروت انتحل كتاباً عن الخضر عليه السلام صدر له منذ حوالي ١٨ عاماً، ونسبه إلى نفسه بعد أن غيَّر عنوان الكتاب، ونقل منه حوالي ٩٠ في المائة، ولم يشر السارق إلى المصدر، بل إنه تجرأ ونقل حرفياً مقدمة الكتاب المسروق. وقد اتصلت «الشرق الأوسط» بصاحب الدار المذكورة الذي نفى حصول فعل السرقة. وننشر هنا دعاوى الاثنين، تاركين الحكم للقارئ.

يقول الباحث محمد خير رمضان: «فوجئت بكتاب معنون باسم «كشف البيان عن حال الخضر أبي العباس عليه السلام»، جمعه واعتنى به الشيخ خضر العبيدي، وقدّم له الداعية المربي الشيخ محمد عبد الله عيتاني، وعند تصفحه وجد أن ما ورد في الكتاب قد نقل حرفياً من كتاب قد صدر لي عام ١٩٨٤م. وإن بيانات الكتاب الأصل، الذي هو من تأليفي، طبع ثلاث طبعات وجلّ اعتماد الكاتب على الطبعة الأولى منه، وهي «الخضر بين الواقع والتهويل» تأليف محمد خير رمضان يوسف. الطبعة الأولى ـ دمشق: دار المصحف، ١٤٠٤، ٣٦٨ ص، ٢٠سم ـ سلسلة أعلام قرآنية».

أما كتابي الذي صدر وعليه اسم آخر، فبياناته هي: كشف البيان عن حال الخضر أبي العباس عليه السلام، جمعه واعتنى به الشيخ خضر العبيدي، قدم له الداعية المربي الشيخ محمد عبد الله عيتاني، طبعة مزيدة ومنقحة ـ بيروت دار العبيدي للتراث: دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ. ١١١ ص ٢٤ سم «سلسلة قطوف دانية ـ ١٥».

ولو قلبت الصفحات التي نقلها ـ أعني سرقها ـ ومواضعها من الكتاب الأصل، لطال الأمر ولكن أشير إلى مواضعه اجمالاً بالفصول، واحتفظ بالتفصيلات لأي طارئ.

المقدمة ٩ ـ ١٣ نقلها برأسها من المقدمة التي كتبها لي الشيخ عدنان حقي الذي راجع لي الكتاب أكثر من مرة، وهي موجودة في ص ١٥ ـ ١٩ من الكتاب الأصل. وبضعة الأسطر التالية هي من كلامي في ص ٣٥ ولم يضف إليها سوى «الحمدلة» في الأول، والدعاء في الآخر.

وفي الطبعة الثانية أو الثالثة في كتابي الذي أصدرته دار القلم بدمشق أوردت ١٦ كتاباً مما ألف في الخضر من الكتب القديمة. و ٦ كتب حديثة، و٣ دراسات، وذلك في ص ٢١ ـ ٢٤ منه. وسرق هو منها ١٥ كتاباً من أصل ١٦ ثم ٥ من أصل ٦ والدراسات الثلاث، وذلك في ص ١٥ ـ ١٧ من كتابي الذي وضع عليه اسمه. والفصل الأول الذي رقمه من ص١٩. ٤١ نقله من كتابي الطبعة الأولى من ٤٣ ـ ٨٢ و١٦٩ ـ ١٨٢. وما بين ص ٢٦ ـ ٢٩ نقولات من كتابي وغيره، ذكرها هوامش مزيفة، لا تدل على حقيقة النص. فقد ذكر في الهوامش «وفيات الأعيان» و«شذرات الذهب» و«طبقات الشافعية» و«الديباج المذهب» و«تذكرة الحفاظ» و«هدية العارفين»، وكلها لا علاقة لها بالخضر عليه السلام، وانما فيها تراجم أعلام، أمثال ابن الصلاح وغيره ممن ذكروا اقوالاً في الخضر في مؤلفاتهم، وهذا تمويه للقارئ ليظن انه ينقل نصوصاً عن الخضر من مصادر أخرى، وهو كذب وافتراء. ففي ص ٢٧ اورد قول الحسن البصري «وكل إلياس بالفيافي.. الخ». ذكر أربعة مراجع في الهامش، وعندما تفتح هذه المصادر تراها ترجمة للحسن البصري ولا علاقة لها بالقول المذكور، وفي الفقرة التي بعدها وضع رقماً على اسم «خالد بن معدان» ووضع له هامشاً فيه مصدران لترجمته، مع أن خالداً هذا نقل كلاماً عن كعب الأحبار، فلا علاقة للهامش بالموضوع من قريب أو بعيد.. وقس على ذلك، وفي ص ٣١ ـ ٣٤ نقل عن الشيخ محمد عوامة في كتابه «أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين» ولا علاقة له بالخضر البتة، والعجيب من أمر هذا الكاتب أنه ينقل ٤ صفحات فيذكر اسم الكاتب وكتابه، وينقل مني ١٠٠ صفحة ولا يذكر ذلك.

أما الفصل الثاني ص٤٣ ـ ٤٨ فقد سرقه من كتابي ص١٠٥ ـ ١١٢. والفصل الثالث ص٤٩ ـ ٩٠ استولى عليه نصاً وهامشاً وعلامات ترقيم من كتابي ص١١٥ ـ ١٦٧، وفقرة «سبب لقاء موسى بالخضر» ص٩٠ ـ ٩١ أخذه من ص٩٥ ـ ٩٧ من كتابي. وفقرة «التقاؤه بإلياس» ص٩١ ـ ٩٣ سرقه من كتابي ص٢٤٧ ـ ٢٥١. ولقاؤه بموسى عليه السلام ص ٩٣ ـ ٩٦ هو من كتابي ص٢٥٧ ـ ٢٦٣ وص ٣٥٦. و«شروط الاجتماع بالخضر» ص ٩٦ ـ ٩٧ أخذه من ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ من الكتاب الأصل. واجتماعه بالعلماء والأولياء ص٩٧ ـ ١٠١ سرقه من كتابي ص ٣١٢ ـ ٣٣٢ وفي آخره زيادة ٧ سطور: حمد الله أن انتهى إلى

هذه الغاية «يحمد الله على السرقة». واستغفر وتاب إليه من كل خطأ وزلل «وهل أخطأ أو وقع في زلة»، ثم صلى على نبيه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وسأل الله علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً قائلاً: واختم كتابي بدعاء. ويتساءل المؤلف المسروق منه ما إذا كان في عمله هذا علم نافع وهل ما جناه من وراء نشر هذا الكتاب بالنصب والاحتيال رزق طيب؟ وهل هذا من علامات العمل «المقبول»؟ فأنى يستجاب له؟

ويضيف المؤلف المسروق منه: لقد ذكرت ٧٥ كتاباً في المراجع، ذكرها برمتها ما عدا مرجعين حذفهما، أحدهما تفسير القرآن الكريم لابن كثير، الذي هو ثالث أكبر مرجع اعتمدت عليه بعد روح المعاني وتفسير الفخر الرازي، كما انه لم يذكر كتابي من بين المراجع، ولم يشر إليه من قريب أو من بعيد، سوى هامش في ص ٧٠ ذكر فيه اسمي ولم يشر إلى المصدر، حتى لا يلفت نظر القارئ إلى الكتاب الذي سرقه، ولو لفتة خاطفة، وانما ذكر عنوان كتابي هذا بين «الكتب التي أُلفت في الخضر عليه السلام»، وهي كما كتبتها أنا.

وبخصوص صفحة الغلاف التي كتبت عليها انه «جمعه واعتنى به» قال المؤلف المسروق منه: لعله كتب هذا ليكون بمنحى من النقد إذا افتضح، ولكن كما رأيت فإنه من أوله إلى آخره ما عدا بضع صفحات سرقه من كتابي، فالصحيح أن يقول سرقه ولفقه، بدل: جمعه واعتنى به، كما ذكر في الخاتمة أن هذا «كتابه».

ولفت إلى أن السارق ذكر في آخر الكتاب قائمة بـ«مؤلفاته» بلغت ١٧ كتاباً، وذكر أنها «ستصدر تباعاً بعون الله تعالى»، وفي آخرها رسالة في الماجستير بعنوان: «التربية الإسلامية في سورة الحجرات» وأنا أعرف انه سبقه في كتابة هذا الموضوع غيره. وهذا يعني أنه لا يؤتمن جانبه، فقد يكون سطا في رسالته وفي كتبه الأخرى التي «عدَّدها» على كتّاب آخرين، وأنا أؤمن دائماً بمقولة «ما حدث مرة يمكن أن يحدث مرات ومرات»، والذي ألف كتاباً سرق فيه ١٠٠ صفحة من أصل ١٠٩ صفحات، لا يؤتمن أن يفعل ذلك مع كتب آخرين بأسلوب أو بآخر.

ثم إنه ذكر أن هذا طبعة ثانية للكتاب، ولا أعرف خبر الطبعة الأولى. فإذا كان صادقاً أنه طبعة ثانية، فإنه يكون تجرأ على إعادة طبعة عندما رأى سكوتاً وعدم التفات إلى سرقته.

وقد يكون اعتماده على الطبعة الأولى لأنها نفدت من الأسواق، وقد يكون له هدف مادي من خلال هذا العمل؟ فهو صاحب دار نشر باسم شهرته، وعلى هذا الكتاب اسم ناشر آخر محترم شاركه في نشر كتابه وتوزيعه، وهو دار ابن حزم، ولا أشك أنه لو علم بأنه مسروق ومزيف لاستنكف عن المشاركة في نشره أو توزيعه.

وحول اسم من قدّم الكتاب وهو محمد عبد الله عيتاني الذي وصفه بأنه الداعية المربي الشيخ، يقول محمد خير رمضان يوسف: لا أعرف هذا الآخر، ولعله مثل صاحبه في المستوى العلمي، فقد أثنى على كتابه خيراً، أعني كتابي الذي نسبه الكاتب والناشر إلى نفسه، فقال مثنياً عليه ـ أي عليّ: «أن فضيلة الشيخ الصالح (؟)خضر العبيدي أتحفنا من قبل بكتب مفيدة كثيرة من سلسلة قطوف دانية ـ لكن كتابه «كشف البيان عن حال الخضر أبي العباس عليه السلام» بلغ الدرجة العليا.

لكنه لم يصدق عندما قال مثنياً – عليَّ أو عليه –: «ومما يفحم العقل وينقش القلب حتى يصل إلى حبيبنا المعظم وقائدنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم»؟ والذي يقدم كتاباً ينبغي أن يكون مطلعاً، عارفاً بالموضوع الذي يقدم له، لكن تبين أنه لم يعرف أن هذا الكتاب مسروق من أوله إلى آخره، بمعنى أنه لم يطلع على ما كتب فيه سابقاً، وكتابي في الخضر – بفضل الله وتوفيقه – هو أوسع ما كتب عنه، وقد طبع ثلاث طبعات.

ويعتبر رمضان انه تعب مع كتابه هذا أكثر من جميع الكتب الأخرى، فهو أول كتاب ألفه، والأول حبيب عزيز، لقد كتبته ٧ أو ٨ مرات، قبل ربع قرن، وراجعه لي علماء متمكنون، وكتبوا له مقدمات وتقاريظ. والحقيقة أنه ليس لي فيه سوى استخراج كوامنه من بطون الكتب، جمعاً وترتيباً، وذكر مصادرها بأمانة، والصبر على ذلك سنوات، وتدخلي فيها تحليلاً ونقداً قليل، وقد جاء هذا الكاتب فأخذ ما أخذ مع هوامشه بكل سهولة.

وحول إمكانية أن يدافع الكاتب السارق عن نفسه ويدعي بأنه عمل مثلما عملت، ونقل مثلما نقلت يقول رمضان: هذا أبعد ما يقدر عليه، فإن كل شيء بالعيان، والعلماء والنقاد موجودون، والكتابان موجودان، لقد عدلت كتابي تعديلاً جذرياً في طبعته الثانية، وقد اعتمد الكاتب على الطبعة الأولى وفيها أخطاء كثيرة، في جمل وكلمات، وحتى أرقام أجزاء وصفحات بعض المصادر، حيث كنت بعيداً عن الكتاب عند طبعه، ولم أصححه، وقد نقل

الكاتب هذه الأخطاء كما هي في هذه الطبعة، وليست هي كذلك في مصادرها الأصلية، فماذا يقول حينئذ؟ وماذا يقول عن سرقته مقدمة الشيخ عدنان كاملة ووضع اسمه تحتها؟ وماذا يقول عن «العظات والأحكام» التي ذكرت مصادرها في الأخير ففعل ما فعلت، وقلت في أول الهامش «انظر هذه الاستنتاجات موزعة في المصادر التالية»، فقال هو كذلك في الهامش؟

وماذا يقول عن المصادر التي كتبتها فكتبها مثلما كتبت؟

وقد تبين لي أنه لم يكتب الموضوع أصلاً، بل حذف فقرات من الكتاب الأصل وانتقى، وأبقى الهوامش بعباراتي، ثم رماه إلى الطبع، فلن يضيع شيء، وأحتفظ بتفاصيل الرد، وكما يقول علماء الجنايات: لا بد أن يُبقي المجرم من آثار تدل عليه، وقد أبقى هذا الكاتب آثار جريمته كلها في مسرح الجريمة.

(جريدة الشرق الاوسط ع ٨٥٠٥ (١٤٢٢/١٢/٢٨ هـ)

(ح)
جامع العلوم والحكم
هذا الكتاب الفريد

هذا السؤال بحاجة إلى جواب!

لماذا كان أسلافنا من المفسِّرين والمحدِّثين والأدباء يَختصرون ولا يُكرِّرون؟

ويذكرون الكلام الذي لا بد منه لفهمِه، ويدَعون الحواشي والزيادات، حتى صارت شروحٌ، وشروحٌ على شروح؟!

ويندر أن تجد مختصرًا لكتاب، فإن وجدته كان لسببٍ ما، على غير القاعدة السابقة!

أما كتَّاب هذا العصر – على العموم – فلا تكاد تفتح لهم كتابًا حتى تَملَّ من مقدمته، فإن أردتَ أن تُبحر إلى مادته، لزمَكَ عشرات الصفحات لتصلَ إلى ما يريد أن يقوله لك!

فهو لا يريد أن يُطعِمَك عنبًا، حتى يفقأ في فمك الحصرم!

ولا يريد أن يُذِيقك عسلاً، حتى "يُدغدغ" جوانبك "الفكرية" بأشواك موجعة!

فما السبب في هذا؟!

هل كان أسلافنا يملكون قدرةً عقلية واعية للتعلُّم والتعليم أكثر منا؛ ولذلك كانوا يوجِزون ويَختصرون ولا يكرِّرون، أما نحن، فلا نَملك تلك المقدرة، ولا نفهم إلا بعد إيضاح وتوضيح، وزيادة وتكرير؟!

والحديث ذو شجون.

والكتابات المتنوعة التي يقدِّمها كُتَّابنا – في نظري – يكفي منها قليل الكلام، ليعطي مادته، ويوصل فكرته.

وهذا بحاجة إلى نقد ودراسة علمية وافية، وتوجيهات أدبية، بل وجوائز تشجيعيَّة، وفيها اقتصاد للأيدي العاملة، وتوفير لمنتجات صناعية في هذا المجال.

وعلى كل حالٍ، فقد كان هذا مدخلاً مناسبًا لأقول:

إن الكتاب الذي أنا بصدده من ذلك النوع القديم، الذي أوجز فيه الكاتب الكلام، ليدلَّ على إعجاز الكلام في أحاديث جامعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يُعيد ولا يُكرِّر، بل يعطي المعنى والمدلول بقدرة فائقة على الكتابة والبيان.

الكتاب هو "جامع العلوم والحكم، في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم"؛ لزين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي البغدادي، من علماء القرن الثامن الهجري (ت: ٧٩٥هـ)، طبعة دار المعرفة ببيروت، وجاء في ٤٣١ صفحة، وكان اعتمادنا على هذه النسخة.

وقد صدر الكتاب محقَّقًا عن مؤسسة الأهرام بالقاهرة عام ١٣٨٩هـ، في جزأين، قام بتحقيقه محمد الأحمدي أبو النور.

ولكن من المؤسِف ألا تجد رواجًا لهذا الكتاب المحقَّق؛ بحيث لا تكاد تجده في المكتبات، بينما الطبعات التجارية، والمصوَّرة من الطبعة الأولى، لا تخلو منها مكتبة عامة، رغم أنها طبعة رديئة، وفيها أخطاء كثيرة، وبعض كلماتها كُتبت مثلما هو مكتوب في المخطوطة.

ومن المؤسف حقًّا أن يكون هذا الكتاب الذي أخذ شهرةً كبيرة بين العلماء وعامة المسلمين، لم يأخُذْ تلك العناية من دُور النشر، ولا من الجامعات والمراكز الثقافية الإسلامية لتحقيقه وإخراجه بشكل جيد مناسب يليق بالكتاب وبالمؤلف!

وتبيَّن لي أن الكتاب قد طبع لأول مرة منذ ما يقرب من قرن من الزمان؛ فقد ورد في هامش (ص: ٢٤٧) ما يفيد ذلك: عام ١٣١٤هـ، عندما قال المعلِّق إنه ظهر في ذلك الزمان رجل يقال له: المرزا غلام أحمد الكادياني [القادياني] الذي ادَّعى النبوة!

والطباعة رديئة، وبعض الكلمات كُتِبت مثلما هو مكتوب بالمخطوطة، مثل (مسئلة) بدل (مسألة)، وغير ذلك، ولم أعرف سبب عدم تحقيقه حتى الآن، فهل هو خوف الباحث من الإقدام عليه؛ لكثرة ما فيه من روايات ومأثورات وأعلام، أم أن السبب يكون من الأساتذة في الجامعة عندما يريدون أن يكون المطلوب (مخطوطًا) وليس (مطبوعًا)؟ وإلا فلا معنى لأن يَبقى كتاب مشهور - مثل هذا - بدون تحقيق حتى الآن.

وهدفي من هذه الدراسة أن أُنبِّه إلى قيمة الكتاب العلمية، وروعة الكتاب المنهجيَّة التي اتَّصف بها الكاتب حين جمعه لموادِّ الكتاب.

والكتاب شرح لاثنين وأربعين حديثًا من جوامع كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي جمَعها الإمام النووي، وزاد عليها ابن رجب ثمانية أحاديث أخرى؛ ليَتم بذلك الخمسون حديثًا.

ويبدو أن ابن رجب أقدم على هذا العمل تحت إلحاح جماعة من طلاب العِلم، لِما رأَوا فيه من كفاءة للإقدام على هذا العمل.

يقول في مقدمته (ص: ٣): "وقد تكرَّر سؤال جماعة من طلبة العلم والدين لتعليق شرح لهذه الأحاديث المشار إليها، فاستخرتُ الله تعالى".

وفي أسطر قليلة موجزة يُبيِّن منهجه العام في شرح هذه الأحاديث بقوله (ص: ٤): "ليس غرضي إلا شرح الألفاظ النبوية، التي تضمَّنتها هذه الأحاديث الكُلية...، وما تضمَّنته من الآداب والحِكَم والمعارف والأحكام والشرائع، وأشير إشارةً لطيفةً قبل الكلام في شرح الحديث إلى إسناده؛ ليعلم بذلك صحته وقوته وضعفه، وأذكر بعض ما رُوي في معناه من الأحاديث، إن كان في ذلك الباب شيء غير الحديث الذي ذكره الشيخ (يَقصد النووي)، وإن لم يكن في الباب غيره، أو لم يكن يصح فيه غيره، نبَّهت على ذلك كله".

وقبل الخوض في التعريف بمواد الكتاب، أودُّ أن أشير بإيجاز إلى بيان قدرة المؤلف على نقد الحديث سندًا ومتنًا، وإذا كنا نعلم أن ابن رجب متضلِّع في علم الحديث، فإنه لا يتردَّد عندما يُناقِش موضوعات تخصُّ سند الحديث أو متنه.

ففي (ص: ٨١) يقول: إن النسائي خرَّج قصة تناظُر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بزيادة، وهي أن أبا بكر قال لعمر: إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة"، وخرَّجه ابن خزيمة في صحيحه.

قال ابن رجب: "ولكن هذه الرواية خطأ، أخطأ فيها عمران القطان إسنادًا ومتنًا، قاله أئمة الحفاظ، منهم: علي بن المديني، وأبو زرعة، وأبو حاتم، والترمذي، والنسائي، ولم يكن هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ عند أبي بكر ولا عمر، وإنما قال أبو بكر: "والله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال... إلخ".

واستدل ابن رجب بهذا الحديث على أنه إشارة إلى أن قتال تارك الصلاة أمر مجمع عليه؛ لأنه جعله أصلاً مقيسًا عليه، وقال: "ويُستدلُّ أيضًا على القتال على ترك الصلاة بما في صحيح مسلم: "يُستعمَل عليكم أمراء فتعرفون وتُنكِرون، فمن أنكر فقد برئ، ومَن كَرِهَ فقد سَلم، ولكن من رضي وتابع"، فقالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلَّوا"، ثم قال ابن رجب: "وحكم مَن ترك سائر أركان الإسلام أن يُقاتَلوا عليها كما يقاتَلون على ترك الصلاة والزكاة".

وانظر ما قاله في الحديث الثاني عشر: "مِن حسن إسلام المرء تَركه ما لا يعنيه" (ص: ١٠٥)؛ ليبدو لك جليًّا مدى علمه بالحديث، وكذلك في (ص: ١٢٠).

وفي رواية لحديث آخر (ص: ٢١١) يقول: "وفي هذا الحديث نظر، ووهب بن خالد ليس بذاك المشهور بالعلم".

وعندما يستدلُّ أحدهم بحديث: "إن المؤمن ليؤجر في كل شيء، حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه" (ص: ٢٢٤) يقول: وهذا اللفظ الذي استدلَّ به غير معروف، إنما المعروف قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد: "إنك لن تُنفِق نفقةً تَبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى اللقمة ترفعها إلى فِي امرأتك"، وهو مقيَّد بإخلاص النية لله، فتحمل الأحاديث المطلقة عليه، والله أعلم.

ويتحدث عن رواية أخرى لحديث في (ص: ٢٣٦) فيُضعِّف سنده لأمرَين، وفي الصفحة التالية يُعرِّف براوٍ ردًّا على غيره، وأنه تابعي مشهور.

وفي (ص: ٢٤١) يقول عن حديث: إنه معلول، رغم أنه قد قيل: إن إسناده على شرط مسلم، وفي رده على الحاكم (ص: ٢٤٤) يقول عن حديث: ليس الأمر كما ظن الحاكم، وليس الحديث على شرطهما (أي: البخاري ومسلم)... إلخ.

وعندما يقول الإمام الترمذي عن حديث: إنه حسن صحيح، يقول ابن رجب (ص: ٢٥٥): وفيما قاله – رحمه الله – نظر من وجهين.

وأحيانًا يجزم برأيه كما قال في (ص: ٢٥٥) عن إحدى الروايات:

قلت: رواية شهر عن معاذ مرسَلة يَقينًا.

وانظر آراءه أيضًا في (ص: ٢٧٢، ٣٥١، ٣٦٥، ٣٦٨).

وعندما يقول عن حديث: إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات، مخرَّج لهم في الصحيحين (ص: ٣٣٨)، يقول بعده مباشرة: سوى شيخ الطبراني (ربما يقصد هارون بن كامل)، فإنه لا يحضرني الآن معرفة حاله.

ولو عاد – رحمه الله – لِما كتب، لوصل إلى معرفته بالرجوع إلى المصدر.

وعندما يُصحِّح بعضهم حديثًا يقول: تصحيح هذا الحديث بعيد جدًّا من وجوه؛ انظر: (ص: ٣٦٤).

ودعنا نُبحِر الآن مع الكاتب في ثنايا الكتاب!

إنك تراه في كل حديثٍ من هذه الأحاديث الخمسين، يعطيه حقه من التوضيح والبيان، يطمئنك على سند الحديث أولاً، وقد يُعطي مقدمة عامة، أو توطئة لموضوع الحديث، وسبب وروده، ثم يقسمه إلى أقسام، وهنا يزيد من عنايته في بيان كل ما يتعلق به؛ من مفردات،

وتوضيحات، وروايات، وخلافات، ونصوص مُوافقة، وأخرى مقوِّية، ثم يَستنتج ويُبدِي رأيه ويَختمه لك، وأنت تَشعر بأنه لم يترك شيئًا في هذا المجال إلا وتطرَّق إليه.

وقد يَختلف أسلوبه من موضوع إلى موضوع، من حيث الإيجاز أو الإطناب، حسب أهميته وحاجته إلى هذا الأسلوب أو ذاك، ويُنبِّه إلى لطائف نادرة؛ حتى لا يفوت المرء إدراكه.

في شرحه للحديث الرابع: "إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه... إلخ"، وعندما يصل إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار..." إلخ، يُورِد أيضًا رواية البخاري: "إنما الأعمال بالخواتيم".

يقول (ص: ٥٤): "وفي الجملة: الخواتيم ميراث السوابق، فكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم مَن كان يقلق من ذكر السوابق، وقد قيل: إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقرَّبين معلقة بالسوابق يقولون: ماذا سبق لنا؟

وقوله: "فيما يبدو للناس": إشارة إلى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطَّلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت".

ثم يقول: "وفي الجملة، فالخواتيم ميراث السوابق".

ويزيد ذلك شرحًا فيما بعد، وسبب اهتمامه بهذا هو هذه اللحظة الرهيبة التي يعيشها المرء عند فقدِه لروحه التي بين جنبَيْه، والثواني الأخيرة لصلته بعالم الدنيا، وعالم المادة، والأولاد والأهل، وانتقاله إلى عالَمٍ آخر تتحرَّك فيه الأرواح دون الأجساد البالية، إنها حقًّا لحظات لا تتكرَّر، ومواقف لا يستطيع أن يعبِّر عنها القلم، وقد عقد ابن القيم فصلاً عن هذا في كتابه القيم "الروح".

وأثناء شرح ابن رجب الحديث السابع: "الدين النصيحة" ينقلنا إلى عالم المسؤولية التي كلف بها المسلم، وهو عالم ينوء بحمله الجبال، ولا يكاد يخطر على بال المسلم اليوم بعض ما يذكره المؤلف في هذا الحديث، ومن جليل ما قاله (ص: ٧٥): "وقد تُرفَع الأعمال كلُّها عن العبد في بعض الحالات ولا يرفع عنه النصحُ لله، فلو كان مَن مرِض بحالٍ لا يمكنه عملُ شيء من جوارحه بلسان ولا غيره، غير أن عقله ثابت، لم يَسقُط عنه النصح لله بقلبه، وهو أن يندم على ذنوبه، وينوي إن صحَّ أن يقوم بما افترض الله عليه، ويَجتنب ما نهاه عنه، وإلا كان غير ناصح لله بقلبه... إلخ".

ومما قد يغيب عن الذهن أن المرء يُثاب بحسناته في الكفر إذا أسلم، وتُمحى عنه سيئاته إذا أسلم، لكن بشرط أن يحسن إسلامه، ويتقي تلك السيئات في حال إسلامه، وأورد في ذلك أحاديث؛ انظر: (ص: ١٠٨ – ص١٠٩).

ويغيب أيضًا عن ذاكرتنا معاملة العاصين، فكيف يجب أن تكون؟

إن سلوك بعض الدعاة معهم يُؤدِّي إلى نفورهم من الدين بدل عودتهم إليه بالحسنى، وقد ذكرني بهذا ما أخرجه البخاري؛ أن رجلاً كان يُؤتَى به النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر، فلعَنه رجل، وقال: ما أكثر ما يؤتى به! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تلعَنْه؛ فإنه يحب الله ورسوله".

ولنا بعد هذا أن نحاسب أنفسنا، ما إذا كان موقفنا وتعاملنا مع العصاة تبعًا لما جاء به الدين، أم تبعًا لهوانا؟!

وقِسْ على شارب الخمر غيرَه من العصاة، وهم ممن يُحبون الله ورسوله، ولكننا لا نقترب منهم، ونكرههم، ونعدُّهم من أدنى الناس مروءةً وخُلقًا!

أليس هذا التعامل بحاجة إلى نظر، وخاصة بين الدعاة المسلمين، والاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم أولى وأهدى؟

وعن موضوع آخر (ص: ١٢٥) – وهو الكلام والصمت – يُريد أن يصل بنا المؤلف إلى حلٍّ بعد إيراد أدلة الطرفين، فيقول:

فمن هنا يُعلَم أن ما ليس بخير من الكلام، فالسكوت عنه أفضل من التكلم به، اللهم إلا ما تدعو إليه الحاجة مما لا بدَّ منه.

وأورد عن سليمان بن عبدالملك قولَه (ص: ١٢٧): الصمت منام العقل، والنطق يقظته، ولا يتم حال إلا بحال؛ يعني: لا بد من الصمت والكلام.

ويقول ابن رجب (ص: ١٢٧): وبكل حال، فالتزام الصمت مُطلقًا واعتقاده قربة، إما مطلقًا أو في بعض العبادات؛ كالحج والاعتكاف والصيام: منهيٌّ عنه.

وقال ابن يزيد – أو ابن بريدة كما في الهامش (ص: ٢٦٠) –: رأيت ابن عباس رضي الله عنهما أخذ بلسانه، وهو يقول: ويحك، قل خيرًا تغنَمْ، أو اسكُتْ عن سوء تسلَمْ، وإلا فاعلم أنك ستندم، قال: فقيل له: يا بن عباس، لِمَ تقول هذا؟ قال: إنه بلغني أن الإنسان – أراه قال – ليس على شيء من جسده أشد حنقًا أو غيظًا يوم القيامة منه على لسانه، إلا مَن قال به خيرًا أو أملى به خيرًا.

* وقد رأينا قبل مدة كيف أن المطابخ اليابانية طلعت على المشاهدين بأسلوب جديد في طهي السمك أو قلْيِه، وهو أن يوضع السمك - وهو حي - في الزيت المغلي، ومن ثم يخرج ويوضع أمام (الزبون) وهو ما يزال يتحرَّك.

فليس من شأن المسلم أن يكون قاسي القلب مثل هؤلاء الذين لا يلتزمون بعقائد وآداب صحيحة، وقد أُمِر المسلم أن يرفق بالحيوان.

ويقول الإمام أحمد: لا يُشوى السمك في النار وهو حي!

بل إن أكثر العلماء على كراهة التحريق بالنار حتى للهوامِّ؛ انظر بالتفصيل (ص: ١٤٥) فما بعد.

* ولا أكون مغاليًا إذا قلت: إن ابن رجب عالِم نَفْسٍ كبير؛ فهو كثيرًا ما يغور في أعماق النفس البشرية فيُخرِج عيوبها، ويدلُّ على محاسنها.

أقول هذا، وأذكر أن له كتيبا نفيسًا في هذا المجال، وهو بعنوان: "الفرق بين النصيحة والتعيير".

ونبَّه في الكتاب الذي نحن بصدده (ص: ٢٣٢) إلى أمر ربما لا يَخطر على بال كثير من المسلمين؛ يقول - رحمه الله -:

ومن فضله سبحانه أنه نسب الحمد والشكر إليهم، وإن كان من أعظم نعمه عليهم، وهذا كما أعطاهم ما أعطاهم من الأموال واستقرض منهم بعضه، ومدحهم بإعطائه، والكل ملكُه، ومن فضله، ولكن كرمه اقتضى ذلك، ومن هنا يُعلَم معنى الأثر الذي جاء مرفوعًا وموقوفًا: "الحمد لله حمدًا يوافي نعمه، ويُكافئ مزيده".

لقد قرأت هذا وأنا أتعجب!

فإن الإنسان كثيرًا ما يفوته أن يحمد الله ويشكره على ما أنعم عليه من علم أو مال أو سلطان، وقد تمرُّ الساعات والأيام، بل والسنوات، وهو غارق في عمله ومهنته، ولا يتذكَّر أن هذا من نعمة الله عليه!

فإن هداه الله وتفضَّل عليه، ذكره وألهمه بأن يَحمد الله ويَشكُره، وإن لم يشأ بقي المرء في نسيانه، فلا يَحمد ولا يَشكُر!

أليس الحمد والشكر أيضًا من نعم الله على عباده، يُذكِّر مَن يشاء ويُنسِي مَن يشاء؟

وذكَّرني ما ورَد في (ص: ٢٤٤) بأمرٍ تسير عليه بعض المساجد، أو كثير منها، وهو الوعظ اليومي، بل يرد أن يكون هناك درس بعد العصر وآخر قبل العشاء، وذلك بالقراءة من كتاب طوال السنة، كما رأيته بنفسي في المملكة، وقد ورد في الصحيحين عن أبي وائل قال: كان عبدالله

بن مسعود يُذكِّرنا كل يوم خميس، فقال له رجل: يا أبا عبدالرحمن، إنا نحب حديثك ونشتهيه، ولوددنا أنك تحدثنا كل يوم، فقال: ما يمنعني أن أحدثكم كل يوم إلا كراهة أن أملَّكم، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخوَّلنا بالموعظة؛ كراهة السآمة علينا.

وللمرءِ بعد ذلك أن يوازن بين الواقع وبين ما هو مطلوب.

وفي موقف طريف تعرَّض له الرسول صلى الله عليه وسلم، كما في (ص: ٢٥٦) من الكتاب، أنه قال لرجل - ويبدو أنه أعرابي -: "كيف تقول إذا صليتَ؟"، قال: أسأل الله الجنة وأعوذ به من النار، ولا أُحسِن دَنْدَنَتك ولا دَنْدَنة معاذ - يشير إلى كثرة دعائهما واجتهادهما في المسألة - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "حولها نُدَنْدِن"، وفي رواية: "هل تصير دندنتي ودندنة معاذ إلا أن نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار".

وفي قضية طريفة مع شُريح القاضي، ورد أنه قضى في أولاد هرَّة تداعاها امرأتان، كل منهما تقول: هي ولد هرتي، قال شريح: ألقها مع هذه، فإن هي قرَّت ودرَّت واستبطرت، فهي لها، وإن فرَّت وهربت وبارت، فليس لها، قال ابن قتيبة: قوله استبطرت يريد امتدَّت للإرضاع، وإن بارت: اقشعرت وتنفشت (ص: ٢٩٨).

ويحاول ابن رجب في (ص: ٢٧٠) أن يصل إلى قاعدة أصولية لما لم يَرِد فيه نصٌّ، فيقول: والتحقيق في هذا المقام - والله أعلم - أن البحث عما لم يوجد فيه نصٌّ خاصٌّ أو عامٌّ على قسمين:

أحدهما: أن يبحث عن دخوله في دلالات النصوص الصحيحة من الفتوى والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح، فهذا حق، وهو مما يتعيَّن فعلُه على المجتهدين في معرفة الأحكام الشرعية.

والثاني: أن يُدقِّق الناظر نظرَه وفكره في وجوه الفروق المستبعَدة، فيُفرِّق بين متماثلين بمجرَّد فرق لا يظهر له أثر في الشرع مع وجود الأوصاف المقتضية للجمع، أو يَجمع بين متفرِّقين بمجرَّد الأوصاف الطارئة التي هي غير مناسبة، ولا يدل دليل على أن تأثيرها في الشرع، فهذا النظر والبحث غير مرضي ولا محمود، مع أنه قد وقع فيه طوائف من الفقهاء، وإنما المحمود النظر الموافق لنظر الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من القرون المفضلة؛ كابن عباس ونحوه.

وبعد إيراد أقوال عديدة عن الزهد ومعناه وحدوده، يُورد قول أبي سليمان الداراني: الزهد في ترك ما أشغلك عن الله - عز وجل.

يقول ابن رجب (ص: ٢٧٧): وهذا الذي قاله أبو سليمان حسن، وهو يجمع جميع معاني الزهد وأقسامه وأنواعه.

ومِن أبدع ما قاله وتفطن إليه، وردَّ به على بعض من يخول له التقليد الأعمى، بل حتى الاجتهاد، وقد نوى انتصارًا لمذهب - قوله في (ص: ٣١١): وهنا أمر خفي ينبغي التفطُّن له، وهو أن كثيرًا من أئمة الدين قد يقول قولاً مرجوحًا ويكون مجتهدًا فيه مأجورًا على اجتهاده فيه، موضوعًا عنه خطؤه فيه، ولا يكون المنتصِر لمقالته تلك بمنزلتِه في هذه الدرجة؛ لأنه قد لا ينتصر لهذا القول إلا لكون متبوعه قد قاله؛ بحيث لو أنه قد قاله غيره من أئمة الدين لَما قبِله، ولَما انتصر له، ولا والى مَن يوافقه، ولا عادى مَن خالفه، ولا هو مع هذا يظن أنه إنما انتصر للحق بمنزلة متبوعِه، وليس كذلك، فإن متبوعه إنما كان قصده الانتصار للحق وإن أخطأ في اجتهاده، وأما هذا التابع، فقد شابه انتصاره لما يظنه الحق إرادة علوِّ متبوعه وظهور كلمته، وأنه لا يُنسب إلى الخطأ، وهذه دسيسة تقدحُ في قصد الانتصار للحق، فافهَم هذا؛ فإنه مهمٌّ عظيم، والله يَهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.

وفي العادات الاجتماعية يُنبِّهنا ابن رجب إلى ما يُصادِفه المسلم يوميًّا من أمور قد لا يأبهُ بها، بينما تكون لها أحكام شرعية يجب التقيد بها.

خرَّج أحمد، وأبو داود، والترمذي، عن السائب بن يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا جادًّا، فمَن أخذ عصا أخيه فليردَّها إليه"، قال ابن أبي عبيد: يعني أن يأخذ شيئًا لا يريد سرقته، إنما يريد إدخال الغيظ عليه، فهو لاعب في مذهب السرقة، جادٌّ في إدخال الرَّوع والأذى عليه؛ (ص: ٣١٦).

وقد يقاس على هذا أمورٌ كثيرة تحدثُ بين الأصدقاء، ولا يجدون فيها بأسًا، فقد يتآمر اثنان أو ثلاثة على واحد ليأخذوا منه - خفيةً - شيئًا عزيزًا عليه، ويُخبِرونه بذلك، ولكن لا يدلُّونه عليه بالرغم من حاجته إليه، أو طلبه لإعادته، فيغتاظ لذلك، وقد يقاس على هذا المسبحة، والقلم، والمفتاح... إلخ.

ويبدع ابن رجب عندما يتطرَّق إلى نواحي الخدمة الاجتماعية في المجتمع المسلم، وكيف أن التكافل الاجتماعي يُعطي القوة والتماسك بين أفراده ويورث الحب والعمل.

وأكتفي بنقل بعض الأمثلة (ص: ٣٢٢) لأستدلَّ بها على تكافل المجتمع المسلم، أو هكذا ينبغي أن يكون المسلمون:

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يَحلب للحي أغنامهم، فلما استخلف قالت جارية منهم: الآن لا يَحلبها، فقال أبو بكر: بلى وإني لأرجو ألا يغيرني ما دخلتُ فيه عن شيء كنت أفعله، أو كما قال.

كان عمر يتعاهد الأرامل؛ يستقي لهن الماء بالليل، ورآه طلحة بالليل يدخل بيت امرأة، فدخل إليها طلحة نهارًا، فإذا هي عجوز عمياء مُقعَدة، فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك؟ قالت: هذا مذ كذا وكذا يتعاهَدُني، يأتيني بما يُصلِحني ويُخرج عني الأذى، فقال طلحة: ثكلتك أمك يا طلحة، أعورات عمر تتبع؟!

كان أبو وائل يطوفُ على نساء الحي وعجائزِهن كل يوم، فيَشتري لهنَّ حوائجهن وما يُصلِحهن.

قال مجاهد: صحبتُ ابن عمر في السفر لأخدمه، فكان يخدمني، وكان كثير من الصالحين يشترط على أصحابه أن يخدمهم في السفر.

وفي شرحه الحديث الحادي والأربعين: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"، كان مما قاله (ص: ٢٦٦):

جميع المعاصي إنما تنشَأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله، وقد وصف الله المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه؛ فقال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [سورة القصص: ٥٠]، وكذلك البدع إنما تنشَأ من تقديم الهوى على الشرع؛ ولهذا يُسمَّى أهلها: أهل الأهواء، وكذلك المعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يُحبه، وكذلك حبُّ الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيجب على المؤمن محبة الله، ومحبة مَن يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا.

(نشر في مجلة "التوباد"، المجلد الثاني، العددان الأول والثاني، محرم – جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ، سبتمبر – مارس ١٩٨٩م).

(ط)

كلمات مضيئة

من "جامع العلوم والحكم"

"جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكَلِم" كتاب رأى النور منذ سبعة قرون، لما عزم مؤلفه "ابن رجب" المحدِّث والعالم الفذُّ، وشمَّر عن ساعد الجد، ليَقوم بتأليفه، تحت إلحاح جَماعة من طلاب العلم؛ كما ورَد في مقدمة الكتاب.

وهو شرح لاثنين وأربعين حديثًا من جوامع كَلِم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي جمَعها الإمام النووي، وزاد عليها ابن رجب ثمانية أحاديث أخرى، فانتظمَت خمسين حديثًا نبويًّا شريفًا.

وقد بهرني أُسلوب المؤلف في شرح هذه الأحاديث، وأُعجبتُ بعِلمه وتضلُّعه في الحديث وعلومه، وقدرتِه العجيبة على شرحِه بإيجاز دون إخلال بالمعنى، وإيرادِه لآراء العلماء وأئمَّة الحديث، وبيانِ رأيه مع الأدلة والحُجَج.

وقد وجدت الكتاب - بحقٍّ - جامعَ العلوم والحكم.

ولم أشأ أن أكون "سلبيًّا" بعد أن قرأت الكتاب كله، وعلمتُ قيمته، ويَعلمها غيري، فأحببتُ أن أنبِّه إليها ليَقتنيَه مَن أراد أن يُتحِف مكتبته بأروع كتب تراثنا الإسلامي، فكتبت عن الكتاب دراسة طويلة، بيَّنت فيها منهج المؤلف، وقيمة الكتاب العلمية.

وكنت قد أشرت أثناء مُطالعتي لهذا الكتاب إلى جُمل وكلمات مضيئة أثَّرت في نفسي، وخشع لها قلبي، فجمعتُها، وأحببت أن يطَّلع عليها غيري، فربَّ كلمة هدت قارئها، وسار عليها مدى حياته، والله أسأل أن ينفع بها.

وأذكُر هذه الحِكم بدون ترتيب، لئلا تملَّها النفس، وأُشير إلى الصفحة من الكتاب، طبعة دار المعرفة ببيروت، ومما يؤسَف له أن الكتاب لم يُحقَّق حتى الآن، وفيه أخطاء كثيرة!

قال بعض السلف: "مَن عرَّض نفسه للتُّهم فلا يلومنَّ مَن أساء الظن به" (ص: ٦٨).

وقال بعضهم: "كفى بخشية الله عِلمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلاً" (ص: ٨٩).

قال عمر بن عبدالعزيز: "ليست التقوى قيام الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك، ولكن التقوى أداء ما افترض الله، وترك ما حرَّم الله، فإن كان مع ذلك عمل فهو خير إلى خير" أو كما قال (ص: ٩١).

"يوجد كثيرًا من يجتهد في فعل الطاعات ولا يقوى على ترك المحرَّمات" (ص: ٩١).

"إذا فاق المرءَ أحدٌ في فضيلة دينية، اجتهد على لحاقِه، وحَزِن على تقصير نفسِه وتخلُّفه عن لِحاق السابقين؛ لا حسدًا لهم على ما أتاهم الله، بل منافسةً لهم وغبطة، وحزنًا على النفس بتقصيرها وتخلُّفها عن درجات السابقين" (ص: ١١٤).

قيل لابن المبارك: اجمَع لنا حسْنَ الخلُق في كلمة، قال: "ترْك الغضب" (ص: ١٣٥).

سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أكثر ما يُدخل الناس الجنة؟ قال: "تقوى الله وحسن الخلُق"؛ أخرجه الإمام أحمد، وابن ماجه، والترمذي، وصحَّحه ابن حبان (ص: ١٤٨).

* قال الحسن البصري: "ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيرًا من الحلال مَخافة الحرام"، وقال الثوري: "إنما سمُّوا متَّقين لأنهم اتَّقوا ما لا يُتَّقى".

*كتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل:

"أوصيك بتقوى الله – عز وجل – التي لا يقبَل غيرها، ولا يَرحم إلا أهلَها، ولا يُثيب إلا عليها؛ فإن الواعِظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعَلنا الله وإياك مِن المتَّقين" (ص: ١٥١).

*كتب ابن السماك الواعِظ إلى أخ له:

أما بعد؛ أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيُّك في سريرتك، ورقيبُك في علانيتك، فاجعل الله مِن بالك على كل حال في ليلك ونهارك، وخَفِ الله بقدْرِ قُربه منك وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه ليس تَخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا مِن مُلكِه إلى ملك غيره، فليَعظم منه حذرُك، وليَكثر منه وجلك والسلام" (ص: ١٥٢).

"اتَّفقت الأمة على أن التوبة فرض" (ص: ١٥٩).

* قال وهب بن مُنبِّه لرجل كان يأتي الملوك:

ويحك! تأتي مَن يُغلِق عنكَ بابه، ويُظهر لك فقرَه، ويُواري عنك غناه، وتدع مَن يفتَح لك بابَه نِصفَ الليل ونصف النهار، ويُظهِر لك غناه، ويقول: ادعُني أستجِبْ لك؟ (ص: ١٨٢).

* يُروى من حديث أبي أمامة مرفوعًا:

"ما تحت ظلِّ السماء إله يُعبَد أعظم عند الله مِن هوًى متَّبع" (ص: ١٩٩).

* الصبر المحمود أنواع:

"منه صبر على طاعة الله – عز وجل – ومنه صبر عن معاصي الله – عز وجل – ومنه صبر على أقدار الله – عز وجل – والصبر على الطاعات وعن المحرَّمات أفضل مِن الصبر على الأقدار المؤلمة"؛ صرَّح بذلك السلف؛ منهم: سعيد بن جبَير، وميمون بن مهْران وغيرهما (ص: ٢٠٧).

"الطاعة تُزكِّي النفس وتطهِّرها فترَتفِع بها، والمعاصي تدسِّي النفس وتقمَعُها فتَنخفِض وتصير كالذي يُدَسُّ في التراب" (ص: ٢٠٨).

العبد إذا خاف مِن مخلوق هرب منه وفرَّ إلى غيره، وأما مَن خاف من الله فما له من ملجأ يَلجأ إليه، ولا مهرَب يَهرب إليه إلا هو، فيَهرب منه إليه، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: "لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك"، وكان يقول: "أعوذ برضاك من سخطِك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك" (ص: ٢١٥).

* قوله تعالى: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [سورة القيامة: ٢]:

إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنَّم فاعتنقتْهم الزبانية، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطَعت عنهم الأماني، ورُفعت عنهم الرحمة، وأقبل كلُّ امرِئ منهم يلوم نفسه (ص: ٢٢٠).

* عن أبي بكرٍ المزني قال:

"يا ابن آدم، إن أردتَ أن تعلم قدْر ما أنعم الله عليك فغمِّض عينيك" (ص: ٢٢٩).

كان ابن عمر رضي الله عنهما يدعو: "اللهم يسِّرْني لليُسرى، وجنِّبني العسرى" (ص: ٢٥٦).

* ويقول أبو حازم الزاهِد:

"لي مالان لا أخْشى معهما الفقر: الثِّقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس" (ص: ٢٧٤).
* أخرج الترمذيُّ عن قتادة بن النُّعمان، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا أحبَّ عبدًا حماه عن الدنيا كما يظلُّ أحدكم يَحمي سقيمَه الماءَ)) (ص: ٢٧٩).
* ويقول عليه الصلاة والسلام:
"نعمتَ الدار الدنيا لمن تزوَّد منها لآخرته حتى يُرضي ربه، وبئست الدار لمن صدَّته عن آخرته وقصرت به عن رضا ربه، وإذا قال العبد: قبَّح الله الدنيا، قالت الدنيا: قبَّح الله أعصانا لربه"؛ أخرجه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه العقيلي (ص: ٢٨٠).
* من كلام يحيى بن معاذ الرازي:
"ليكنْ حظُّ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعْهُ فلا تضره، وإن لم تُفرِحه فلا تَغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه" (ص: ٢١٧).
* "مَن أعرض عن الله فما له عن الله بدَل، ولله منه أبدال" (ص: ٣٤١).
* قال ابن مسعود: "من أحبَّ القرآن أحبَّ الله ورسوله" (ص: ٣٤٣).
* أوصَت امرأة من السلف أولادها فقالت لهم:
"تعوَّدوا حُبَّ الله وطاعته؛ فإن المتقين أَلِفوا الطاعة فاستوحشَت جوارحُهم مِن غيرها، فإن عرض لهم الملِعون بمعصية مرَّت المعصية بهم مُحتشِمة فهم لها مُنكرون" (ص: ٣٤٥).
* يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه:
"إن الدنيا قد ارتحلَت مُدبِرةً، وإن الآخرة قد ارتحلَت مُقبِلة، ولكلٍّ منها بَنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حِساب ولا عمل" (ص: ٣٥٧).
* قال الحسن:
"إنما أنت أيام مَجموعة، كلما مضى يومٌ مضى بعضُك"، وقال: "ابن آدم، إنما أنت بين راحلتين مطيتين يوضِعانك، يوضعك الليل إلى النهار، والنهار إلى الليل حتى يُسلِّمانك إلى الآخرة، فمَن أعظم منك يا ابن آدم خطرًا؟ (ص: ٣٥٩).
* "ما جاور عبدٌ في قبره مِن جارٍ أحبَّ إليه مِن استِغفار كثير" (ص: ٣٧٣).
* "دوء الذنوب الاستِغفار" (ص: ٣٧٣).

* "مَن تحقَّق بكلمة التوحيد قلبُه، أخرجَتْ منه كل ما سوى الله محبَّةً وتعظيمًا وإجلالاً، ومَهابةً، وخشيةً، ورجاءً، وتوكُّلاً" (ص: ٣٧٤).

"كل ما أدَّى إلى إيقاع العَداوة والبغضاء كان حرامًا" (ص: ٣٩٤).

قال رجل لابن عمر: "ألا أجيئك بجوارش؟ وأيُّ شيء هو؟ قال: شيء يَهضِم الطعام إذا أكلته"، قال: "ما شبعتُ منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدِر عليه، ولكن أدركتُ أقوامًا يَجوعون أكثر مما يَشبعون" (ص: ٣٩٩).

* "كان شباب يتعبَّدون في بني إسرائيل، فإذا كان فِطرُهم قام عليهم قائم فقال: لا تأكُلوا كثيرًا، فتشرَبوا كثيرًا، فتناموا كثيرًا، فتخسَروا كثيرًا" (ص: ٤٠٢).

* قال سهل التستري: "مَن طعن في الحركة - يَعني في السعي والكسْب - فقد طعن في السنَّة، ومَن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان" (ص: ٤٠٩).

(نشر في ثلاث حلقات بجريدة المدينة ع ٧٤٣٩ (١٤٠٨/١/٧هـ)، و ع ٧٤٤١ (١٤٠٨/١/١٩هـ)، وع ٧٤٤٣ (١٤٠٨/١/٢١هـ)).

(ي)

الوقف وبنية المكتبة العربية للأستاذ يحيى ساعاتي

(عرض وتحليل)

كلمات من الكتاب:

ظهرت فكرة أول مكتبة عامة في القرن الهجري الأول بمكة المكرمة.

يمثل الوقف صميم النهضة العلمية على مدار القرون في تاريخنا الإسلامي.

ساهم في وقف الكتب والمكتبات الحكام والوزراء والعلماء والأثرياء.

جميع المدارس التي أنشئت في التاريخ الإسلامي كانت تعتمد على الوقف.

التعليم كان مجانيًّا ولمختلف الطبقات.

لم يكن يمنع أحد من دخول المكتبات.

دار العلم في بغداد كان يقصدها العلماء والأدباء من الآفاق.

دار الحكمة في القاهرة كانت من عجائب الدنيا.

أكثر المعلومات في "معجم البلدان" من خزائن الكتب الوقفية.

كانت البداية هي وقف المصاحف على الجوامع عام ١١٨هـ.

وقف ابن خلدون نسخة من تاريخه على مكتبة جامع القرويين.

لم تخلُ مدرسة واحدة في بقاع العالم الإسلامي من مكتبة تابعة لها.

المدرسة البيهقية في نيسابور أقدم مدرسة فيها مكتبة وقفية.

لماذا وقعت أزمة في سوق الكتاب في عصر المستنصر بالله؟!

المدرسة الضيائية بدمشق كان فيها خط الأئمة الأربعة.

أصبح الكتاب جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان في أصقاع العالم الإسلامي.

أقدم ما عُرف في تاريخ المكتبة العربية هو المكتبة الطبية التابعة للمستشفيات.

أسند الخليفة الناصر لدِين الله عملية اختيار الكتب إلى أبرز شخصية علمية.

تولى أمانة المكتبة مجموعةٌ من أشهر العلماء والأدباء.

كان الحافظ ابن حجر العسقلاني أمينًا لإحدى المكتبات العامة.

اشترط في أمين المكتبة أن يكون أمينًا، نزيهًا، قادرًا على القيام بخدمة الكتب، عارفًا بترتيبها.
العقاب الشديد لأمين المكتبة المقصر.

تمهيد:

لوحة عربية رسمت عليها خطوط من حبر قديم، تحكي قصة أوراق وحروف كانت رمزًا وعنوانًا لحضارة، حملها الخلفاء، وحفظها العلماء، وأوقفها السلاطين والأمراء، وسارع إلى طلب الأجر من ورائها الأثرياء والنبلاء، واجتمع على شرائها الفقراء، حتى أصبحوا بها أغنياء، سادة وعلماء، وأوصى بها الآباء، وتندَّر بها الجلساء، وتغزَّل بها الفقهاء.

حروف وكلمات سهرت عليها أعين وأيادٍ بيضاء، تحفر الظلام، وتشق إليه النور في جداول الكتاب، فيعطي الشموع، ويضيء الدرب، ويمنح العطاء.

سفرة في لون الأرض تتمايل عليها سنابل خضراء غنية، مملوءة بالماء والغذاء، مائدة عامرة بأصناف العقود، تبتسم وتتلألأ في أبهة ودلال.

ولحظة سماح منك – عزيزي القارئ – إن كنت قد شغلتك بما كان يجول في خاطري فسطرته على ورقة.

إنها تحية تقدير لمادة هذا الكتاب، الذي يبحث في جانب مُشرق من جوانب حضارتنا الإسلامية، عمرته وهذبته نفوس "نورانية" كانت ترى في نشر العلم، ووقف الكتاب، والإنفاق على طلبة العلم: قمة سعادتها وسرورها.

وهي أيضًا تعبير عن إعجابي وتقديري لجهد المؤلف، وأسلوب تقديمه، وكيفية معالجته، وفتحه لباب عظيم من أبواب تاريخنا الإسلامي، وقطعة من تاريخ العلم والعلماء، ما زلنا نفخر به، ونلهج بذكره أمام العالمين.

وأرجو أن يعذرني القارئ في أسلوبي لعرض الكتاب، فلن يكون منهجيًّا مثل منهجية الكاتب في كتابه، إلا أن فيه القراءة السريعة، والوقفات المتأنية، والهدف هو تقريب هذا الجانب الحضاري إلى سمع القارئ وذاكرته، من خلال محتوى هذا الكتاب الفريد، الذي لم تصنَّف مادته في كتاب مستقل من غير هذا!

وأول ما يلفت نظرنا عندما نقلب صفحة الغلاف، هو إهداء المؤلف عمله إلى روح عبدالحكم الجمحي، مؤسس أول مكتبة عامة في القرن الهجري الأول بمكة المكرمة!

إنه وفاء من المؤلف لتخصصه.

كما أنه طرق لأبواب نفوس غطتها أتربة وأشنان، وتحريك لمفاتيح الخزائن ذات الصفائح الغليظة التي لا يدرى ما فيها، وتذكير لقلوب واعية بأن مَن سن سنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وعلى غير عادة الكاتب المنهجية – التي يرتب فيها النتائج على المقدمات – لا يخشى أن يضع أمامنا في التمهيد نتيجةً توصل إليها، لم نحسب لها ذلك الحساب؛ حيث وجد "أن الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون؛ حيث أسهم الواقفون – من حكام، ووزراء، وعلماء، وأفراد – في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لجميع طبقات المجتمع دون أدنى تمييز"، ويعد كتابه كله برهانًا على هذه النتيجة.

كما يبين أن الوقف قد ساهم في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية على مدى قرون طوال، من بينها:

- تشييد المدارس، وتعيين المدرسين فيها، والإنفاق على طلبة العلم.
- الاستفادة من المساجد في التعليم، بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.
- العناية بتوفير مصادر للمعلومات في المدارس والمساجد، والربط والبيمارستانات.

ولم تكن المدارس مجردَ أبنية تقام، أو مجموعة من الطلاب يتلقون العلوم فيها على مدرسين في زمان ومكان محددين، بل كان أكثرها على شكل مؤسسات علمية راقية، لها نظمها الخاصة التي تسير عليها، وتقاليدها التي ترعاها، ومواردها التي تعتمد عليها في أداء رسالتها.

"فالمدرسة المستنصرية" في بغداد، التي فرغ من بنائها في عام ٦٣١هـ، بدأ التعليم فيها وفق نظام دقيق؛ إذ إنها –كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية – "وقفت على المذاهب الأربعة، من كل طائفة اثنان وستون فقيهًا، وأربعة معيدين، ومدرس لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئان، وعشرة مستمعين، وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب، ومكتبة للأيتام، وقدر للجميع من الخبز واللحم والحلوى والنفقة، ما فيه كفاية وافرة لكل واحد".

المؤكد أن **جميع المدارس** التي أنشئت في التاريخ الإسلامي **كانت تعتمد على الوقف**، على الرغم من تنوُّعها من حيث الحجم والإمكانات.

ويوضح الدكتور مصطفى السباعي - يرحمه الله - في كتابه الرائع "من روائع حضارتنا" أن التعليم كان مجانيًّا ولمختلف الطبقات، فلم يكن يدفع الطلاب في دراستهم الثانوية والعالية رسمًا ما من رسوم الدراسة، ولم يكن التعليم فيها محصورًا في فئة من أبناء الشعب دون فئة، بل كانت فرصةُ التعليم متوافرةً لجميع أبناء الشعب، وكان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغني، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع، وكانت الدراسة فيها على قسمين: قسم داخلي للغرباء، والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وقسم خارجي لمن يريد أن يرجع في المساء إلى بيت أهله وذويه.

ظهور المكتبات العامة:

في بداية الفصل الثاني ينقل لنا المؤلف نصًّا يشير إلى اتخاذ بيت ووضع كتب فيه، إلى جانب بعض وسائل التسلية لإفادة الناس، وكان ذلك في القرن الأول الهجري، وصاحب المكتبة هو عبدالحكم الجُمحي، الذي أهدى المؤلِّفُ كتابَه إلى رُوحه، وقد ذكر الكاتب في غير مكان أن هذا الاتجاه بين المسلمين كان سابقًا منذ مئات السنين للاتجاه الغربي في إنشاء مكتبات عامة تملِك وسائل ترفيه وتسلية لجذب عامة القراء.

وقد ظهرت أوائل دُور الكتب الوقفية - أي: المكتبات العامة في مفهومنا المعاصر - في القرن الرابع الهجري، ومن هذه الدُّورِ:

- "دار العلم" في الموصل، أنشأها أبو القاسم جعفر بن محمد الشافعي في أواخر القرن الثالث الهجري، جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفًا على كل طالب للعلم، لا يُمنَع أحد من دخولها"؛ كما في معجم الأدباء.
- و"دار العلم" في البصرة، أنشأها أبو علي بن سوار الكاتب، في أواخر القرن الرابع، وصفت بأنها (لم يرد في الإسلام مثلها).

• و"دار العلم" في بغداد – وعرفت فيما بعد بدار الكتب القديمة – أوقفها أبو نصر سابور بن أردشير سنة ٣٨١هـ، وجعل فيها (١٠٤٠٠) مجلد، منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة، كان يقصدها العلماء والأدباء من الآفاق.

• و"بيت الكتب" بالري الذي أنشأه الصاحب بن عباد، وكانت جملة ما فيه من الكتب تحمل على أربعمائة جمل أو أكثر، وفهرستها فقط كانت عشرة مجلدات.

• و"دار الحكمة" في القاهرة التي أسسها الحاكم بأمره، الخليفة الفاطمي، افتتحت يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة ٣٩٥هـ، وكانت على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ المكتبات في الإسلام، حتى قال عنها المقريزي: كانت من عجائب الدنيا... ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبري، إلى غير ذلك، ويقال: إنها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب، وكان فيها من الخطوط المنسوبة أشياء كثيرة.

• وخزانة الوزير أبي القاسم الحسن بن علي المغربي، ت ٤٢٨هـ، في ميافارقين، التي كانت ذات شهرة عالية.

• و"دار الكتب" في فيروز آباد، أنشأها الوزير قوام الدولة عماد الدين بن مامتة، ت ٤٣٣هـ التي احتوت على سبعة آلاف مجلد، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبدالله بن مقلة.

وبما أن فيروز آباد مدينة صغيرة من مدن فارس، فإن المؤلف استنتج أن هذا الأمر يعطي صورة عن انتشار دور الكتب في مدن العالم الإسلامي كبيرها وصغيرها في ذلك الحين.

• و"دار كتب الصابئ" في بغداد، أسسها أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابئ سنة ٤٥٢هـ، واحتوت على أربعة آلاف مجلد في فنون العلم، كما يقول ابن كثير.

• و"خزانة الكتب" في حلب أوقفها نور الدين محمود بن زنكي، وكان فيها عشرة آلاف مجلد، وأحرقت بسبب ما كانت تتضمنه من مؤلَّفات موجَّهة ضد الإسماعيلية.

• و"دار العلم" في طرابلس الشام، وذكر فيها رقمًا خياليًّا من الكتب، منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم، وثمانون ألف نسخة تفاسير.

• و"دار الكتب في ساوة" – مدينة بين الري وهمذان – يقول عنها ياقوت الحموي: "كان بها دار كتب لم يكن في الدنيا أعظم منها".

• و"خزانة المالكية" في مكة المكرمة، كانت تهتم بالدرجة الأولى بمصنفات المذهب المالكي.

• و"خزانة كتب الهمذاني" في همذان، وهو الحافظ المحدث قطب الدين الحسن بن أحمد، ت ٥٦٩هـ، يقول ابن الفوطي عنه: إنه "قد عمل لنفسه خزانة كتب أوقف جميع كتبه فيها".

• و"خزانة كتب مباركشاه" في مرو الرُّوذ، تحتوي على أنواع العلوم.

• و"دار العدة" في فجيج في المغرب، وقفها عبدالجبار بن أحمد الفجيجي، ت ٩٢٠هـ، وكانت بحمولة أربعين بعيرًا، جاء بمعظمها من فارس وتلمسان ومصر، وكما جاء في كتاب الوقف لهذه المكتبة أنها حبس معقب، لا يورث، ولا يقسم، ولا يباع، ولا يوهب.

• و"مكتبة محمد راشد أفندي، في قيصري بتركيا، ت ١٢١١هـ، ووقف فيها ٩٢٥ مجلدًا مخطوطًا، و١٨ مجلدًا مطبوعًا قديمًا، وتطورت مجموعة المكتبة حتى وصل عدد محتوياتها اليوم إلى سبعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع.

• و"مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت" بالمدينة المنورة، ت١٢٧٥هـ، وهي باقية حتى اليوم، وكان صاحبها قد أنفق أموالاً كثيرة في سبيل اقتناء الكتب التي وقفها حتى تجمعت له من أقطار الأرض المختلفة أنفَسُ الكتب وأجملها وأعلاها شأنًا وأغلاها قيمة، وقد كتب بيده على صفحة عنوان أحد المخطوطات أنه دفع مبلغ أربعمائة جنيه عثماني ذهبي لشرائه.

• والخزانة العلمية الصبيحية بسلا، حبسها باشا سلا السابق، الحاج محمد ابن الحاج الطيب الصبيحي في يوم الاثنين ١٣٧٨/٣/١٤هـ، لتكون وقفًا على العلماء وطلبة العلم وعامة القراء مثل المكتبات السابقة، وكانت تشتمل على أربعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع، وقد وضع محمد حجي فهرسًا لمخطوطات هذه المكتبة تضمن تعريفًا بـ ١٣٣٧ مخطوطًا، نشره معهد المخطوطات العربية بالكويت، جاء في ٧٢٢ ص.

وكانت هذه المكتبات الوقفية إضافة إلى المكتبات الخاصة – مثل مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء – وراء حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة؛ فقد اعتمد عليها علماء مشاهير – كما يقول المؤلف – في وَضْع مصنفاتهم، من مثل ياقوت الحموي الذي يشير إلى استفادته من خزائن كتب مرو الشاهجان؛ حيث يقول: "وأكثر فوائد هذا الكتاب – يقصد معجم البلدان – وغيره مما جمعته، فهو من تلك الخزائن".

وكانت هذه الدور سابقة للمدارس، ومن هنا أصبحت ملاذًا للدارسين ومركزًا للعلماء الذين كانوا يلتقون فيها.

مكتبات الجوامع والمدارس:

وكانت البداية هي وقف المصاحف على الجوامع، وبدأت باقتراح من القاضي توبة بن نمر الحضرمي في عام ١١٨هـ.

وقد استحوذ القرآن الكريم على اهتمام الواقفين، وشكَّلت المصاحف نواة المكتبات الكبيرة التي تأسست في الجوامع والمساجد فيما بعد، عندما ازدهرت الحركة العلمية، ويذكر المؤلف أن الجوامع خلال القرون الثلاثة الأولى لعلها لم تخلُ من كتب مصنفة في علوم القرآن الكريم والحديث الشريف، وإن كانت النصوص التي تؤيد هذا الرأي غير متوافرة لنا حتى الآن، ولكن من المؤكد أن القرن الرابع شهد بدايات وقف الكتب بشكل واسع في الجوامع والمساجد.

وأول ما يورده المؤلف هنا هو ما أوقفه الشاعر الكاتب أحمد بن يوسف المنازي المتوفى سنة ٤٣٧هـ، من مكتبة حافلة على جامعي آمد وميافارقين.

وأوصى الطبيب ابن جزلة لتكون كتبه وقفًا بجامع أبي حنيفة في بغداد.

وكان الجامع الأزهر يضم مكتبةً خاصة به.

وكذلك جامع نيسابور.

وجامع حلب.

وجامع الزيدي في بغداد.

وجامع أصفهان.

والمسجد النبوي بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، وقد تكونت بها مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والعلماء والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة.

ومكتبة كبيرة جدًّا في الجامع الأموي في دمشق.

ومكتبة جامع الحاكم بالقاهرة، التي ظلت باقية حتى عهد المقريزي.

والجامع الظاهري بالقاهرة.

وجامع القرويين بفاس، الذي وقف سلاطين المغرب من بني مرين عدة خزائن من الكتب على طلبة العلم، كما وقف ابن خلدون نسخة من تاريخه بعد أن أتمه على مكتبة هذا الجامع لا يزال فيها مجلدان على غلاف أحدهما نص عبارة الوقفية حتى اليوم.

ومسجد الرضواني في تعز.

والجامع الجديد بالصالحية الذي درس فيه جماعة، منهم جمال الدين بن طولون، الذي وقف كتبه عليه.

وجامع الزيتونة في تونس، وقد ضم مجموعات كبيرة من الكتب الوقفية على مدار السنين.

وجامع أزبك الأشرفي في القاهرة.

والجامع الظافري في زبيد.

وجامع أبي الذهب في القاهرة، الذي أسسه محمد بك أبو الذهب، الذي حكم مصر منذ عام ١١٨٧هـ، ووقف بمسجده مكتبة.

ومكتبة الحرم المكي التي أوقف فيها الحكام والأمراء والعلماء والوزراء وبعض الحجاج كتبًا كثيرة.

وهذه نماذج متواضعة - كما يقول المؤلف - تعبر عما كانت تحظى به المساجد والجوامع من عناية الواقفين المهتمين بأمور العلم.

وكانت هذه الجوامع مدارس للعلم قبل ظهور فكرة المدارس المنظمة.

- أما عن وقف الكتب والمكتبات على المدارس، فيقول المؤلف:

"يمكن للمرء أن يجزم أن مدرسةً واحدة في بقاع العالم الإسلامي القديم ما كانت تخلو من مكتبة تابعة لها، بغض النظر عن حجمها وموقعها".

ومن أقدم المدارس التي احتوت على مكتبات وقفية:

"المدرسة البيهقية" في نيسابور، ويعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري، وكانت متخصصة في علم الحديث.

و"المدرسة النظامية" في بغداد، ولعلها أول مدرسة تقوم على أسس منظمة، ويحتفل بافتتاحها على نطاق الدولة، أنشأها مع أُخريَيْنِ - حملتا الاسم نفسه - في نيسابور وطوس: الوزير

نظام الملك، و"المدرسة الفخرية" ببغداد، كان بها خزانة كتب جامعة لأنواع العلوم، ومدرسة شرف الملك المستوفي" في مرو، كان قد وُقِف بها كتب نفيسة، و"المدرسة النورية" في حلب: أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي، و"مدرسة عبدالقادر الجيلي" في بغداد، و"المدرسة العادلية" في دمشق.. ولها قصة غريبة! و"المدرسة الفاضلية" بالقاهرة، التي يقال: إن كتبها الموقوفة كانت تزيد على مائة ألف مجلدة، وكانت كلها للقاضي الفاضل أبي علي عبدالرحيم البيساني المتوفى سنة ٥٩٦هـ، و"مدرسة نظام الملك" في خوارزم، و"مدرسة ابن الجوزي" في بغداد، وصاحبها العالم المعروف أبو الفرج ابن الجوزي وقف كتبه عليها، و"المدرسة العمرية" في دمشق، وهي مِن وقف أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي، أوقف فيها كتب السيد الحسيني وقوام الدين الحنفي والشمس البانياسي والمحدث جمال الدين الحنفي والشمس البانياسي والمحدث جمال الدين بن عبدالهادي وشهاب الدين بن منصور، وفي هذه المكتبة مصحف الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، و"المدرسة البهنسية" في دمشق أنشأها الوزير مجد الدين أبو الأشبال الحارث بن مهلب وزير الملك الأشراف مظفر الدين موسى بن الملك العادل أيوب، و"المدرسة المستنصرية" في بغداد، التي كان لها دور كبير في تاريخ التعليم في الإسلام، أنشأها الخليفة المستنصر بالله، ووقفت على المذاهب الأربعة.. وأنفق أموالاً طائلة لجمع أكبر قدر من الكتب فيها، مما أدى إلى وقوع أزمة في سوق الكتاب في عصره، عبر عنها ابن النجار بقوله: "وبِيعت كتب العلم في أيامه بأغلى الأثمان لرغبة فيها ولوقفها"، وقال عنها آخر: "ووُقف فيها كتب نفيسة ليس في الدنيا مثيلها"، وذكر ثالث أن ما نقل إليها يصل إلى مائة وستين حملاً من الكتب النفيسة، و"المدرسة الضيائية" بدمشق: أنشأها الحافظ ضياء الدين المقدسي، ووقف عليها كتبه، وكانت كثيرة عظيمة، جملة منها كانت بخط يده، ووقف عليها كتبًا مجموعة من العلماء، منهم الموفق والبهاء وعبدالرحمن والحافظ عبدالعزيز وابن الحاجب وابن سلام وابن هائل والشيخ علي الموصلي والحافظ عبدالغني وغيرهم، ويقال: إنه كان فيها خط الأئمة الأربعة.. بل حتى التوراة والإنجيل، و"المدرسة البشيرية" في بغداد: أسستها حظية الخليفة المستعصم أم ولده أبي نصر المعروفة بباب بشير، وجعلتها وقفًا على المذاهب الأربعة.. وقِسْ على هذه المدارس وما وقف فيها من كتب ثمينة من خلفاء وأمراء وعلماء وأهل الخير:

"دار الحديث الأشرفية" بدمشق، "دار الحديث الفاضلية" بالكلاسة، "المدرسة البادرائية" بدمشق، "المدرسة المؤيدية" في تعز، "المدرستان الظاهرية والناصرية" بالقاهرة، "مدرسة ابن بطال الركبي" بذي يعمد، "المدرسة الشهابية" بالمدينة المنورة، "مدرستا ابن قاضي العسكر والحجازية" في القاهرة، "المدرسة الجوزية" بدمشق، "مدرسة الرضواني" في زيد، "المدرسة النصرية اليوسفية" في غرناطة، "مدارس: الصرغتمشية والمحمودية والجاي والأشرف شعبان والناصية والعنتابي" في القاهرة، "مدرسة السلطان الأشرف ابن رسول" في تعز، "مدرستا أعظم شاه وقايتباي الجركسي" في مكة المكرمة، "المدرسة الشامية البرائية" في دمشق، "مدرسة النظاري" في إب، "مدرسة أحمد باشا حضربك" في بروسة، "مدرستا الطبقجلي والمرجانية" في بغداد، "المدرسة الحفظية" في عثالف بعسير.. وعشرات المدارس الأخرى التي كانت تضم مكتبات وقفية حافلة بقي بعضها حتى عهد قريب.

وبعد جولة طويلة بين هذه المدارس يقول المؤلف مشيدًا بالخطط السليمة التي كان ينتهجها القائمون على التعليم في البلاد الإسلامية:

"وتؤكد هذه النظرة الراقية لأهمية وجود مكتبة في كل مدرسة والحرص على وقف الكتب فيها من قِبل فئات المجتمع كافة، أسبقية العرب والمسلمين في إدراك العلاقة الوثيقة بين العملية التعليمية وتوفير المكتبة داخل المدرسة لإخراج الطالب من دائرة الاعتماد على ما يسمعه ويتلقاه من مدرسين، إلى عالم أوسع وأرحب يحصل منه على ثقافة أكثر عمقًا عند تردده على المكتبة واستفادته من محتوياتها".

وقف الكتب والمكتبات على جهات مختلفة

وقد تجاوز وقف الكتب والمكتبات دور الكتب العامة والجوامع والمدارس إلى أنماط أخرى، مثل البيمارستانات (المستشفيات) والربط والخانقاهات والترب والأشخاص والذرية.. وهذا يدل على أن الكتاب قد أصبح جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان في أصقاع العالم الإسلامي لا يُستغنى عنه!

والعجيب في الأمر – كما يقول الكاتب – أن تكون مكتبات البيمارستانات من أقدم ما عرف في تاريخ المكتبة العربية، على الرغم من التخصص الدقيق للبيمارستان.

ومن أقدم هذه البيمارستانات وأشهرها: البيمارستان الذي أنشأه أحمد بن طولون في القاهرة عام ٢٥٩هـ، وكان بمثابة مستشفى وكلية طب، وجعل فيه خزانة كتب احتوت على ما يزيد على مائة ألف مجلد، ثم تأتي مكتبات بيمارستانات: العضدي في بغداد، ونور الدين زنكي في دمشق، والمنصوري في القاهرة.

أما الربط والخانقاهات، وهي مأوى الصوفية والفقراء والغرباء، فقد كان معظمها يجاور المدارس والجوامع، وتشبه إلى حد كبير مساكن الطلاب، وقد أُنشئت بداخلها مكتبات كي يلجأَ إليها الطلاب عند الرغبة في البحث والمطالعة خارج أوقات الدراسة الرسمية.

ومن أشهر الربط التي كانت تضم مكتبات: الرباط الطاهري في بغداد، الذي أنشأه الخليفة العباسي الناصر لدين الله عام ٥٨٩هـ، ويميل الكاتبُ إلى أن هذا الخليفة المحب للكتب والمكتبات هو أول من أشاع ظاهرة مكتبة الرباط، فتكونت مكتبات كبيرة في ربط مختلفة.. في أرجاء العالم الإسلامي، واشتهر أمرها حتى أصبحت تُقصَد من قِبل العلماء.

ومن الربط المشهورة في مكة المكرمة التي احتوت على مكتبات وقفية: رباط ربيع، والشرابي، والسدرة، والأبرقوهي، والخوزي، والموفق، والصفا، وقايتباي.

وفي المدينة المنورة: رباط عثمان بن عفان، وقراء باشي، والجبرت، ومظهر الفاروقي.

وفي بغداد: رباط المأمونية، والزوزني، وابن النياز.

وفي دمشق كانت خانقة السميساطية.

كما عمد بعضهم إلى وقف مكتبات في المقابر والترب، ولا شك أن هذه المكتبات كانت تستخدم ..، وترِد في كتب التراث مئات النصوص التي تشير إلى قضايا تتعلق بوقف الكتب دون تحديد للمكان، وتوضح مثل هذه النصوص مدى انتشار ووقف الكتب بين فئات المجتمع كافة وعلى امتداد القرون، وذكر المؤلف طائفة غير قليلة من هذه الأخبار.

التنظيم والإدارة:

هنا يدخل المؤلف في عمق الموضوع الذي يبحث فيه، والذي اختار منه عنوان الكتاب، ويقول بأننا نصل هنا إلى قناعة أشدَّ بأن الوقف كان أساس بنية المكتبة العربية؛ فهو وإن كان سببًا في قيامها، فقد كان منطلق تنظيمها وإدارتها على ركائز وقواعد محددة في الغالب.

ويتحدث المؤلف في دراسة متأنية مع أمثلة عن طرق إثبات الوقف الثلاثة:

أ – كتابة نص الوقفية على الكتاب نفسه.

ب – كتابة وثيقة وقف شاملة تبين الحدود والأهداف العامة، وتسجل أمام القضاء الشرعي.

جـ – ختم صفحة العنوان وصفحات غيرها أحيانًا بخاتم يدل على الوقف.

ويتضح مما ذكره أن نصوص الوقف المدونة على الكتب أو الأختام كان يقصد منها إشهار الوقف لمنع العبث به أو بيعه، أو التهاون في حفظه، وأغلبها كان يختم بالآية: {فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ} [البقرة: ١٨١]، وغالبية هذه النصوص توضح مسائل تتعلق بالتصرف في أمر الكتاب الوقفي، وطرق استخدامه، وحفظه، والناظر عليه، واسم الواقف، وأحيانًا الأسباب التي دفعت إلى هذا الوقف.

وأبنية المكتبات الوقفية تكون في بناء مستقل إذا كانت عامة، وتلحق بأبنيتها إذا كانت في مساجد أو مدارس أو ربط.

اختيار الكتب: فقد كان مسألة في غاية الأهمية، يوحي بذلك ما قيل من أن الخليفة الناصر لدين الله قد أسند هذه العملية إلى شخصية علمية بارزة، وهو مبشر بن أحمد الملقب بالبرهان، وكان أوحد زمانه، فاضلاً كثير المعرفة.

وسبل تزويد المكتبات الوقفية كانت:

بالبحث عن الكتاب في سوقه، ومن ثم شرائه.

بما كان ينسخه بعض العلماء من كتب خلال حياتهم..، ومن ثم وقفها قبل وفاتهم أو بعدها.

بوضع اليد على وقف سابق.

بشراء الوقف من الورثة!

وكان بين المؤلفين من يحرص على وقف نسخة من أعماله في إحدى المكتبات الوقفية.

وكانت مهمة الإشراف على الكتب الوقفية وتيسير أمر الاستفادة منها تناط في حالة المجموعات المفردة إلى ناظر يكون مسؤولاً عن حفظها، ولكن حقيقة التنظيم الإداري نجده في المكتبات الوقفية؛ إذ تشتمل نصوص الوثائق الوقفية عادة على ما ينظم أمرها، خاصة من يتولى شؤون إدارتها وحفظها وخدمة المترددين عليها، وهو خازن الكتب، أو شاهد خزانة الكتب؛ أي: أمين المكتبة حسب مصطلحنا المعاصر.

ويقول محمد أمين في كتابه الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر: "حددت وثائقُ الوقف مهمة أمين المكتبة في العصر المملوكي بالتفصيل، وتبدأ هذه المهمة بأن يقوم الناظر بتسليم الكتب إلى أمين المكتبة، ويشهد عليه بتسليمها، ثم يتولى خازن الكتب بعد ذلك حسب ما جاء بوثائق الوقف إحراز الكتب المذكورة ونفضها من الغبار وتعهدها".

وكانت هناك ميزات يشترط توفرها في أمين المكتبة تنص عليها الوثائق الوقفية، مثل أن يكون: أمينًا، نزيهًا، قادرًا على القيام بخدمة الكتب، عارفًا بترتيبها.

وقد أورد المؤلف حادثة تدل على أن العقوبة على الأمين المقصر كانت قاسية؛ فقد عزل الأمين الأول، في حين عوقب الأمين الثاني.. بأن ضرب أمام السلطان وغرِّم بدفع قيمة ما ضاع من كتب، فاضطر إلى بيع كتبه وداره! أما الذي تولى أمرها - مكتبة المدرسة المحمودية بالقاهرة - فكان ابن حجر العسقلاني.

.. وكان التنظيم يتم حسب الموضوعات، بحيث توضع كتب كل علم بجوار بعضها، ولكل مكتبة فهرس خاص بها ينم عن محتوياتها، يستخدمه القاصد للتعرف على الكتب التي تضمها، فيطلب ما يحتاج إليه.

ولتنظيم سبل الاستفادة منها وضعت قواعد تتركز في نقطتين:

١ - تحديد المستفيدين.

٢ - تحديد طريقة الاستفادة.

ومن الواضح أن استخدام المكتبة يكون بوجه من الأوجه الثلاثة الآتية:

١ - القراءة داخلها.

٢ - الاستعارة لقراءة بعض ما يحتاج إليه الفرد في مكان خارج المكتبة.

٣ - استنساخ كتاب أو مجموعة كتب يشعر ناسخُها بأنها ذات قيمة علمية خاصة بالنسبة لمجال تخصصه.

وقد بين المؤلف هذه الوجوه، كما ذكر مواعيد فتح المكتبات، والتنظيم المالي لها بالتفصيل.

مآل الكتب والمكتبات الوقفية:

وكان الفصل السادس والأخير من الكتاب عن مصائر الكتب والمكتبات الوقفية، وقد ذكر المؤلف أنها مرت بمرحلتين:

أ - مرحلة الانفراط: وذلك نتيجة الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية، واستغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قِبل بعض العلماء، وتفريط المشرفين على المكتبات وسوء إدارتهم.

ب - مرحلة لَمّ الشتات، وهي مرحلة قريبة العهد، نبعت في أذهان أفراد هالَهُم ضياع الوقف الخاص بالكتب والمكتبات.. فكان أن عملوا على لَمِّ شتات ما بقي من مخطوطات وقفت على مدارس أو جوامع متناثرة في مكتبات مركزية حديثة تحفظ فيها تلك المخطوطات، ومن تلك الدور التي ذكرها المؤلف كأمثلة: "دار الكتب المصرية"، و"المكتبة الظاهرية" بدمشق، و"مكتبة الأوقاف العامة" في بغداد، و"مكتبة الملك عبدالعزيز" بالمدينة المنورة، و"مكتبة الأوقاف" بحلب، و"مكتبة الأوقاف" في الموصل.

النتائج والتوصيات:

ونختار من بينها النتائج الإيجابية التي وصل إليها الكاتب، وهي بإيجاز:

المكتبة التي تهدف إلى أن تخدم قطاعًا واسعًا، ويقصد منها أن تكون معدة لاستقبال الباحثين والطلاب والدارسين عرفت عند العرب والمسلمين منذ بداية الأمر اعتمادًا على الوقف.

المكتبة الوقفية تشكل بنية المكتبة العربية منذ القرن الرابع الهجري إلى أواخر القرن الثالث عشر.

وقف الكتب عند العرب والمسلمين كان العامل الأساسي والمهم في نشر الثقافة، وتوسع دائرة المعرفة لدى الطلاب والدارسين على مدى قرون طويلة.

تُظهر الدراسة عمق الإحساس لدى قادة الفكر والثقافة في القرون السالفة بأهمية توفير الكتاب، وتوفير السبل التي تساعد على الاستفادة منه على نطاق واسع، الأمر الذي أدى إلى أن يكون في مدينة مثل مرو في القرن السابع الهجري عشر مكتبات في وقت واحد، جميعها عامة، نتيجة اعتمادها على الوقف.

وقد أوصى الكاتب بما يلي:

١ – ضرورة العودة إلى الوقف ليكون طريقًا نحو بناء حركة مكتبة زاهرة في العالم العربي كما كان عليه الأمر في الماضي، وهو ما يتطلب بث الوعي بين الأثرياء والعلماء باتخاذ هذا الأسلوب ليكون مصدرًا من مصادر العمل الخيري البناء للمجتمع.

٢ – الاستفادة من تجربة الأسلاف التي تركزت على المواكبة بين حلقات الدرس المفتوحة، وتشييد المكتبات لترفد ثقافة الطالب ما يمكنه من التوسع والاستزادة، ومن ثَم تكوين شخصية علمية متميزة للدارسين.

٣ – التأكيد على الدور الحضاري الرائع للمكتبة العربية التي يمكن أن نعتبرها القاعدة التي أدت إلى قيام تلك الحضارة العربية في المجال العلمي والإنساني، والتي نفاخر بها اليوم.

٤ – تعميق الوعي بين الدارسين المعاصرين بقضية المكتبة من خلال التركيز على دراسة جانب منها في كتب التاريخ المدرسية، ليلم الطالب منذ البداية بأهمية المكتبة وأسبقية "العرب" في العناية بها منذ فترة مبكرة.

هذا، وقد ذيل المؤلف كتابه بملحق يتضمن مجموعة من نصوص الوقف المثبتة على مخطوطات متوزعة في أماكن مختلفة، بلغت واحدًا وثلاثين نصًّا، وقد استند على هذه النصوص في جانب من الدراسة والتحليل.

واعتمد على مائة وثمانية بين مرجع ومصدر، تنوعت بين كتاب ودورية وبحث وأطروحة، ومن بينها مرجع بالإنجليزية.

بقي أن يعرف القارئ أن الكتاب احتل الإصدار السابع من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض في طبعته الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، وقع في مائتين وثمان وثلاثين صفحة.

مناقشة وتعقيب:

أولاً: في المنهج:

يجب أن أشير أولاً إلى أن أسلوب المؤلف ومنهجه "الأكاديمي" في الكتاب لا غبار عليه، وأبرز ما فيه هو التوثيق من النصوص، والإكثار من الأمثلة.. وهذا ما يضفي على الكتاب

ثوب الجمال والتشويق، إضافة إلى القيمة العلمية، ولا أرى حاجة إلى ذكر الإيجابيات التي يدل عليها كل ما سبق من صفحات هذا الموضوع.

وهذه التعقيبات قد تلقي ضوءًا أكثر على بعض جوانب الكتاب.

فالكتاب من أوله إلى آخره إسلامي؛ إذ إنه يتحدث عن الكتب والمكتبات الموقوفة، ولا تكاد صفحة من الكتاب تخلو من كلمة "الوقف" أو أحد تصريفاته..

ولا شك أن الوقف الذي عدَّه المؤلف صميم النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون، هو ما تميزت به الشريعة الإسلامية؛ فهو جزء من نظام الإسلام الاقتصادي، وأحد الأحكام الفقهية التي لا تتعلق بالكتاب وحده، بل بكل "ما جاز بيعه وجاز الانتفاع به مع بقاء عينه وكان أصلاً يبقى بقاءً متصلاً؛ كالعقار، والحيوانات، والسلاح، والأثاث، وأشباه ذلك"؛ (المغني جـ ٥ ص ٦٤٢).

ولا يكاد الفقهاء يذكرون الكتاب من بين الموقوفات؛ لندرته بالنسبة للأشياء الأخرى.. فلنتصور أهمية الوقف أكثر وأكثر في جميع شؤون الحياة التي تخطر على بال أي متخصص، ليرى فيه – كما رأى الدكتور يحيى ساعاتي – من أنه ركن من أركان التكافل الاجتماعي والتعاون الاقتصادي والحياة الثقافية بشكل عام، ولأهمية الوقف وثوابه العظيم "لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف"، كما قال جابر بن عبدالله رضي الله تعالى عنهما؛ (المغني جـ ٥ ص٥٩٨).

وإذا كان الكتاب كله في الوقف – كما ذكرنا – فإن من المنهج العلمي أن يتعرض المؤلف في فصل، أو مبحث ما، لتعريف الوقف، وبيان أصل مشروعيته، وأنواعه وشروطه، وأهميته، ويعقد فقرة خاصة لبيان الأجر العظيم الذي يترتب على الوقف، من آيات قرآنية كريمة، وأحاديث نبوية شريفة.. ولن يعد هذا خروجًا على مادة الكتاب، ما دام أن أصل كل علم صحيح هو كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفيه ارتباط وثيق بموضوع الكتاب، وما دام الذي يشحذ هم المسلمين ويرغبهم في الخير ويدفعهم إلى الوقف هو الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، وما دام أن الدافع وراء إنشاء كل المكتبات الوقفية في التاريخ الإسلامي هو دافع الإيمان بالله، وطلب رضاه، وأن يكون ما فعله ذخرًا له يوم القيامة يوضع في ميزان حسناته.

وقد أشار المؤلف إلى هذا إشارات لم تأخذ الصفة الروحية المطلوبة، التي تدفع الإنسان للوقف.. فهو يقول مثلاً في (ص ١٣٠): ".. المكتبة العربية .. ما هي إلا نتيجة لهذا الوقف، وإفراز لأريحية أفراد أو جماعات رأت فيه سبلاً لبناء قاعدة ثقافية تكفل توفير احتياج الفرد العادي إلى الكتاب.."، ويقول في (ص ١٧٢): ".. النمط الثقافي الذي كان يقوم على الذاتية المحبة للآخرين المشبعة بروح الفضل والرغبة في إقامة مجتمع راقٍ يعم فيه العلم، وتشع أنوار الثقافة..".

ومن هنا أرى أن أول ما أوصى به المؤلف بقوله: "ضرورة العودة إلى الوقف ليكون طريقًا نحو بناء مكتبية زاهرة.. وهو ما يتطلب بث الوعي بين الأثرياء والعلماء باتخاذ هذا الأسلوب – يقصد الوقف.."، فأرى أن ما سماه بـ "بث الوعي بين الأثرياء والعلماء" لا يفهم منه إلا بث روح الإيمان والتذكير باليوم الآخر، وبيان ثواب الوقف العظيم.. حتى نصل إلى إنشاء نفوس في قوة إيمان وتقوى السلف الصالح، التي نتج عنها وعن تربيتها الإسلامية إنشاءُ مثل هذه المكتبات الوقفية العظيمة التي كادت تدرس الآن..

وإذا لم نجد تلك النفوس العامرة بالإيمان.. فلن نجد مكتبات وقفية عامرة بالكتب وطلاب العلم.

وأقول بشكل عام – في كلام لا يخص الكتاب الذي نحن بصدده –: إن أعمالنا – سواء منها الكتابية أو غير الكتابية – يجب أن يفوح منها عبق الإيمان، وريحان الروحانية، وأن تكون مغلفة بسماحة الإسلام ومبطنة بصفائه.. أن تكون حِكَمه وآدابه مبثوثة في ثنايا كل كتاب وكل عمل..، وأعرف أن هذا الكلام لا يعجب "الأكاديميين" الذين تشددوا في "الموضوعية" حتى سيطر الجفاء على أعمالهم وأعمال تلاميذهم.. ولا يعني هذا النيل من قيمتها العلمية، بل المطلوب هو ملاءمة العمل ومواءمته للنفس البشرية مهما دقت تخصصاتها.. كما أن ما أذكِّر به هو منهج إسلامي ركيزته القرآن الكريم.. اقرأ أطول آية في القرآن – آية الدَّين في آخر سورة البقرة – وكذلك آيات المواريث والفيء، التي تتحدث عن تقسيم الأموال والأنصبة في عمليات رياضية، وهي تمتلئ بالإرشادات، وتنبه إلى خشية الله في السر والعلن، وطلب الحلال من مكمنه، وتقوى الله في أمر اليتامى.. إلخ.

أفلا يعني هذا أن النفس – فطرةً – تميل إلى التغيير والتجديد في أشياء كثيرة حتى لا يعتريها الملل والكسل؟! فما المانع من أن نقف وقفة تأمل روحي – يتصل بموضوعه – عند كل ما يلزم، لنعطي النفس نصيبها من هذا الجانب الحيوي المفيد؟!

وهذا جانب تربوي مهم غفلنا عنه؛ لتقيُّدنا بمنهجية الغرب وأسلوب تعلُّمه وتعليمه.. فهو بحاجة إلى مراجعة ومناقشة.. مثل كثير من الأمور.

ثانيًا: في المكتبات:

هناك لمحات ذكية وومضات فكرية بين ثنايا الكتاب تحتاج إلى وقفات، بل إلى مناقشتها في ندوات ومؤتمرات لاستخلاص النتائج المهمة المترتبة على عمل السلف في نظرتهم إلى المكتبة، كونها مركز إشعاع فكري، ومنطلقًا لتربية الأجيال وتخريج قادة الفكر والرأي.. وقد أشار إلى قسم منها في التوصيات، وبخاصة الفقرة الأولى والثانية.

والذي استوقفني أكثر، وأخَذ بمجامع تفكيري هو ما بحث فيه المؤلِّف وأعطاه حقه من الدرس والتمحيص عن أمناء المكتبات.

فقد وجد من تتبع أسمائهم أنه كان هناك حرص من قِبل الواقف أو الناظر من بعده على إسناد وظيفة أمين المكتبة إلى شخصية علمية معروفة، وهنا فقد تولى مجموعة من المشاهير، ذكر من بينهم (ص ١٤٨ – ١٥٢): أبو صالح المؤذن الذي وصف بـ "الإمام الحافظ المسند محدث خراسان"، ومحمد بن نصر القيسراني الذي وصفه الذهبي بـ "سيد الشعراء"، وأبو عبدالله الطليطلي، وهو أحد أشهر علماء النحو في عصره، ويعقوب الإسفراييني، وكان فقيهًا أصوليًّا نحويًّا لغويًّا، له مؤلفات، والأبيوردي وهو شاعر وأديب، له مؤلفات وأخبار، والأترازي وكان فقيهًا أديبًا، وفخر الدين البغدادي، وابن الكتبي، وأبو دلف وكان إمامًا صالحًا خيّرًا متعبدًا، له صدرة كبيرة وجلالة عجيبة، وفيه نفع للناس، وابن الساعي مؤرخ معروف، وابن الفوطي الذي قال عنه الذهبي: "العالم البارع المتفنن المحدث المفيد مؤرخ الآفاق فخر أهل العراق"، وشرف الدين الشبلي، وكان من فقهاء الحنفية، وصدر الدين ابن الأدمي، وكان قاضي القضاة بالقاهرة، والحافظ ابن حجر العسقلاني شيخ الإسلام وقاضي القضاة، وأبو عبدالله محمد المقدسي، والهيتي، والنووزي، والأماسي، والتفتازاني، وياقوت المستعصمي..

وبما أن المؤلف وجد أن الحرص متوافر لجعل المكتبة تحت نظر عالم مشهور، وهو ما حدث فعلاً، كما في الأمثلة السابقة، فإننا نشير هنا إلى أن الفائدة الكبرى تكمن في جعل المكتبة منطلقًا عمليًّا يتخرج منه المؤلفون والباحثون المتخصصون في شتى مجالات المعرفة، وذلك بالإرشاد المستمر من أمين المكتبة، وتجواله – أو مساعديه – بين طلبة العلم المترددين على المكتبة عن اختيار – أو غير اختيار – والإشراف عليهم، ومساعدتهم للوصول إلى مبتغاهم بأسهل الطرق، وتعليمهم أصول البحث العلمي.. والفائدة لا تكمن في هذا فقط، بل في توطيد الصلة بين الطالب والعالم ليستفيد من تجربته، ويختصر الطريق في البحث العملي من حيث انتهى إليه ذلك العالم.. وليس من بداية الطريق.. إلا ما كان لازمًا..

وقد أتوسع في هذا لأطرح فكرة "المرشد المكتبي" الذي ينبغي أن يكون هناك أكثر من مرشد في المكتبات العامة يكون على درجة ممتازة من الثقافة، بحيث يتولى مهمة التجول بين الطلبة، فيسعف من لم يسعفه الحظ.. ويعلم من لا يعرف كيفية البحث عن عناوين الكتب والببليوجرافيات الموضوعية، ورؤوس الموضوعات والدوريات المرجعية.. وقد اتضح لي من ترددي المستمر على بعض المكتبات العامة، أن كثيرًا – وربما الكثير جدًّا – من الطلاب الجامعيين لا يعرفون كيف يبحثون عن عنوان الكتاب.. والكتب المصنفة في الموضوع الذي يبحث فيه ضمن المكتبة.

ولماذا لا أقترب من الهدف أكثر إذا قلت: إن المطلوب هو عمل جدول لزيارة علماء إلى المكتبة، كباحثين زائرين يستفاد من خبرتهم ودرايتهم بالكتاب وأصول البحث، فيبقى كل منهم أسبوعًا أو أكثر، ليرشد ويعلم ويلقي المحاضرات ويستمع لمشكلات الطلبة والبحث، ويجيب على الأسئلة الواردة أو المحتملة.. إلخ.

والمهم هنا أن يقال: هل أمناء المكتبات في العصر الحاضر، وفي مكتباتنا العامة، على هذه الدرجة من العلم والمعرفة بحيث يجدون دافعًا للعلم والتعليم ليكونوا أسوة لغيرهم ومعلمين؟ أم أحدهم لا يكاد يغادر مكتبه، ولا يرى المكتبة في الأسبوع مرة.. ولا شك أنها ستكون "زيارة خاطفة"!

ولا أعتقد أن المهم هو أن يكون أمين المكتبة هو المنوط به تلك الأعمال التي ذكرتها.. بل المهم هو أن يوجد شخص أو أشخاص يقومون بها.. ولا مشاحة فيما يختار لهم من أسماء أو ألقاب تدل على مهمتهم.

وهذا ينطبق على رئيس قسم التزويد أيضًا.. فقد رأينا أن الخليفة الناصر لدين الله قد أسند هذه العملية إلى شخصية علمية بارزة، الذي وصف بأنه أوحد زمانه..

فهل تعطى لرئيس قسم التزويد هذه الأهمية الآن؟ ويكون بالمستوى العلمي المطلوب، ليقوم بأصعب عملية يغذي بها عقول العلماء والباحثين من خلال عملية اختياره للكتب؟!

وأخيرًا:

كنت أود أن يخصص المؤلف مساحة لا بأس بها من الكتاب، يوازن فيها بين الإيجابيات التي نتجت عن المكتبات الوقفية وشؤون إدارتها، وبين السلبيات التي تشكو منها مكتباتنا العامة حتى الآن، أو أن يخصص الإيجابيات التي تفردت بها تلك المكتبات ويعطي من بينها اقتراحات تفيد مكتباتنا الآن.. ومن هذه الإيجابيات التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار ما ذكرناه في التعقيب الثاني، وهو أن يكون أمناء المكتبات ورؤساء أقسام التزويد على درجة عالية من العلم والمعرفة.. وكذلك ما أوصى به المؤلف في آخر كتابه، وهو قوله:

"الاستفادة من تجربة الأسلاف التي تركزت على المواكبة بين حلقات الدرس المفتوحة وتشييد المكتبات، لترفد ثقافة الطالب بما يمكنه من التوسع والاستزادة، ومن ثم تكوين شخصية علمية متميزة للدارسين".

ولا شك أن هناك اقتراحات أخرى مفيدة بإمكان الدارس أن يخرج بها من الكتاب، لكنني كنت أفضل أن يقدمها المؤلف؛ لأنه أدرى بشعاب كتابه.. ولأسباب أخرى يعرفها من يعرف المؤلف عن قرب! والله ولي التوفيق.

(نشر في مجلة "التوباد" بالرياض (رجب – ذو الحجة ١٤٠٩ هـ، مارس – أغسطس ١٩٨٩ م)، المجلد الثاني، العددان الثالث والرابع، ص ١٩٧ – ٢٠٣).

(ك)
مختصر الفتاوى المصرية
لابن تيمية

البعلي، بدر الدين محمد بن علي الحنبلي/ مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، راجعه وفهرسه وقدم له أحمد حمدي إمام . – القاهرة: مطبعة المدني، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، ٦٦٧ص.

توطئة:

يندر أن تجد بين الباحثين اليوم من يعكف على الكتب الموسوعية فيقرؤها من أولها إلى آخرها قراءة فاحصة ناقدة؛ ولا أعني بذلك مرجعاً معيناً، بل يصدق هذا على الكتب الدينية والفلسفية والأدبية والعلمية.. وبذلك يبقى كثير من هذه الكتب الموسوعية التي لم تحقق – أو التي نالتها يد خفيفة من التحقيق – محل نسيان وإهمال، رغم تكرار الرجوع إليها والاستفادة منها..

وأضرب لذلك مثلاً: فتح الباري لابن حجر الذي شرح فيه صحيح البخاري، ومفردات الراغب الأصفهاني، ومحاضراته، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والمجموع للنووي، والمبسوط للسرخسي، والتفسير الكبير للفخر الرازي، وإحياء علوم الدين للغزالي.. وغيرها كثير.

فهذه الموسوعات الضخمة وغيرها مما يعود تاريخ طبعها إلى أكثر من نصف قرن .. لم تحقق [عند كتابة هذا المقال]، مع أنها لا تكاد تخلو منها مكتبة باحث.. فلو أنها روجعت ودرست دراسة علمية وافية، لكان من وراء ذلك خير كثير وفائدة كبيرة.. وتبيَّن لدارسها مدى الاستفادة من هذا البحث.. لثقافته أولاً.. حيث يعثر على لآلئ مخبوءة متناثرة بين زوايا فصول وأبواب كثيرة، قد لا تدخل تحت الموضوع المسمى ..

ومن الناحية الثانية يشير إلى الأخطاء في الكتاب، سواء منها في دلالات الألفاظ أو المعاني، أو الأخطاء المطبعية، التي قد تبدل المعنى، وتحيّر الباحث في مدلولها.

وقد يكون هذا الأمر بداية لتحقيقها ودراستها، كما يكون تنبيهاً لأهميتها وجلباً لأنظار الباحثين والمراكز العلمية والجامعات الإسلامية للشروع في تحقيقها.

وقد قُدِّر لي أن أراجع (مختصر الفتاوى المصرية) فرأيت فيه أخطاء كثيرة غالباً ما تحوّل المعنى، وتبليل الفكر — رغم مراجعتها وتصحيحها من قبل أحمد حمدي إمام — فأردت أن أقف على بعضها، وأنوِّه إليها، لينظر فيها ويصححها من يقتني هذا الكتاب، أو أن ينتبه إليها المراجع، فيعيد تصحيحها في طبعة تالية.

كتاب «الدرر المضية من الفتاوى المصرية» لابن تيمية، أختصره بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد الحنبلي البعلي المتوفى ٧٧٨هـ. وسماه «التسهيل» كما في الأعلام للزركلي. وبقي معروفاً باسم «مختصر الفتاوى المصرية».

نشر الكتاب «لأول مرة عام ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م على نفقة الملك عبد العزيز، بتصحيح محمد حامد الفقي، وإشراف عبد المجيد سليم. القاهرة: مطبعة السنة المحمدية. وكان اعتمادهما على النسخة المخطوطة الوحيدة في المكتبة الأزهرية المكتوبة عام ١٣٢٢هـ. وتم مراجعة الكتاب على الفتاوى وغيرها من مؤلفات شيخ الإسلام.

وأعيد طبعه بالأوفست في باكستان، نشرته دار نشر الكتب الإسلامية: كواجرانواله، ربيع الأول ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م، وأشارت الدار الناشرة إلى الطبعة الأولى، وسنة النشر، وأنها كانت على نفقة الملك عبد العزيز.. ولم يشر أحمد حمدي إمام إلى طبعة باكستان، ولا إلى أن الطبعة الأولى كانت على نفقة الملك عبد العزيز، بينما يقتضي الأمر عزو الفضل إلى أهله.

وهناك مختصر آخر للفتاوى المصرية — أشار إليه أحمد إمام ص ١٦ من المقدمة — وهو كتاب «الاختيارات العلمية في اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية» وصاحبه هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي..

ويبدو أن العلامة ابن تيمية كان يتلقى أسئلة عديدة عن موضوعات فقهية وعقدية متنوعة، فكان يلجأ إلى الإجابة عنها بإسهاب.. أو اختصار.. في فصول طويلة أو أسطر قليلة.. ويشير إلى أنه قد أجاب عنها أو عن بعض جوانبها في أماكن أخرى.

وقد تحوي ورقة السائل على عدة أسئلة في موضوعات فقهية متنوعة، فيجب عليها، ويتكرر بعضها في أكثر من مكان. وهنا تأتي مهمة (المختصر) الذي يضم الموضوعات المتشابهة إلى بعضها البعض، ويقسمها إلى أبوابها الفقهية، ويحذف ما هو مكرر..

وقد بذل بدر الدين البعلي – شيخ الحنابلة ببعلبك – جهداً كبيراً في ترتيب هذه الأبواب، واختصار المسائل والأحكام.

ولم أجد في الكتاب كله ما هو مكرر إلا النزر اليسير، مما لا يؤثر.. فقد ورد عن بعض ما يتعلق بالنكاح في كتاب (العِدد) ص ٤٣٣، وورد في كتاب حد الزنا والقذف ص ٤٧٩ كذلك، وهي موضوعات وأحكام متشابهة.

كما ورد حكم تارك الصلاة في أكثر موضع.

وورد في كتاب الأشربة ص ٤٨٨: (وأما تارك الصلاة فإنه يستحق العقوبة اتفاقاً) وليس هذا مكانه.

واستغربت عندما وجدت في كتاب (الرَّضاع) إشارة إلى موضوعات لا علاقة لها بالرضاع، قال في ص ٤٣٧:

(وله منع الزوجة من إرضاع غير ولدها.

والقط إذا صال على ماله، فله دفعه عن ذلك ولو بالقتل، وله رميه بمكان بعيد، فإن لم يمكن دفعه إلا بالقتل قتله.

وأما النمل فيدفع ضرره بغير التحريق.

فإذا كان الأب عاجزاً عن أجرة الاسترضاع...)

وقد يكون هذا كلاماً في الهامش، أدخل في صلب الموضوع.

ولنعد إلى نقد عمل مراجع الكتاب، ومصححه، ومفهرسه: أحمد حمدي إمام في طبعة الكتاب الأخيرة ١٤٠٠هـ.

إن المهمة الأساسية التي التزم بها مراجع الكتاب. هو ما قاله في مقدمته ص ١٧ – ١٨ بقوله:

– حين طبع هذا الكتاب حرصت على مراجعة كثير منه على الفتاوى الكبرى طبع مصر والمجموع طبع الرياض بجانب تخريج الآيات القرآنية.

- ومراجعة النص وضبط ما يحتاج إلى ضبط، مع تصحيح ما وجدت من أخطاء.
- ووضع فهارس للأعلام والأقوام والملل. مما يفيد في المراجعة والتذكر.
- وضع فهرس للموضوعات مطابق للكتاب. وقد كانت المخطوطة بدون فهرس – فوضعت عنواناً لكف فتوى. اهـ.

ولا شك أن كل من يقدم على مراجعة كتاب وتصحيحه للمرة الثانية، يبذل جهداً، ويدخل تحسينات جديدة على ما فات في الطبعة السابقة.. ونحن في نقدنا هذا نكمل ما فات المصحح، وندعو الله تعالى أن يثيبه على ما بذل من جهد، وأن يرزقنا الإخلاص في العمل ...

لقد لاحظت أن المراجع لم يعط الكتاب حقه.. لا من التصحيح، والا الضبط، ولا المراجعة! فقد بلغت الأخطاء أكثر من مائتي خطأ! سواء منها الأخطاء المطبعية في الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية، أو الأخطاء النحوية والإملائية، أو أخطاء في الأعلام، أو زيادة ونقص وتحريف للكلمات..

وإذا علمنا أن الكتاب يختص بالفقه، وفيه مصطلحات فقهية كثيرة، وأدلة متنوعة، فإن هذا يعني زيادة الاهتمام بالضبط والشكل، والانتباه إلى رسم الكلمات بدقة متناهية. فإن زيادة حرف أو نقص نقطة قد يغير المعنى.

وسيلاحظ القارئ في سرد الأخطاء أن كثيراً منها (لا تغتفر). وبخاصة إذا تحولت كلمة (يعبد) إلى (يبعد) و(ألا يكون) إلى (يكون) و(حله) إلى (وحله) و(جلد) إلى (جد) و(الثوب الطاهر) إلى (الثواب الظاهر) و(عدم) إلى (عدل).. وغيرها كثير.

ونبدأ النقد على الترتيب التالي:

أولاً: الهوامش

لن أطلب من المراجع زيادة على ما التزم به.

فقد أحسن صنعاً عندما لم يقل إنه حقق الكتاب. بل (راجعه). والمراجعة تعني: مقابلة النسخ، والتصحيح، والتنبيه إلى مواضع الإشكال عند عدم التأكد من كلمة أو جملة، ثم ضبط ما يحتاج إلى ضبط، وشرح لمفردات غريبة، وما شابه ذلك.. من البيانات القليلة.

وقد بلغت الهوامش التي وضعها للكتاب (٦٧) هامشاً، بينما عدد صفحات الكتاب – دون الفهارس – (٦١٩) صفحة. أكثر من نصف هذه الهوامش (٣٨) هامشاً، شرح لمفردات، وسائرها: إما إحالة إلى عنوان كتاب (بدون ذكر الصفحة) أو غشارات وتنبيهات (خفيفة) ونرى أنه لم يرجع إلى مصدر واحد في كل هذه الهوامش، سوى ثلاث مرات: مرتين إلى مجموع فتاوى ابن تيمية ص ١٠٧ وص ٢٤٠، ويبدو أنه رجع إلى الفهارس العامة فقط.

أما المرة الثالثة فأحال إلى (القاموس) ص ٤٨٩ وقد يعني به القاموس المحيط!.

وأحال سبع مرات إلى كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لابن تيمية دون ذكر الصفحة: انظر ص ٥٠، ٥٥، ٦٥، ١٨٨، ٢٦٠،، ٢٦١، ٥٠٩.

كما يلاحظ أنه شرح مفردات لا تحتاج إلى شرح، مثل: الحيعلة، الحميراء، يقرع بينهما.. بينما ترك مفردات ومصطلحات فقهية كثيرة دون تعريف أو بيان..

ومّرت بي عبارات كثيرة لم أتمكن من حلّها، وكنت أتّهم فيها فهمي.. ولم يشر إليها المراجع، بل أشار في ستة مواضع فقط إلى عد وضوحها: ص ١٧٤، ٢٦٦، ٣٠١، ٤٤٨، ٤٩٥.

وقد يكون السبب هو النسخة المخطوطة الوحيدة التي اعتمد عليها، وعدم تمكنه من تصحيحها بالرجوع إلى الفتاوى الكبرى، ومجموع الفتاوى.

ولاحظت أنه وضع اسم (حمدي) في نهاية هامش ص ٢٤٠ وص ٦١٩ دون سائر الهوامش فهل في هذا سرٌّ لا نعرفه؟.

وقوله في هامش ص ٣٢: الحيعلة: قول المؤذن حي على الفلاح!.

والصحيح أنه حكاية قولك حي على الصلاة حي على الفلاح كما في القاموس المحيط وغيره، وليس خاصاً بـ (حي على الفلاح)!.

وورد في هامش ص ٢٣٦ قول المؤلف – ابن تيمية: (وأما الطيرة: فأن يكون قد بدأ في فعل أمر أو عزم عليه، فيسمع كلمة مكروهة مثل (ما يتم) فيتركه، فهذا منهي عنه).

ويضع (حمدي) هامشاً على كلمة (الطيرة) ويشرحه بقوله: التشاؤم بشيء رديء! بينما أوضح ابن تيمية المعنى تماماً.

ثانياً: الكلمات الغريبة

إن الأسلوب السهل الذي كتب به ابن تيمية هذه الفتاوى، واختصار (البعلي) لها بشكل جيد، لا يعني أن الكتاب لم يتضمن كلمات غريبة ومصطلحات فقهية بحاجة إلى بيان. ونلاحظ أن مراجع الكتاب لم يشرح كلمات غريبة كثيرة.. ولست بصدد حصرها، بل أشير إلى بعضها، توثيقاً، وتكميلاً لجوانب النقد:

ورد في ص ٣١٥: والصوف المشوب بالمشاقه

فالمشاقة – بضم الميم – : ما سقط من الشَّعر والكتان ونحوهما عند المِشْط. وقد يعني بها المِشْقَة – بكسر الميم وسكون الشين – وهي مرادفة لمعنى المشاقة، كما تعني القطعة من القطن ونحوه (المعجم الوسيط).

وورد في ص ٣٤٠ كلمة السجاف.

وهو بكسر السين: السِّتْر كما في لسان العرب، وما يركب على حواشي الثوب كما في المعجم الوسيط.

وفي ص ٣٧٦ و٥٧٢ وردت كلمة الخوانق.

وتعني رباط الصوفية، مفردها: خانقاه: المكان الذي يخلون فيه لعبادة الله. وهي تعريب للكلمة الفارسية (خانكاه) كما في المعجم الذهبي لألتونجي.

وفي ص ٥٨٧ ورد: تمريج القوى السيماوية.

وتمريج من مرج، بمعنى خلط.

أما السيمياء، فهي السحر.

وفي ص ٥٠٧ ورد: دينار وأردب

وضبطه: الإرْدَبّ، معناه: مكيال ضخم بمصر، أو يَضُمُّ أربعة وعشرين صاعاً... كما في القاموس المحيط.

ثالثاً: الضبط

إذا كان اللحن قد أصاب لسان أبناء العربية منذ القرون الهجرية الأولى، فإن في هذه السنوات يطغى على الجانب الأعم من الشعوب العربية. والحلول كثيرة.. وسهلة.. إذا صدقت النيات، وأتبعتها الأعمال. وأنا ممن يضمُّ صوته إلى أن الكتاب العربي ينبغي أن يخرج مشكولاً، أقصد

ما يحتاج إلى شكل، وبخاصة كتب التراث. فهو – الشكل – يساعد على سلامة اللسان من اللحن والخطأ.

ولا نرى في هذا الكتاب مما قال عنه مصححه إنه ضبط ما يحتاج إلى ضبط، بل يلجأ أحياناً إلى الضبط فيخطئ! – فأين الضبط والشك لفي هذه الفقرة: ص ٤٨:

(والذي يحيل المعنى مثل «أنعمت» و«إياك» بالضم والكسر، والذي لا يحيله مثل فك الإدغام في موضعه، أو قطع همز الوصل، ومثل: الرحمن الرحيم مالك يوم الدين.

وأما إن قال: الحمد أو رب، أو نستعين، أو أنعمت عليهم، فهذا تصح صلاته لكل أحد، فإنها قراءة وليست لحناً)، بينما شُكِلَت في الطبعة الأولى ص ٥٥، فلتراجع هناك.

– وورد في ص ١٦٠: (وفي الصحيح «من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله» وفيه «فقد وتر أهله وماله» باب إثم من ترك صلاة العصر. وذكر الإمام البخاري مثالاً على هذا الضبط في صحيحه.

كما عقد الحافظ ابن حجر في فتح الباري كلاماً طويلاً عن سبب ضبط الحديث بهذا الشكل.

أما كان الأجدر بمراجع الكتاب أن يضبط الحديث كما ورد؟!. – وفي ص ٢١١ ورد: (يتنوع بتنوع قُدرهم ومعرفتهم وحاجتهم).

جعل القاف مضمومة، بينما الصحيح أنها مفتوحة، والدال كذلك، بمعنى ما يليق بحاله مقدّراً عليه. قال تعالى: {**عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ**} [البقرة: ٢٦٣] مفردات الراغب.

– وفي ص ٢٥٥: (ومن نذر يوم يقدُم فلان، فقدم نهاراً، فأمسك من حين علم به فهل يجزيه)! والصحيح أن يقال: يَقْدَمُ فلان، فهو مضارع (قَدِمَ)، بمعنى الرجوع من السفر. أما قَدُم يَقْدُم، فهو من: صار قديماً.

وقَدَم يَقْدُم: صار أمامهم... كما في لسان العرب.

– ص ٣٣٩: (يستُأجر) = يُسْتأجَرُ.

- ورد في أكثر من مكان الحرفان (ما) و(لا) أو (ما) و(له) أو (ما) و(لها) ملتصقة أحرفها هكذا (مالا، ماله، مالها) فيظن القارئ أنها بمعنى المال، بينما الصحيح أن يبعد الحرفان عن بعضهما البعض ليؤديا المعنى المطلوب.

ففي ص ٣٤٨ ورد: (ويوجب على غيره مالا يوجبه على نفسه مع تساويهما) = مَا لَا.

وفي ص ٤١٦ ورد: (يقبل فيما عليه دون ماله) = ما له.

وفي ص ٦١٣: (وهي — أي زوجته — إنما تملك بمالها عليه ملازمته) = بما لها.

- ص ٤٠٧: قول عمر: «والله لا أوتي بمحلل ولا محلِّل له إلا رجمتهما».

والصحيح: محلَّل، بفتح اللام المشددة، اسم مفعول.

- ولم يشكل أكثر المصطلحات الفقهية، ففي ص ٤٣٢: كتاب العدد. تبقى في العده..

فالعِدَّة: بكسر العين هي ما تعده المرأة من أيام أقرائها أو أيام حملها.. جمعها عِدد بكسر العين. ولها معان أخرى.

والعُدَّة: بالضم ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح. كما في تاج العروس.. جمعها عُدَد بضم العين.

- ولم يضبط أسماء الأعلام.. مثل حكيم بن حزام ص ٤٦٦. فهو بفتح حاء الاسم الأول وكسر حاء الاسم الثاني.

- وفي ص ٤٤٧: (وقد تنازع العلماء) هكذا.. بكسر الهمزة؟!.

- وفي كتاب الجراح ص ٤٥٠ لم يشكل كلمة القود.. وغيرها.. وهي بفتح القاف والواو.

- وورد في ص ٤٦٢: (ومضمون البلاغ عندهم — أي النصيرية — جحد الخالق والاستهزاء به وبمن يقربه).

هكذا!! والصحيح: وبمن يُقِرُّ بِهِ.

- كما يلزم أحياناً وضع (الشدة) فوق الكلمة التي يشتبه على المرء قراءتها.

مثل كلمة (أمر) في ص٤٧٠، حيث ورد (بل قد أمر رسول اله صلى الله عليه وسلم عمر بن العاص في غزوة ذات السلاسل).

فالكلمة هي (أَمَّرَ) بمعنى جعله أميراً.

- ص ٤٤٢ (فإن فضل على وسابقته وعلمه..) = عليٍّ.

- ولم ألاحظ أنه ينون الألف – إلا ما ندر – بينما ورد في ص ٤٧٩: (وجب أن يعاقباً على ذلك) بدل يُعَاقَبَا.

ورد في ص ٢٩: (ومتى وطئها في الدبر وطاوعته عزراً) يدل عُزِّرا.

- ص ٤٨١ (وإذا قال له أنت علق. وهو مسلم لم يشتهر عنه ذلك، فعلي حد القذف إذا طلبه..).

فما موضع كلمة (علق) من الضبط والشكل؟

قال في تاج العروس: هو بالفتح الشتم

ويفتحها أيضاً قال في القاموس المحيط: الخصومة والمحبة. وقد تكون في ذلك الوقت مصطلحاً يعني قذفاً وما إليه!.

- ص ٤٨٧ (بصُيع بن عسل).

يظهر أن الضمة انتقلت من الباء إلى الصاد دون إذن المراجع.

- وفي حديث طويل عن السَّبْق ص ٥٢١ فما بعد، عمد المراجع إلى فتح السين والباء كلما وجد إلى ذلك سبيلاً. بينما يقول ابن تيمية في ص ٥٣٠:

(والسَّبَق – بالفتح – هو العِوَض، وبالسكون: هو الفعل).

وقد ورد في أكثر من مكان ما ينبغي أن تكون الباء ساكنة.

- كما كان ينبغي أن يضبط كلمات لرفع الالتباس.

ورد في ص ٥٣٠: (فخرج أبو بكر – رضي الله عنه – فراهن المشركين على أنه إن غلبت الروم في بضع سنين أخذ الرهان، وإن لم تغلب الروم أخذوا الرهان).

وفعلا (غَلَبَت) و(تَغْلِب) معلومان.

- وعمد إلى فتح الخاء في قول ابن عباس – رضي الله عنهما – ص ٥٤٠ (إلا الإذخر) بينما الصحيح أنها مكسورة، وهي حشيش طيب الريح، يُسقف به البيوت فوق الخشبة كما في تاج العروس.

- لم يضبط كلمة (المكس) ص ٥٥٥ وهو بفتح الميم.

- وكلمة (نَهَى) أو(نُهِيَ) أو(نَهْي) عنده سواء.. فهو لا يضبط أياً منها، سواء كان مصدراً، أم فعلاً معلوماً، أم مجهولاً.. وقس على هذا كلمات مشابهة كثيرة.. مثل .. (هُدَى) و(هَدْي) و(هَدَى) و(هُدِيَ).

- ص ٥١١ (بل هو من أعياد النصارى، كعيد الميلاد وعيد الغطاس) ضبطه: (الغِطَاس).

رابعاً: الآيات القرآنية

- ص ٩٧: {**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**} [النور: ٥٤].

في الأصل: (... فإن ما ... تهتدوا ما على الرسول...).

- ص ٩٩: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**} [المائدة: ٧٧] جعل اللام في (تغلوا) مفتوحة!.

- ص ١٣٠: {**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي**..} [القصص: ١٦]

في الكتاب (ربي).

- ص ١٨١ {**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ**..}. [لقمان: ٣٤] النون غير منقطة في (يُنَزِّلُ)

- ص ١٩٩ {**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ**} [الأنبياء: ١٠٤] في الأصل (الكتاب).

- ص ٢٢٤ {... **إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**} [الأنعام: ٣٨]

في الأصل (وما فرّطنا)

- ص ٢٢٩ {**فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ**..}. [التوبة: ١١٧] في الأصل (ساعة العسرة بعد ما كاد).

ص ٢٨٢ {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**..}. [الإسراء: ٢٣] أغلق القوس بعد كلام ليس من القرآن

ص ٣٥٤: {**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**}. [المائدة: ٢] في الأصل (الير) بدل (البِرِّ)

ص ٣٨٩ {**وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**}. [الحشر: ٧] حذف حرف السين من (السّبِيل)

ص٤٧١ {**لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**} في الكتاب (الذين) بدل (الذي)

وهي الآية الخامسة والثلاثون من سورة الزمر، وليست الآية الثالثة كما أوردها المصحح.

ص ٥٠٨: {**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ..**}.

هي الآية الثامنة والعشرون من سورة (ص) وليست الثامنة والثلاثين كما هو مثبت في الكتاب!.

خامساً: الأحاديث الشريفة

ص ٨٦: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي»

في الكتاب: (خطاي) بدل (خطاياي)

ص١١٠: «حرمت الظلم على نفسي»

جاءت الكلمة الأخيرة في الكتاب: (نفسر)

ص١١٧ «كلكم عار إلا من كسوته..»

«ورد في الأصل (وكلكم عار وإلا كسوته).

ص ١٦٩ «... قال الأمر أشد من ذلك»

في الأصل أغلق القوس بعد حرف (من).

ص ٤٥٩: «قيل يا رسول الله، هذا قاتل فما بال المقتول..»

ورد في الكتاب كلمة (رسول) دون أن يتلوه لفظ الجلالة!

ص ٤٦٨: ورد في الكتاب: «... فهل أنتم تاركوا لي صاحبي..»

الصحيح: تاركو، بدون الألف الفارقة للجماعة في الأفعال.

سادساً: كلمات محرَّفة

أذكر الخطأ، وأضع إشارة التساوي (=) التي يعني ما بعدها الكلمة الصحيحة.

ص ٣٩ س ٨: ومن هذا مبلغ عمله = علمه.

ص ٤٤ س ١١: ومن شرط الحديث أن يكون شاذاً ولا معللاً = ألا يكون شاذاً..

ص ٨٨ س ٢٠: إذا أخذه من وحله ووضعه في حقه = إذا أخذه من حِلِّه.

وقد تكون الكلمة الأخيرة (حقه) أيضاً هي (حِلِّه)

ص ١١٩ س ١٨: وتنقص بقة المطيعين = بقلَّة.

ص ١٣١ س ٧: أن يربيهما بربويته = بربوبيته.

ص ١٤٢ س ٥: وتفضيل العمل على العمل قد يكون مطلقاً، وقد يكون مفيداً = مقيَّداً.

ص ١٥٣ س٢: قول علي رضي الله عنه: لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلد به جد المفتري = جلد المفتري.

ص ١٦٨ س١٨. فحمُل الحديث على ثيابه التي يقبض فيها، لا على كفنه. فقيل يبعث في نفس الثواب الظاهر. وقيل إن المراد أن يبعث على ما مات عليه من العمل..

الصحيح (الثوب الطاهر) بدل (الثوب الظاهر).

ص ١٧٥ س ٤ (القَدَر السابق: وهو أن الله سبحانه وتعالى أعلم أهل الجنة من أهل النار قبل أن يعملوا الأعمال).

وتصحح الجملة على ما يأتي: (.. وهو أن الله سبحانه وتعالى عَلِمَ أهل الجنة.. الخ) فقد ورد في أسفل الصفحة نفسها الحديث «قالوا يا رسول الله: عَلِمَ الله أهل الجنة من أهل النار؟ فقال: نعم».

ص ١٩٦ س ٤: ولا في الاستنجاء المسجد = ولا الاستنجاء في المسجد.

إذ ورد قبلها: ولا يجوز ذبح الضحايا ولا غيرها في المسجد..

ص ٢١٠ س ١٥: الله قادر على ما علمه وأخبر أنه لا يكون، وعلى ما يمتنع ضرورة عدمه لعدم إرادته، لا لعدله قدرته عليه.

وتصحح الجملة الأخيرة على النحو التالي: .. لا لعدم قدرته عليه. ص ٢١٨ س ١٦: إن كثيراً من الناس يوجب اتباع حاكمه وإمامه وشيخه والتزام حكمهم ظاهراً وباطناً، ويروى أن الخروج عن اتباعه خروج عن الشريعة.

الصحيح أن يقال: (وَيَرى) بدل (ويروى).

ص ٢٢٧ س ١٢: قول علي بن المديني: أقول إنهم في الجنة، ولا أشهد لعين = لمعيَّن.

ص ٢٣٣ س ١٧: دين الصائبة = الصابئة.

ص ٢٦٣ س ١٨: ويعلمهم – أي الرسول – دين الله الذي نعبدهم به = الذي تَعَبَّدَهم به.

ص ٢٦٧ س١٤: وسواء شرط هذا عليهم في الإقطاع أولى.

الصحيح –كما هو واضح – أن (أولى) محرفة من (أو لا) ص ٢٨١ س ١٥ والدعوة إلى أن يبعد العبد ربه كأنه يراه.

(يبعد) محرفة من (يعبد) كما هو بيّن، وشتان بين الكلمتين!.

ص ٢٨٨ س ٢٠: هما روايتان هن أحمد = عن أحمد.

ص ٢٩٢ س ١: ليس الليف أو أن يغطي وجهه... كله بدعة = لبس الليف..

ص ٣٢٨ س ٥: وإذا لم يتفق الشريكان في البداية يجعلها عند أحدهما أو غيرهما، جعلها الحاكم عند ثالث يختاره لهما. (يجعلها محرفة من الجار والمجرور (بجعلها).

ص ٣٣٣ س ٣: وإذا غرَّ الوكيل شخصاً وأجَّره أرضاً بدون أجرة المثل. فهو لأصحاب الأرض تضمين المستأجر؟ على قولين.

(فهو) محرفة من (فهل) للاستفهام.

ص ٣٣٩ – آخر سطر: ورد ما يأتي:

وأما إن كانت العين أو المنفعة محرمة –كمهر البغيِّ وثمن الخمر – فهنا لا يُقضى له به قبل القبض، ولو أعطاه إياه يُحكم برده إلى باذله، فإن هذا معونة لهم على المعاصي، إذ جمع بين العوض والمعوَّض، ولا يحلّ هذا المال للبغايا أو الخمّار أو نحوِها لكي يصرف في مصالح المسلمين.

الصحيح عندي أن يقال في الجملة الأخيرة... لكنْ يصرف في مصالح المسلمين أي (لكن) توضع بدل (لكي).

ص٣٤٧ س ١٧: كمن يعتقد أنه إذا كان جاراً استحق شفعة الجوار، وإذا كان مشترياً لم تجب عليه شفعة الجواز.

الكلمة الأخيرة هي (الجوار) وليست (الجواز).

ص ٣٥٢ س ٢١: لا نُسلِّم أن إجازة الظئر على خلاف القياس، فكيف يقال ذلك وليس في القرآن إجارة منصوصة في شريعتنا إلا في إجارة الظئر. الصحيح في الجملة الأولى أن يقال: لا نُسلِّم أن إجارة الظئر .. بدل (إجازة).

ص ٣٩١ س ٥: فهذه الأموال التي تغدو ردّها لعدم العلم بأربابها. (تغدو) محرفة من (تعذَّر) وشتان بين الكلمتين.

ص٣٩٦ س ١٥: فإنما اجتمع في بيت المال، ولم يعرف أصحابه فصرفه في مصالح المسلمين أولى.

الكلمة الأولى هي (فإنَّ ما) بدل الكافة والمكفوفة.

ص ٣٩٧ س١: جاز أخذه من كل مال يحوز صرفه = يجوز صرفه.

ص ٤٠٥ س ١٣.. والإجارة والرهن والفرض وغير ذلك = والقَرْض.

ص ٤٣٥ س ١٧.. وفيمن وضع قريباً من الحولين نزاع = وفيمن رضع.

ص ٤٦٨ س ٧: فذكر واله = فذكروا له.

ص ٤٧٢ س ٢١: وضى الله عنهم = رَضِيَ..

ص ٤٧٥ س ١٦: رصى الله عنهم = رَضِيَ..

ص ٤٧٨ س ٧: ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن لأن الله أفلح به بين فئتين. (أفلح) محرفة من (أصلح).

ص ٥٠٨ س ٤: وهو بمنزلة من يُشبه أعياد النصارى بأعياد المسلمين ويعظهما (يعظهما) محرفة من (يُعَظِّمُها).

ص ٥٢٩ س ٢: الصواب أن يعرف مراد الرسول صلى الله عليه وسلم من أقواله وحكمه وعلله التي علَّق بها الإحكام = الأحكام.

ص ٥٦٣ س ٥: وكان همُّ امرأة العزيز همَّ إضرار = هم إصرار

ص ٦٠٣ س ١٠: وقد دل عليها القرآن في غير موضوع = في غير موضع.

سابعاً: أخطاء نحوية

لا يستبعد أن تكون الأخطاء النحوية موجودة في النسخة المخطوطة.. ولكن هذا لا يعني أن يتركها مصحح الكتاب ومراجعه هكذا دون تنبيه أو تصحيح.. وستجد معي أخطاء نحوية واضحة في هذا الكتاب.. لا تحتاج إلى بيان..

ص ١٤٣ س ١٤: وللشمس والقمر ليالي معتادة = ليالٍ

ص ١٥١ س ١٤: وليس هو نبي من الأنبياء = نبياً.

ص ١٩٢ س ٢١: وقال القائل انقضت حاجتي ببركة فلان، فمنكر من القول وزور = وقول القائل.

ص ١٩٩ آخر سطر: ويبقى طوله ستون ذراعاً = ستين.

ص ٢٤٤ س ١٣: لأن كلاهما حق = كليهما.

ص ٢٦١ س ٢١: إذا صام معه شهر آخر من السنة = شهراً.

ص ٣٠٨ س ٩: وفيه عن أحمد روايتا = روايتان.

ص ٣١٨ س ١٠: فالحاكم العادل إن وجد أو غيره بحيث لا يكون في إيداعه تفريطاً فلا ضمان عليه = تفريطٌ.

ص ٣٤٠ س ٢١: موضع اثنين أو ثلاث أو أربعة أصابع — الصواب: موضع إصبعين أو ثلاث أو أربع اصابع.

ص ٣٧٨ س ٢١: فإذا حكم حاكم ثان فيم لم يحكم فيه الأول.. = فيما لم يحكم.

ص ٣٧٩ س ١٢: عائشة رضي الله عنه = عنها.

ص ٤٧٠ س ١٦: واستعمل على نجران أبا سفيان بن حرب أبو معاوية = أبا معاوية.

ص ٥١٤ س ١٠: فهذا الحديثان الصحيحان = فهذان.

ص ٥٧٢ س ٤: ثم إن عندهم حقائق وأحوال معروفة = وأحوالاً.

ص ٦٠٦ س ٢٢: وما كان عليه الخلفاء الراشدين = الراشدون.

ثامناً: أخطاء إملائية

ص ٣٢٠ س ١٣: ومن عليه مال ولم يُوفّه حتى شكى ربُّ المال = شكا، مضارعه يشكو.

ص ٣٢٧ س ٩: وإذا طلب الشريك أن يؤجِّر العين المشتركة ويقتسموا الأجرة وأن يتهايَؤُها... = يتهاؤوها.

ص ٤٢٣ س ١٤: وقد عزى بعض أصحابه ذلك إلى جميع النبيين = عزا، مضارعه يعزو.

أما علامات الترقيم، فقد ابتكر من عنده أساليب جديدة غير متعارف عليها. وأكثر علامات الترقيم المستعملة عنده هي النقطتان (:) فقد استعملها بكثرة في كل صفحة من صفحات الكتاب! يضعها بعد الفعل أحياناً، أو بعد اسم الإشارة، أو بعد جواب الشرط وغير الشرط..

ونظرة واحدة من القارئ إلى أية صفحة من صفحات الكتاب، تُبيِّنُ له صحة ما ذكرت.

وكثيراً ما يلجأ إلى وضع النقطة (.) في غير مكانها، وقبل أن تنتهي الجملة، كما أنه يستعمل هذه العلامات – عموماً – في غير مواضعها، فيبدأ الكلام من سطر جديد دون أن تنتهي الفقرة، بل قبل أن تنتهي الجملة.. وإليك مثالاً على ذلك ص ٦٠٩:

«وإذا شهد رجل في شيء أنه ملك فلان إلا حين بيعه، وحكم بشهادته.

ثم شهد بعد ذلك في كتاب إقرار على والد البائع بتاريخ متقدم على تاريخ البيع: أنه وقف المكان المذكور، وأن الواقف لم يزل ملكه عن العين إلى حين وقفها.

فأجاب: بأن رجوع الشاهد عن شهادته بعد الحكم بها لا يقبل، وإنما يضمن. وشهادته الثانية المنافية للأولى أبلغ من الرجوع: فهو أولى، فتقبل».

وقس على ما ورد.. فقرات كثيرة متشابهة!.

تاسعاً: الأعلام

ص ٤٣ س ١٠: الذارقطني = الدارقطني

ص ١٧٩ س٧: وأمثال هذه التأويلات التي يذكرها «السهرودي» المقتول على الزندقة = السهروردي.

ص ٤٥٧ س ١١: أجمد = أحمد.

ص ٥٦٨ س ١٢ ... وأبي سليمان الداربي = الداراني [من أهل داريا بغوطة دمشق ت ٢١٥هـ/ الأعلام].

ص ٥٦٨ س ٢٢: «صوفة بن مُرِّ بن أد بن طابخة» قبيلة من العرب والصحيح (ابن مرّ).
أورده في القاموس المحيط، وفي الهامش أن الشارح ن.. عن ابن الجواني أنه سمي بذلك لأن أمه جعلت في رأسه صوفة وجعلته ربيطاً للكعبة يخدمها.

ص ٦٠٠ س ١٤: إسحق القزاري.

أورد ابن تيمية قائمة بأسماء العلماء والصالحين ممن كانوا يأتون الثغور لأجل الجهاد والمرابطة في سبيل الله تعالى، والحديث الذي ساقه لأجل ذلك هو عن جبل لبنان، وطرابلس، ومصيصة.. وغيرها.

وبالرجوع إلى الأعلام تبيَّن أنه (إبراهيم بن محمد بن الحارث الفزاري، أبو إسحق ت ١٨٨هـ) قال صاحب الأعلام: ثم عاش مرابطاً بثغر المصيصة.

إذاً فهو (أبو إسحق الفزاري) وليس (إسحق القزاري).

عاشراً: زيادة في الأحرف والكلمات:

ص ٨٥ س ١٩: تجب في العمرة مرة = في العمر.

ص ٩٨ س ٢: حتى ترى ذلك في كلام بعض من قدم له قدم صدق من أهل السنة = بعض من له قدم صدق ...

ص ١٦٦ س ١١: ... فذلك وأحسن = فذلك أحسن.

ص ٢٠٢ س ٢١: ثم اعلم أن الله يأبى ذلك والمؤمنون إلا أبا بكر = ثم عَلِمَ.

ص ٢١٦ آخر سطر: .. على قولين في مذهب وأحمد وغيره = مذهب أحمد.

ص ٢١٨ س ١: ولهذا كمان سلف الأمة وأئمتها = كان سلف

ص ٢٣٤ س ١: فقال لها النبي لها النبي صلى الله عليه وسلم (مكرر)

ص ٢٥٢ س ٨: حتى يحول عليه الحلول = الحول

ص ٢٧٠ س ١٧: وإن كان من أصحابه من يجعل هذا هو أفضل = من يجعل هذا أفضل.

ص ٣٢٣ س ٢١: وإن كانت هي هي المتصرِّفة لنفسها = (هي مكررة)

ص ٤٦٨ س ١١: فخصّه هنا بالصحبة كما خصه بها والله في قوله = بها الله

ص ٥٤٨ س ١: كما جرى لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه إذا حلف لزوجته = إذ حلف.

ص ٥٦٥ س ١٩: من بني العباسي = العباس.

حادي عشر: نقص في الأحرف والكلمات

ص ١٨ س ١٧: فيه وجهان. أوجهما = أوجههما

ص ٢٧ س ١١: وقد روي عن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما مع الجنب من التيمم = منع الجنب..

ص ٢٨ س٦: وأما من أمكنه الذهاب إلى الحام = إلى الحمام.

ص ٣٨ س ٤: إذ لا غرض لهم في معرفة كون أنس رضي الله عنه أو لم يسمع = سمع أو لم يسمع.

ص ٤٠ س٢٠: ونحن نعلم بالاضطرار أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن بالاستفتاح ولا بالاستعاذة = لم يكن يجهر بالاستفتاح...

ص ٨٨ س ١٨: أيها أفضل: الغني الشاكر أم الفقير الصابر = أيهما أفضل..

ص ٨٩ س ١١: والمتفلسة ظنوا = والمتفلسفة..

ص ١١٤ س ٢٠: للناس في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز ما لا يجوز ثلاثة أقوال = يجوز وما لا يجوز..

ص ١٢٢ س١١: ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة = من دعاء عبادة.

ص ١٦٥ س ٢١: وإنما هو إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس الذي كانت له الدعو (فراغ) مات هناك في الحبس.

تكملة الفراغ هو (الدعوة العباسية).

ص ١٧٠ س١: بالأزلام [الزاي مقلوبة في الأصل].

ص ١٧٧ آخر سطر: فذلك أُمِرَ العبد أن يقول {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} في كل صلاة = فلذلك أُمِرَ...

ص ٢٠٢ س ١٧: وقد بدلوا غيروا = وقد بدَّلوا وغيَّروا.

ص ٢٠٨ س ١٩: وكثير من المتفلسة = المتفلسفة

ص ٢٢١ س ١٩: بأسباب حدها: التوبة = أحدها

ص ٢٣٥ س ١٩: والحرام لا يتولد بالانضمام المباح = بالانضمام إلى المباح.

ص ٢٥٢ س ٥: ثم إذا نقص النصاب، وقيل: إن الزكاة تجب في عين النصاب.

في الجملة نقص ينبغي الرجوع إلى المخطوطة، أو الفتاوى الكبرى، أو مجموع الفتاوى.

ص ٢٥٧ س ١٤: فإنه قد بت أن النبي صلى الله عليه وسلم = قد ثبت..

ص ٢٨٢ آخر سطر: بالقلب والبدن اللسان = واللسان.

ص ٤٢٩ س ٩: ويعاشرها بالمعروف فإن تعذّر ذلك امتنع في المعاشرة فرّق بينهما = وفُرِّق بينهما.

ص ٤٧٧ س ١٠: سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ورد: (كيراً) بدل (كبيراً)!.

ص ٤٨٢ س ١٦: إذا كان الإنسان يفعل ما أمر الله به يترك ما نهى عنه... = ويترك ما نهى عنه..

ص ٤٩١ س ٥: بل تنازعوا أيما أفضل = أيهما

ص ٥٦٢ س ٢١: ذلك ريح الإيمان = صريح الإيمان.

ص ٥٧٤ س ١: فلا يحكم بكفر شخص بعينه إلا أن يعلم منافق = أنه منافق

ص ٥٨٧ س ١٣: أخطأ خطأً بيناً = خطأً.

ص ٦١٠ س ٢١: تق الله = اتق الله.

ثاني عشر: قائمة بالأخطاء المطبعية الأخرى

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٧٢	٩	قيل الجمعة	قبل الجمعة	٣٠٦	٨	رأمر	وأمر
٩٧	١١	«وما تأخر هو ذنب أمته»	«وما تأخر» هو ذنب أمته	٣١٠	١	إيطال	إبطال
٩٨	٧	تتزيههم	تنزيههم	٣١٤	٦	تنازع	تنازع
١١١	١٣	اثنتين	اثنين	٣١٦	٢٠	القفهاء	الفقهاء
				٣١٧	٣	قعدم	فَعَدِم
١٤٠	١	فضل	فصل	٣٢٤	٥	فى	في

١٤٨	١٤	دعاؤة	دعاؤه	٣٢٧	١٦	تصيبه	نصيبه
١٥٠	١	تيفنا	تيقنّا	٣٣٠	٤	وتحوه	ونحوه
١٦٩	١٧	ياتصال	باتصال	٣٣١	١	أصبح	أصحّ
١٦٩	٢٣	والكهاتة	والكهانة	٣٣٧	٥	قايضة	قابضة
١٧١	١٠	يمن يدعو	بمن يدعو	٣٦٤	١٠	منانع	منافع
١٧٥	٩	يخمسين	بخمسين	٣٧٨	٢١	تقضاً	نقضاً
				٣٨٧	٣	بمنزله	بمنزلة
١٧٩	١٢	وحح	وحج	٣٩٥	١٩	لم يقسهما	لم يُقَسِّمْها
١٨٥	٢١	حالة	حالُه	٣٩٦	١٤	أطلب أنت	اطلب..
١٩٠	٦	حباته	حياته	٤٠٣	١٩	يل	بل
١٩٣	١٩	ياسم	بِاسْمِ	٤١٣	١٩	يكر	بكر
٢٠٦	١٢	العبيدين	العبيديين	٤٢٨	١٥	بانفاق	باتّفاق..
٢٢١	٢	لحق	الحق			المسلمين	
				٤٣٣	٥	يخلافه	بخلافه
٢٢٦	١١	التناسيخية	التناسخية	٤٤١	٢	بقولبم	بقولهم
٢٤٠	١٦	وإبليس لعنة الله	لَعَنَهُ	٤٩٢	٩	أيهعا	أيهما
٢٤٧	آخر	بركه	بتركه	٥٠٢	١٤	قبل	قيل
٢٥٥	سطر	بقدُم	يَقْدَم	٥٠٩	١	لأقصى	الأقصى
٢٦٩	١	عنبما	عنهما	٥١١	٢٠	ولا ينشر	ولا بِنَشْرِ..
٢٧١	١٣	الفصل	الفضل	٥٤٣	١	كاتت	كانت
	١٩			٥٥١	٢٠	الكنائش	الكنائس
٢٨٧		يط	قط	٥٥٢	٥	زاتية	زانية
٢٩٠	١٤	صبح	صَحَّ	٥٥٨	٨	توبه	توبة
٢٩١	١٨	ليس الصوف	لبس	٥٥٩	٤	طععها	طعمها
٢٩٣	آخر	المكيال	المكيال	٥٥٩	١٠	بمثروع	بمشروع

	سطر ١٤			٥٦١	٧	قكيف	فكيف

ص	س	الخطأ	الصواب	ص	س	الخطأ	الصواب
٥٦٣	١٤	عهم	عنهم	٦٠٠	٩	الأسكندرية	الإسكندرية
٥٦٥	٩	إثها	إنها	٦٠٨	١٨	عالب	غالب
٥٧٣	آخر	مواتع	موانع	٦١٦	١٨	الأنمة	الأئمة
٥٨٦	سطر ١٤	يجرى	يجري	٦١٧	٤	جماهة	جماعة
				٦١٨	١٠	فاذا	فإذا

وأذكّر القارئ أنني لم أعول على الهمزات إلا عند الضرورة.. ولو تتبعت ذلك لزاد حجم النقد كثيراً.. كما لم أراجع الفهارس العامة.

مقارنة جزئية بن الطبعتين الأولى والثانية:

مما يؤسف له حقاً أن يعمد بعض الناس إلى إعادة مراجعة كتاب سبق أن طبع وروجع للمرة الأولى، فلا يأتي بتحسين، وذلك كأن:

- تزيد أخطاؤه على أخطاء الطبعة الأولى.
- أو أن تبقى تلك الأخطاء كما كانت عليه.
- أو أن يعمد إلى تصحيح بعضها فيخطئ فيها!!

وهذا هو حال (أحمد حمدي إمام) عفا الله عنه، عندما قدّر له
أن يتولى تصحيح ومراجعة الطبعة الثانية من (مختصر الفتاوى المصرية) فلم يوفق فيها.

لقد حاولت أن أقارن الأخطاء التي سردتها للقارئ بما في الطبعة الأولى، فوجدت الأمر مؤسفاً للغاية، ولم أزد على مقارنة مائة صفحة بمائة صفحة من الطبعتين، لأن الأمر توضح لي تماماً.

لقد بلغت أخطاء الصفحات المائة الأولى واحداً وعشرين خطأ. ومن المعلوم أن المراجعة والتصحيح في الصفحات الأولى يكون تركيز المصحح عليها أكثر من التالية، حيث لا يعتريه الملل والفتور منذ البداية، وحيث تكون الهمة والنشاط متوافرين.

الأخطاء الواحدة والعشرون كانت على النحو التالي:

(١١) خطأ بقي على ما هو عليه (خطأ)، وأذكر صفحة الطبعة الأولى، تليها صفحة الطبعة الثانية: ١٨/٢٦/، ٣٠/٣٨، ٣٢/٤٠، ٣٨/٤٥، ٣٩/٤٦، ٤٠/٤٧، ٤٣/٥٠. ٤٤/٥١، ٨٦/٩٣، ٨٨/٩٥ س ٢٠، ٩٨/١٠٥.

(٧) أخطاء: كانت صحيحة في الطبعة الأولى وخطأ في الطبعة الثانية، وصفحاتها على الترتيب السابق هي:

٢٧/٣٥، ٢٨/٣٥، ٢٩/٣٧، ٧٢/٧٩، ٨٥/٩٢. ٨٩/٩٦، ٩٧/١٠٥.

وقد بينت هذه الأخطاء فيما مضى.

أما الأخطاء الثلاثة الباقية:

فأحدها أشرت إليه في الفقرة الثالثة من هذه الدراسة (الضبط) وثانيهما ص ١٠٥ من الطبعة الأولى لم يتم ضبط الآية {**لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**} بينما وضعت الفتحة على اللام في كلمة (لا تغلوا) في الطبعة الثانية، والصحيح أنها (لا تغلُوا) بضم اللام.

وثالثها (أيهما) وجعلت في الطبعة الأولى (أيما) وفي الثانية (أيها) ص ٩٥ أولى وص ٨٨ س ١٨ ثانية.

وفي الطبعة الأولى هوامش كثيرة، وإحالات متعددة، وتوضيحات لبعض الأمور.. ولكن المراجع الجديد حذفها، برغم أهمية كثير منها.. فزاد من تشويه الكتاب.

عفا الله عنا جميعاً، ووفقنا للإتقان في العمل، وألهمنا الإخلاص فيه.

(نشر في مجلة "عالم الكتب" ع٢ (شوال ١٤٠٧ هـ))

(ل)
محاولة للتعرف على الحياة الواقعية في بيئة ابن تيمية
من خلال كتاب
"مختصر الفتاوى المصرية"

كتاب "الدرر المضية من الفتاوى المصرية" اختصره بدر الدين أبو عبدالله بن علي الحنبلي البعلي (ت ٧٧٨هـ)، وسماه "التسهيل" كما في الأعلام للزركلي، وبقي معروفًا باسم "مختصر الفتاوى المصرية".

نشر الكتاب لأول مرة عام ١٣٦٨هـ على نفقة الملك عبدالعزيز، بتصحيح محمد حامد الفقي، وإشراف عبدالمجيد سليم، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، وكان اعتمادهما على النسخة المخطوطة الوحيدة في المكتبة الأزهرية، وأعيد طبعه بالأوفست في باكستان، نشرته دار نشر الكتب الإسلامية: كواجرانواله، ربيع الأول ١٣٩٧هـ.

والطبعة الأخرى للكتاب كانت عام ١٤٠٠هـ، راجعه وقدم له وفهرسه أحمد حمدي إمام، القاهرة: مطبعة المدني، ويقع في (٦٦٧) صفحة.

وهناك مختصر آخر للفتاوى المصرية – أشار إليه أحمد إمام (ص: ١٦ من المقدمة) – وهو بعنوان: "الاختيارات العلمية في اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية"، وصاحبه هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي، ويختلف أسلوب اختصار هذا عن ذاك.

وبعد ذكر هذه البيانات الموجزة عن الكتاب، أود أن أذكّر القارئ أن هذه الدراسة ستنصبُّ على معالجة أمر مهم، لا يعيره كثير من الباحثين والمؤرخين الأهمية التي يستحقها، وهو الوقوف على الحياة الواقعية التي كان يعيشها مجتمع القرن الثامن الهجري في بلاد الشام – وقد يكون من بينها مصر وغيرها من بلاد المسلمين – من خلال النصوص الفقهية التي يعالجها علماء ذلك الوقت، ومن خلال إجاباتهم على أسئلة أفراد ذلك المجتمع، ومن خلال

التركيز على بعض الأجوبة وإعطائها حقها من التبسيط والإسهاب، وذكر فروعها ومتعلقاتها.

إن كثيرًا من الفتاوى الواردة في الكتاب تضع أيدينا على الحياة اليومية التي عاشها بعض فئات المجتمع، وتبين المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية في نواحٍ جزئية لا تتطرق إليها الكتب التاريخية.

والذي أودُّ قوله هنا، أن بإمكان المهتمِّين بالتاريخ الإسلامي وعلم الاجتماع، إضافة معلومات كثيرة إلى دراساتهم عندما يعرّجون على كتب الفقه الإسلامي، التي ستذكر لهم كثيرًا من المشكلات الاجتماعية والنواحي الجزئية في ذلك الوقت.. ولعل في إيراد بعض الأمثلة ما يبين هذا الأمر.

المنهج والأسلوب:

وليعفني القارئ من عرض محتويات الكتاب؛ إذ من المعروف أنه كتاب فقه، وزِّعت أبوابه وفصوله على تقسيمات الكتب الفقهية المعروفة في جميع المذاهب الفقهية، وما سمي بـ الفتاوى، إلا لأنه يتعرّض لقضايا جزئية في نواحٍ كثيرة يتطلبها شيء مستحدث، أو إثارة لقضية معينة، أو اجتهاد في أمر من الأمور المختلف فيها بين الفقهاء، أو التعرض لموضوع استعصى فهم جوانبه.. وكما قال البعلي في مقدمته القصيرة للمختصر: "مما أكثره فقه المسائل، وما عسر علمه على الأوائل"، وقد وضع مصحح الكتاب مقدمة لا بأس فيها عن ذلك.

ويتلخص منهج ابن تيمية في هذا الكتاب ببيان الأحكام الشرعية، ومناقشة القضايا الفقهية، وذكر آراء الفقهاء في المذاهب الأربعة وغيرها، ومناقشتها في بعض الأحيان.. ويبدي المؤلف رأيه في مواضع، كما يقتصر على بيان الحكم في مذهب الإمام أحمد بن حنبل في مواضع أخرى.

ولكن الذي يلفت النظر – حتى في بيان الأمور الجزئية – هو محاربة المؤلف للبدع، والحملة على المبتدعين بكل ما أوتي من علم وبيان، والتشنيع عليهم والتشهير بهم، وبيان موضع الخطأ عندهم، وذكر وجوه العيب فيهم، وبيان مضار البدع ومخالفتها للشرع بالدلائل

والاستنتاجات.. وهو لا يكاد يبين حكمًا إلا ويعرج فيه على قضية الإصلاح الاجتماعي، أعني أنه يتحين فرصة بيان حكم ليبرز عيب المجتمع وبعده عن المنهج الحق في عقيدته وسلوكه، وهو أبرز ما تتميز به جهود وكتابات ابن تيمية؛ فهو يعود في كل مرة ليركز على ناحية العقيدة، التي يرى فيها أساسًا لنظام المجتمع وسلوكيات أفراده، فإذا كانت سليمة دلَّ الأمر على الجانب المضيء، وإلا فإن الأمر يحتاج إلى إجلاء الظلام الذي يغلف جوانب المجتمع.

إنه يدلل ببيان هذه الأحكام على عيوب المجتمع وسبب تخلفه وفساده، ويقدم الحلول الناجعة للنهوض به وإيقاظه من غفوته من وجهة نظر عقدية وشرعية مُحكمة.

ومن حسن فقهه وسياسته أنه عندما يبين آفة مُستَشْرية في المجتمع لا يقتصر على بيان الحكم باجتهاده، بل أكثر ما يورده يذكر معه الدليل الشرعي وآراء العلماء الآخرين، وهذا المنهج فيه فائدتان:

١ - يجلب ثقة المجتمع المسلم.

٢ - يبين لهم أنه رجل علم محافظ: لا يبتدع طريقة جديدة، بل يريد تجديد دورة الدين في شرايين القلوب.

ويدرس الأمور دراسة علمية ممزوجة بشيء من الحرقة والألم على ما يراه في مجتمعه من فشو الجهل، وانتشار الخرافات والتعصب لمذهب أو طائفة معينة، وكانت هذه الفتاوى سببًا لتعرضه للسَّجن عدة مرات.

وقد تحدث كثيرًا عن الفرق الضالة والعقائد الفاسدة في مجتمعه، ونقد كتبًا ألفت في هذا الشأن، وناقش، وناهض، وجاهد، ودعا إلى العقيدة السلفية، وبين رأيه ورأي العلماء الآخرين في قضية تكفير أهل الأهواء والبدع، في كتب كثيرة له في العقيدة، وانظر ص: ٦٠ - ٦١ من هذا الكتاب.

وإذا كانت حربه على البدع والخرافات من باب التثقيف والبيان، وكذلك الإصلاح الاجتماعي، وتعضيد كلامه في هذا الرد بأنواع النصوص والآراء.. فإنه شعر أن القضاء عليها وإزالتها من واقع الناس ليس بالأمر الميسور؛ ولذلك لجأ إلى أسلوب القوة في حربه الكلامية أو التأليفية - إذا صح التعبير - فهو لا يكتفي ببيان الحكم الشرعي في أمر من الأمور، بل

كثيرًا ما نجد في أثناء فتاواه هذه يقول: "... يجب استتابته إن أصرّ، فإن تاب وإلا قتل"؛ ص٤٢٢، "فمن قال ذلك عُرِّف، فإن أصرَّ استتيب، فإن تاب وإلا قتل"؛ ص: ٤٢٥، وانظر ص: ٥٥٠.. وغيرها.

ويضع تنفيذ هذا الأمر في يد الحاكم، الذي ينبغي أن ينفذه، ما دام أنه يحكم بالإسلام.. والقصد من وراء ذلك أن الإصلاح لا يتم بمجرد الخطابة والتأليف، بل لا بد أن تعضده قوة منفِّذة، فالعقول المريضة التي عشش فيها الأوهام، والضمائر الفاسدة التي لم يصقلها إيمان أصحابها، والقلوب التي قست حتى لم تعد تشعر بالخوف أو الرحمة – بحاجة إلى ضربة قاسية تفيقها مما هي عليه؛ لتنتبه وتفيء إلى رشدها، وليكون هذا عبرة لأمثاله، ولعل هذا أمثاله أدى إلى أن يقول البعض: إن أسلوبه كان قاسيًا.

ويبدو لنا من فقهه تبحّرُه في العلم، واطلاعه على علوم كثيرة أسندت ثقافته، فبدا عالمِا حاذقًا خبيرًا، يغوص في أعماق القضايا، ويجلّي الأمور على حقيقتها؛ لينبّه بذلك إلى ما غاب عن الأذهان.. فلا تكفي الشكليات التي قد تعطي ألوانًا برّاقة، وتبطن ساحة واسعة من الخداع والفساد!

وأسلوبه في العرض والمناقشة من أسهل ما يكون؛ فهو لا يلجأ إلى كلمات صعبة، ولا تعقيدات بيانية يعسر فهمها على طالب العلم، رغم أنه يبحث في قضايا عميقة، تتطلب التركيز والتدقيق، فهو يقضي على هذه المشكلة بالوضوح في المعنى، والسلاسة في الأسلوب، والتبسيط في الموضوع.. إنه يورد الأدلة، ويبين الآراء، ويشرح رأيه، ويأتي القضية من أبوابها السهلة المفتوحة، للتدليل على المعنى.

الدراسة:

ذكرت في المقدمة أنني سأتناول بالدراسة الحياة الواقعية التي عاشها بعض فئات المجتمع في بيئة ابن تيمية وعصره من خلال نصوص كتابه، سواء منها المصرّح بها أنها في ذلك الوقت، أو ما فيها إشارة إلى ذلك.

ولن أتوسع في الموضوع، كما لن أتقصّى كل ما أشير إليه، أو ما علمت أنه كان موجودًا في ذلك الوقت، فالهدف من هذه الدراسة هو الإشارة، والتنبيه إلى منهج جديد في معرفة

تصرفات بعض الأشخاص أو الجماعات من خلال اهتمام العلماء بمشكلات المجتمع المختلفة.

وأشير إلى أن ما ورد في هذه الفقرات يكوِّن معظمه الجانب السلبي من حياة المجتمع.

أولاً: الناحية الدينية:

١ – ينقد ابن تيمية بدعة تعارَف المؤذنون عليها يوم الجمعة، وهي أذان عدة أشخاص معًا في وقت واحد في صحن الجامع.

وأظن أن هذا الأمر معمول به حتى الآن في الجامع الأموي بدمشق، وليس في الجمعة فقط، حيث يعمد مؤذنان أو أكثر إلى النداء بالأذان في وقت واحد.

يقول ابن تيمية (ص: ١٣):

"هؤلاء الذين يؤذنون مع المؤذن يوم الجمعة في مثل صحن الجامع، ليس أذانهم مشروعًا باتفاق الأئمة، بل هو بدعة منكرة مشتملة على وجوه مذمومة".

ويبين هذه الوجوه بقوله (ص: ٣١ – ٣٢):

إنها بدعة.

– ومنها: أنهم يتركون ما أُمروا به، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه "أمر أن يقول السامع مثل قول المؤذن، إلا في الحيعلة فيقول: لا حول ولا قوة إلا بالله".

الثاني: أنه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

الثالث: أنه يسأل الله له الوسيلة.

الرابع: أن يدعو بعد ذلك بما شاء.

فيتركون سماع المؤذن وما أُمروا به، ويفعلون ما لم يؤمروا به.

ومنها – أي الوجوه المذمومة –: أنهم يشغلون الناس عن هذه السُّنة ويخلطون عليهم...

إلى أن يقول:

ومنها: أنه يؤذن مؤذنان في وقت واحد، ومتى أذن مؤذنان معًا في وقت واحد مفترقين، كان مكروهًا منهيًّا عنه، بخلاف ما إذا أذن واحد بعد واحد، كما كان المؤذنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم..

٢ - ويظهر أن بضاعة القُصَّاص كانت مزجاة في ذلك العصر، وكانت لهم أماكن وأوقات لسرد قصصهم كما يحبون، وكان لهم جمهور من المستمعين، يقول المؤلف ص٣٢:

وكذلك القُصاص الذين يقومون على رؤوس الناس يوم الجمعة ويشغلونهم عما شرع من الصلاة والدعاء والقراءة - لا سيما إن قصوا وسألوا والإمام يخطب - فإنه من المنكرات الشنيعة، مع ما يكذبون كثيرًا، فيتعين إزالة ذلك باتفاق الأئمة.

٣ - وينبه إلى بدعة أخرى في باب صلاة التطوع بقوله (ص: ٧٤):

قراءة سورة الأنعام في ركعة واحدة في رمضان أو غيره بدعة، سواء تحرّوا الليلة بعينها أو لا، كما يفعله بعض الناس، يقرؤونها في آخر ركعة من صلاة الوتر، يطول على الناس، ويهذها هذًّا مكروهًا.

٤ - وينقد بدعة أخرى في هذا الباب فيقول (ص: ٧٤):

"وصلاة القدر التي تصلى بعد التراويح ركعتين في آخر الليل، يصلون تمام مائة ركعة، بدعة مكروهة، والاجتماع المعتاد في المساجد على صلاة مقدرة بدعة".

٥ - ويبدو أن إمام البلد كان يرسل جندًا لحماية الحجاج في طريقهم إلى الحج، يقول المؤلف (ص: ٢٩٧):

"وإذا ندب الإمام من يحج لخفارة الحاج المرتبين في الديوان، وأمر الجماعة الذين لم يخرجوا أن يعطوا الذي يحج ما يحتاجه، فله أجر ذلك، وهو حلال".

٦ - ويتحدث عن تصرفات غريبة لأشخاص يدَّعون التدين (ص: ٣٩٢):

"ومن كان زنديقًا كالحلولية والإباحية، ومن يفضل متبوعه على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن يعتقد أنه لا يجب عليه في الباطن اتباع شريعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو أنه إذا حصلت له المعرفة والتحقيق سقط عنه الأمر والنهي، أو أن العارف الصوفي المتحقق يجوز له التدين بدين اليهود والنصارى، فلا يجب عليه الاعتصام بالكتاب والسنة، وأمثال هؤلاء، فإن هؤلاء كلَّهم منافقون زنادقة، وإذا ظهرت على أحدهم دلائل ذلك وجب قتلُه باتفاق المسلمين، وهم كثيرون في هذه الأزمنة، لا كثرهم الله".

٧ - ويشير المؤلف إلى مكان (الصخور المشهورة) ظن العامة أنه مكان قدم الرسول صلى الله عليه وسلم أو نعله، فيقول (ص: ٥٨٨):

"وليس القدم الذي بالصخور المشهورة عند العامة قدم النبي صلى الله عليه وسلم، ولا قدم أحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا يضاف إلى الشريعة جواز تقبيله ولا التمسح به".

٨ - كما يبدو أن من الناس من كان يقصد بعض الأماكن في جبل لبنان، فيتعبد في مغاراتها، أو يتبرك ببعض ثمار أشجارها، يقول ابن تيمية (ص: ٦٠٠):

"وما يُذكر في بعض الحكايات من الاجتماعات ببعض العبَّاد في جبل لبنان وجبل اللكام ونحوه، وما يُؤْثر عن بعضهم من حميد المقال، فلأن هذه الأمكنة كانت ثغورًا يرابط بها المسلمون في جهاد العدو".

إلى أن يقول: "وكان الصالحون يأتون الثغور لأجل الجهاد والمرابطة في سبيل الله تعالى".

وبعد ثلاث صفحات يقول: "والمقصود أن الاعتناء بهذا الجبل هو من الجهالات والضلالات، وكذلك التبرك بما تحمل أشجاره من الثمر هو من البدع والعقائد الجاهلية المضاهئة لجهالات الوثنيين المشركين".

ثانيًا: الناحية التاريخية:

١ - يذكر معارك نشبت بين قبائل في بادية الشام فيقول (ص: ٤٥٦):

"هذه الفتن التي تقع بين البادية، ويزعمون أنهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، كحرام وسعد وهلال وثعلبة وأمثالهم - من أعظم الفتن والمحرمات، وأكبر المنكرات..".

٢ - ويتحدث عن "النصيرية" في فصل مطوَّل (ص: ٤٦٠ - ص٤٦٦) عن عقائدهم وأموالهم، وماضيهم وحاضرهم، وعلاقاتهم بغيرهم.

٣ - كما يظهر أن زحف التتار على بلاد الشام كان مستمرًّا حتى وقت متأخر من القرن الثامن الهجري، ولو كان ذلك بأعداد متفاوتة، وأوقات متباينة، ويتحدث ابن تيمية عن هذا الجانب، ويبين فساد حالهم، وآثار تخريبهم، وواجب المسلمين تجاه ذلك، فيقول مما سمعه ورآه (ص: ٤٩٨ - ٤٩٩):

"ويجوز، بل يجب قتال هؤلاء التتار الذين يقدمون إلى الشام مرة بعد مرة، وإن تكلموا بالشهادتين، وانتسبوا إلى الإسلام، وجب قتالهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتفاق

أئمة المسلمين، وهذا مبني على أصلين: أحدهما: المعرفة بحالهم، والثاني: معرفة حكم الله فيهم وفي أمثالهم".

ثم يبين خروجهم عن شرائع الإسلام ويقول:

"وقد شاهدنا عسكر القوم، فوجدنا جمهورهم لا يصلون، ولم نر في عسكرهم مؤذنًا ولا إمامًا، ولم يكن معهم إلا من كان من شرّ الخلق: إما زنديق منافق لا يعتقد دين الإسلام في الباطن، وإما من هو شرُّ أهل البدع، كالرافضة والجهمية والاتحادية ونحوهم، وإما من أفجر الناس وأفسقهم، وهم لا يحجّون البيت العتيق مع تمكنهم، وإن كان فيهم من يصلي ويصوم فليس الغالب عليهم إقامة الصلاة ولا إيتاء الزكاة، وإن فعلوا فإنما هو للتقيّة، وهم يقاتلون على ملك جنكزخان، فمن دخل في طاعتهم وطاعة شريعة جنكزخان الكفرية التي يسمونها الباسقة - السياسة - جعلوه وليًّا لهم، وإن كان كافرًا، ولا يضعون على أهل الذمة جزية، كما قال أكبر مقدّميهم الذين قدموا الشام وهو يخاطب رسل المسلمين، ويتقرب إليهم بإظهار أنهم مسلمون فقال: هذان اثنان عظيمان جاءا من عند الله - محمد وجنكزخان. فهذا غاية ما يتقرب به أكبر مقدميهم إلى المسلمين، أن يسوّي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي هو أكرم خلق الله وسيد ولد آدم، وبين ملك كافر وثني خبيث، من أعظم المشركين كفرًا وفسادًا وعدوانًا".

ويتابع ابن تيمية قراءة الأحداث في عصره، ويعالجها في منهج إسلامي محكم، كما يبين غرائب معتقدات أتباع جنكزخان وضلالهم، في شجاعة العلماء العاملين فيقول (ص: ٤٩٩ - ٥٠٠):

"وذلك أن اعتقادهم في جنكزخان كفر عظيم؛ فإنهم يعتقدون أنه ابن الله، من جنس ما يعتقد النصارى في المسيح، سبحان ربنا وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، ويقولون: إن الشمس حبَّلت أُمَّهُ، وإنها كانت في خيمة، فنزلت الشمس من كوّة، فدخلت فيها حتى حبلت، وهذا كذب عند كل ذي دين وعقل، بل هو دليل على أنه ولد زنا، وأن أمه ما ادّعت ذلك إلا لتستر معرّة زناها، ومع ذلك فهو عندهم أعظم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويعظمون ما سنّه لهم وشرعه بظلمه وهواه، ويشركون به بذكر اسمه على أكلهم وشربهم وحكمهم، ويستحلّون قتل من ترك سنة هذا الكافر الملعون.

ومعلوم أن مسيلمة الكذّاب كان أقلّ ضررًا من هذا الكافر الذي ادّعوا أنه شريك محمد صلى الله عليه وسلم في الرسالة، فاستحلّ الصحابة رضي الله عنهم قتاله، فكيف بمن كان فيما يظهره من الإسلام هو بجعله محمدًا صلى الله عليه وسلم كجنكزخان؟

وهم يعظمون الكفار الذين يتبعون جنكزخان، على المسلمين المتبعين للقرآن، بل جنكزخان أعظم من فرعون وهامان ضررًا، فإنه علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا وأهلك الحرث والنسل، فردّ الناس عن ملك الأنبياء إلى ما ابتدعه من جاهليته وسياسته الكفرية المفسدة، ولو قلتُ ما رأيته وسمعته لما وسعه هذا المكان"، ثم يقول (ص: ٥٠٠):

"وبالجملة، فما من نفاق، وزندقة وإلحاد، وفسوق وعصيان، إلا وهي داخلة في أتباع التتار؛ لأنهم من أجهل الخلق وأقلهم معرفة بالدين، وأجرئهم على انتهاك المحرمات واعتداء على الحدود، وأعظم الخلق اتباعًا للظن وما تهوى الأنفس.

وقد قسموا الناس بحسب سياستهم الفاجرة أربعة أقسام: يار، ودوشمن، ودانشمند، وطط؛ أي: صديقهم، وعدوهم، والعالم، والعاصي".

ويذكر المؤلف أن وزيرهم السفيه الملقب بالرشيد، ألف كتابًا قال فيه: إن محمدًا صلى الله عليه وسلم رضي بدين اليهود والنصار، وأنه لا ينكر عليهم، واستدل بقوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...} [الكافرون: ١، ٢]، وزعم الخبيث أن هذا يقتضي أن الرسول رضي دينَهم، قال: وهذه الآية مكية ليست منسوخة، وهذا من فساد جهله؛ فإن قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون: ٦] إنما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم تبرأ من دينهم.

وتابع الرد عليه في (ص: ٥٠١) وقال: وشرح حالهم يطول.

وفي (ص: ٥٠١) أيضًا يقول:

وقد خاطبني بعضهم فقال: ملكنا ملك ابن ملك ابن ملك إلى سبعة أجداد، وملككم ابن مولى! فقلت: آباء ذلك الملك كلهم كفار، ولا فخر بالكافر؛ بل المملوك المسلم خير من الملك الكافر؛ قال الله تعالى: {وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ} [البقرة: ٢٢١]، فهذه وأمثالها حججهم.

وبالجملة، فقد اتفق المسلمون على أن من ترك شريعة من شرائع الإسلام وجب قتاله، فكيف بمن ترك جميع شرائعه أو أكثرها؟ فما الظن بمن يحاربها؟!

كما ينبه إلى الاعتبار بأحوالهم السابقة، وعدم الاغترار بأقوالهم، فيقول (ص: ٤٩٨):

"... فقد علم أن هؤلاء القوم جاروا على الشام في المرة الأولى عام تسعة وتسعين وستمائة، وأعطوا الناس الأمان، وقرؤوه على المنبر بدمشق، ومع هذا فقد سبَوْا من ذراريِّ المسلمين ما يقال: إنه مائة ألف، أو يزيد عليه، وفعلوا ببيت القدس، وجبل الصالحية، ونابلس وحمص وداريا وغير ذلك من القتل والسبي ما لا يعلمه إلا الله، وفجَروا بخير نساء المسلمين في المساجد؛ كالمسجد الأقصى والأموي وغيرهما، وجعلوا الجامع الذي بالعقبة دكًّا".

ثالثًا: الناحية الاجتماعية:

١ - يبدو أن مجتمع الدجالين والمشعوذين لا ينقطع في عصر من العصور، كما أن أساليبهم وخدعهم معروفة مكررة، نقرؤها في القديم، ونسمع بها ونراها حديثًا، ويشير ابن تيمية إلى جانب من هذا المجتمع، فيقول (ص: ٣٠٩):

"وأما من يأكل الحيات والثعابين ويجعله من باب الكرامات، فهو شرٌّ ممن يأكلها فسقًا، فإن كرامات الأولياء لا تكون بما نُهي عنه من أكل الخبائث، كما لا تكون بترك الواجبات، ولا يجوز إعانة هؤلاء المشعوذين بالصدقة ونحوها على أن يقيموا الصناعات والشعبذات المحرمة، ويفعلون ما لا يرضي الله من إقامة مشيخة تخالف الكتاب والسنة، ولا يُعطى رزقُه على جاهلية تخالف كتاب الله؛ وإنما يُعان بالرزق مَن قام بطاعة الله ورسوله، وعمل ما ينفع المسلمين في دنياهم، ودعا إلى طاعة الله ورسوله".

٢ - وإلى وقت قريب كنا نرى بعض النسّاك يتجولون في أنحاء العالم وعلى ظهورهم مزودتهم، وعليهم ثياب رثة، ينزلون القرى، ويزورون العلماء، وينامون في العراء، أو يلتجئون إلى البيوتات الكبيرة في الصيف الحار، أو الشتاء البارد، ومنهم من يستقرّ في بلد ما، ومنهم من يعود إلى وطنه.. وقد يبقى آخرون يسيحون في الأرض إلى أن يوهنهم الكبر..

ويقول ابن تيمية عن هؤلاء ص٣٠٩:

"والسياحة في البلاد لغير مقصد مشروع -كما يعانيه بعض النساك - أمر منهي عنه".

قال الإمام أحمد: ليست السياحة من الإسلام في شيء، ولا من فعل النبيين ولا الصالحين، وقوله تعالى: {السَّائِحُونَ} [التوبة: ١١٢] المراد به: الصائمون.

٢ - ويتبين من بعض أجوبة المؤلف المظاهرُ والتقاليد الاجتماعية التي كانت سائدة في بيئته عند بعض فئات المجتمع، ويبدو أن أحد الأشخاص ممن يستهويه طول الشارب وفتله عاب على بعض المسلمين قص الشارب، وسأل ابن تيمية عن ذلك، فأجابه وكأنه ألقمه حجرًا ص٢٠:

"وقصُّ الشارب ليس بعيب، بل فعَله رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدح فاعله، ومن عاب شيئًا فعَله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أقرَّ عليه، عُرِّف ذلك، فإن أصرَّ كفر".

ونستشف من هذا الجواب أن بعض الناس كان يتباهى بمظاهر معينة، مثل طول الشارب أو جعله في هيئة معينة؛ وربما كان ذلك نتيجة اختلاط شعوب معينة بالمسلمين، مثل التتار والترك في ذلك الوقت، فاستهوى بعضهم تقليدهم، كما هو حال بعض شبابنا في تقليد الأجانب اليوم.

٤ - كما يبدو أن (موضة) لبس عمائم خاصة كانت مستشرية بين نساء ذلك المجتمع، يقول المؤلف (ص: ٢٩٠):

"هذه العمائم التي يلبسها النساء حرام بلا ريب؛ فهي مثل أسنمة البخت...".

٥ - ويحدثنا عن المنجمين وأماكن جلوسهم وإكرام بعض الناس لهم، فيقول (ص: ٣٤٤ - ٣٤٥):

"وصناعة التنجيم والاستدلال بها على الحوادث محرّم بإجماع المسلمين، وأخذ الأجرة على ذلك سحت، ويُمنعون من الجلوس في الحوانيت والطرقات، ويمنع الناس أن يكرموهم، والقيام في منعهم عن ذلك من أفضل الجهاد في سبيل الله تعالى".

ويقول في مناظرة له معهم (ص: ١٤٧):

"ولّما ناظرت بدمشق من حضرني من رؤسائهم، وبيَّنتُ له فساد صناعتهم بالأدلة، قال: والله إنا لنكذب مائة كذبة حتى نصدق في واحدة".

٦ - ويتحدث عن الصداقة والأخوة التي كان يعقدها أشخاص بين بعضهم البعض في صورة بشعة وطقوس منكرة، فيقول (ص: ٤٥٧):

"هذه الأخوة التي تكون بين بعض الناس في هذا الزمان، وقول كل واحد منهم: مالي مالك، ودمي دمك، وولدي ولدك، ويشرب أحدهما دم الآخر... فهذا الفعل على هذا الوجه غير مشروع باتفاق المسلمين".

وبعد أن يبين الوجه المشروع في الأخوة، يزيدنا إيضاحًا عن أمور أخرى متعسفة، فيقول (ص: ٤٥٩):

"وأما شرب كل منهما دم الآخر، فهذا لا يجوز بحال، ويشبه هذا بالذين يتآخون متعاونين على الإثم والعدوان بالاكتواء وعلى حبِّ المردان، وهذا مثل مؤاخاة من ينتسب إلى المشيخة والسلوك للنساء، فيؤاخي أحدهم المرأة الأجنبية ويخلو بها، وقد أقرَّ طوائف من هؤلاء بما جرى بينهم من الفواحش، فمثل هذه المؤاخاة مما فيها من تعاون على الإثم والعدوان كائنًا ما كان، حرام بإجماع المسلمين".

٧ - وقد يتناهى إلى سمع بعض الأشخاص أن الرجل ينادي زوجته: يا أختي، فما حكمه؟ يورد ابن تيمية هذا الأمر ويقول (ص: ٤٣١):

"... فإن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول لامرأته: يا أختي، فأدّبه".

قال: "وإن كان جاهلاً، لم يؤدب على ذلك".

قلت: وقد يعني أنه لا يُعَزّر، بل يُعَرَّف.

٨ - ويذكر بعض التقاليد التي ابتلي بها المجتمع المسلم في أعياد أهل الذمة، فيقول (ص: ٥١١):

"وأما إذا فعل المسلمون معهم أعيادهم؛ مثل صبغ البيض، وتحمير دوابهم بمَغْرة وبخور، وتوسيع النفقات وعمل طعام، فهذا أظهر من أن يحتاج إلى سؤال، بل قد نص طائفة من العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك على كفر من يفعل ذلك".

ثم يذكر أشياء أخرى (ص: ٥١١ - ٥١٢).

٩ - ويظهر أنه ورد إليه سؤال عن مسابقة (الرمي بالحجارة) فقال (ص: ٦٠٣):

إن كان فيها منفعة للجهاد، وإلا فهي باطل.

رابعًا: الناحية الاقتصادية:

١ – يورد ابن تيمية في أكثر من مكان مسائل تتعلق بالإقطاع، وقد يعني به أن الدولة كانت تمنح أراضي للجنود لاستغلالها ما داموا في الجندية (تراجع أحكام الإقطاع في الباب السابع عشر من الأحكام السلطانية للماوردي)، يقول ابن تيمية (ص: ٢٤٢):

"الإقطاع اليوم، إقطاع استغلال ليس له بيعه ولا هبته باتفاق الأئمة، ولا ينتقل إلى ورثته، بخلاف ما كان في العصور الأولى".

٢ – ويلمح إلى العملة المستعملة في ذلك الوقت، والدراهم المغشوشة في زمانه (ص: ٣٠٢)، تلك المصنوعة من فضة، المخلوطة بالنحاس.

٣ – وعن الزراعة يقول في (ص: ٣٤٣):

"... فهذه الضمانات التي لبساتين دمشق الشتوية فيها أرض وشجر، صحيحة، وإن كان قد كتب في المكتوب إجازة الأرض، والمساقاة على الشجر، فالمقصود الذي اتفقا عليه هو الضمان المذكور..".

٤ – ويتحدث عن أمر مهم يشكو منهم كثير من الناس في هذا الزمان.. وربما في كل زمان، يقول في (ص: ٣٩٣):

"اختلط في هذه الأموال السلطانية الحق والباطل، فأقوام كثيرون من ذوي الحاجات والدين والعلم لا يُعطى أحدهم كفايته، ويتمزق جوعًا وهو لا يسأل، ومن يعرفه فليس عنده ما يعطيه، وأقوام كثيرة يأكلون أموال الناس بالباطل، ويصدّون عن سبيل الله، وقوم لهم رواتب أضعاف حاجاتهم، وقوم لهم رواتب مع غناهم عنها، وقوم ينالون جهات كمساجد وغيرها فيأخذون معلومًا ويستنيبون من يعطونه شيئًا يسيرًا، وأقوام في الرُّبُط والزوايا يأخذون ما لا يستحقون، ويأخذون فوق حقهم، ويمنعون من هم أحق منهم، وهذا موجود في مواضع كثيرة، لا ينازع في وقوعه أحد...".

خامسًا: الناحية الإدارية:

١ – (ص: ٣٣٥):

الأمراء الذين يستدينون ما يحتاجون إليه، ويكتب الأمير خَطَّهُ لصاحبه، أو يقيده وكيله أو نائبه في دفتره، أو يقرض دراهم – وكل ذلك بغير حجج ولا إشهاد ثم يموت – فكل ما وجد

بخط الأمير أو أخبر به كاتبه أو وكيله في ذلك مثل أستاذ داره، فإنه يجب العمل بذلك؛ لأن خطه كلفظه.

٢ - ويظهر أن بعض المحاكم في ذلك الوقت، كانت تعتمد أحيانًا في تنفيذ بعض الإجراءات على شهود معروفين من قبل القضاة أو الموظفين، وكان بعض هؤلاء الشهود يأخذون راتبًا على ذلك، يقول المؤلف في (ص: ٣٩٤):

"وإن رأى الإمام أن يقيم بينة، فلا خلاف أنه لا يجب أن تكون البينة من الشهود المعدَّلين، فإن شهادة هؤلاء المعدَّلين تُرَدُّ، وإن لم يُرزقوا على أداء الشهادة، فكيف إذا أخذوا عليها رزقًا؟ لا سيما مع العلم بكثرة من يشهد منهم بالزور؛ ولهذا كانت العادة أن الشهود المرتزقة بالشهادة بالشام لا يشهدون في الاجتهاديات، كالإعسار والرشد والعدالة والأهلية والاستحقاق ونحو ذلك، بل يشهدون بالحسيات كالذي سمعوه أو رأوه، فإن الشهادة بالاجتهاديات يدخلها التأويل والتهم، فالجُعل سهّل عليهم الشهادة فيها بغير تحرٍّ، بخلاف الحسيات، فالزيادة فيها كذب صريح لا يقدم عليه إلا من يقدم على صريح الزور".

سادسًا: المصطلحات:

١ - قطع مصانعة:

"ولو أعطى الرجل شاعرًا لئلا يكذب عليه بهجوٍ أو غيره لئلا يقول في عرضه ما يحرم عليه، كان بذله لذلك جائزًا، وأما أخذ الشاعر ذلك لئلا يظلمه فحرام؛ لأنه يجب عليه ترك ظلمه، وترك الكذب عليه بلا عوض، فإذا لم يتركه إلا بمال كان حرامًا، تسميه العامة: قطع مصانعة" (ص: ٣٠٦).

ويتعرض في مكان آخر إلى ما يشبه هذا، وهي قضية فقهية اجتماعية، جدد موضوعها أكثر من مرة بين العلماء، ويظهر أن تجديدها تبع لفساد الحكام والموظفين، وهي قضية الرشوة.

يقول المؤلف في (ص: ٤٤٤):

"وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن السُّحْت، فقال: "هو أن تشفع لأخيك شفاعة بشفاعة، فيهدي لك هدية فتقبلها، قيل له: أرأيت لو كانت هدية في باطل؟ فقال: ذلك كفر {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [سورة المائدة: ٤٥]".

ولهذا قال العلماء: إن من أهدى هدية لولي الأمر ليفعل معه ما لا يجوز، كان حرامًا على المهدي والمهدى إليه، وهي من الرشوة.

فأما إذا أهدى له هدية ليكفّ ظلمه عنه، أو ليعطيه حقه الواجب، فهذه الهدية تكون حرامًا على الآخذ، وجاز للدافع أن يدفعها، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إني لأعطي أحدهم العطية فيخرج بها يتأبطها نارًا"، قيل: يا رسول الله، فلم تعطيهم؟ قال: "يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل".

٢ - ويشير إلى عدم جواز مناداة النصراني الذي زار بيت المقدس بـ (يا حاج)، وأن قائل ذلك يعاقب عقوبة بليغة (ص٥٠٧ - ٥٠٨)؛ لأن فيه تشبيه القاصدين للكنائس بالقاصدين لبيت الله الحرام.

ثم يقول في (ص: ٥٠٩):

"لكن إذا سمي حجًّا مقيدًا بقيد يخرجه عن شبهة المشروع، مثل أن يقال: حج النصارى، وحج أهل البدع، وحج الضالين، كما يقال: صوم النصارى، وصوم اليهود... فهو جائز؛ ليميز بذلك بين الحق المأمور به، والباطل المنهي عنه".

٣ - الشريف:

هذه الكلمة كان يقصد بها من ينتسب إلى آل البيت، وفي بعض المناطق من بلاد الشام - اليوم - يقال لبعضهم: (سيد).

يقول ابن تيمية (ص: ٥٦٥):

"... لكن لما كان أهل البيت أحق من أهل البيوت الأخرى بالشرف، صار من كان من أهل البيت يسمى شريفًا، فأهل العراق لا يسمون شريفًا إلا من كان من بني العباس، وكثير من أهل الشام وغيرهم لا يسمون شريفًا إلا من كان علويًّا [أي: من آل علي]".

كلمات مضيئة:

أثناء مراجعتي لهذا الكتاب النفيس، كنت أمرُّ بموضوعات مهمة، ذات محتوى قيم، وعولجت معالجة ممتازة.. وكثير من موضوعاتها تهمُّ جانبًا كبيرًا من فئات المجتمع، ينبغي الوقوف عليها،

وإعطاؤها حقها من التنبيه والبيان؛ لما عضّد لها المؤلف من شواهد قوية، وعالجها بأسلوب علمي سهل...

ولكن ليس هنا محل إيرادها كلها.. بل لم أرد أن أحرم القارئ من بعض كلمات مضيئة، رأيتها تتلألأ - كالجمان - بين صفحات هذا الكتاب، فيها الحكمة، والعبرة، والتذكير، والتنبيه.. وبعضها كلمات موجزة لمعانٍ وأحكام شرعية.. أحببت نقلها للقارئ لتعميم الفائدة:

"وبالجملة، المسجد يصان عن القذاة التي تقع في العين" (ص: ٢٠).

"القراءة في الركوع [أي: قراءة القرآن] تكره؛ تعظيمًا وتشريفًا أن يقرأ بالقرآن في حال الخضوع والذل" (ص: ٨٩).

"وما يحصل عند الذكر المشروع من البكاء ووجل القلب، واقشعرار الجسوم، فمن أفضل الأحوال التي نطق بها الكتاب، أما الاضطراب الشديد والغَشْيُ والصيحان، فإن كان صاحبه لم يعلم ما هو عليه لم يُلَمْ، وسببه قوة الوارد مع ضعف القلب، والقوة والتمكن أفضل، كما هو حال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأما السكون قسوة وجفاء، فهذا مذموم" (ص: ٩٣).

"من تعلَّق قلبه بمخلوق، فالمخلوق عاجز إن لم يجعله الله فاعلاً لذلك" (ص: ١٣٤).

"والله ينزل بعبده المؤمن من الشدة والضرّ ما يلجئه إلى توحيده، فيدعوه مخلصًا له الدين، ولا يرجو أحدًا سواه، ويتعلق قلبه به وحده، فيحصل له من التوكل والإنابة، وحلاوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشرك - ما هو أعظم نعمة من زوال ضره" (ص: ١٣٤).

"ومن الناس من يزهد طلبًا للراحة من تعب الدنيا، أو من مساءلة أهلها، والسلامة من أذاهم، أو لطلب الرئاسة، إلى أمثال هذه الأنواع التي لم يأمر الله بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم، وأما ما أمر الله به ورسوله، فهو أن يزهد فيما لا يحبه الله ورسوله، ويرغب فيما يحبه الله ورسوله، فيكون زهده عما لم يأمر الله به أمر إيجاب أو استحباب، سواء كان محرمًا أو مكروهًا أو مباحًا، ويكون مع ذلك مقبلاً على ما أمر الله به، ولا يترك المكروه بدون فعل المحبوب" (ص: ١٤٠).

"وإذا تزوجت لم يجب عليها طاعة أبيها ولا أمها في فراق زوجها، ولا في زيارتهم ونحو ذلك، بل الواجب عليها طاعة زوجها إذا لم يأمرها بمعصية، وطاعته أحق من طاعتهما، "وأيما امرأة ماتت وزوجها راضٍ عنها، دخلت الجنة"، وإذا أرادت الأم التفريق بين ابنتها وزوجها، فهي من جنس هاروت وماروت، لا طاعة لها ولو دعت عليها، اللهم إلا أن يكونا مجتمعين على معصية الله" (ص: ٣٢٢).

"ومن كان رسولاً، فقد اجتمعت فيه ثلاثة أصناف: الرسالة، النبوة، والولاية، ومن كان وليًّا فقط، لم يكن فيه إلا صفة واحدة، ومن كان لكتاب الله أتبع، فهو بولاية الله أحق" (ص: ٥٦٠).

"من الناس من ينكر بعض الأمور دون بعض، فيكون في قلبه إيمان ونفاق، كما ذكر ذلك من ذكره من السلف، حيث قالوا: "القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فهو قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق، وقلب فيه مادتان: مادة تمده بالإيمان، ومادة تمده بالنفاق، فذلك خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا" (ص: ٥٨٢).

"ومن كان عالما بما أمر الله تعالى به وما نهى عنه، فهو عالم بالشريعة، ومن لم يكن عالما بذلك فهو جاهل من أجهل الناس" (ص: ٥٨٨).

"السُّكر هو الطرب الذي يورث لذة بلا عقل، فلا تقوم منفعة تلك اللذة بما يحصل من غيبة العقل الذي صدته عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة، وأورثته العداوة والبغضاء" (ص: ٥٩٦).

"قال أبو سليمان الداراني: إنه ليمرُّ بقلبي النكت من نكت القوم، فلا أقبلها إلا بشاهدَي عدل: الكتاب والسنة" (ص: ٥٩٧).

"المرابطة في سبيل الله تعالى أفضل من الإقامة بمكة والمدينة، ما أعلم في ذلك خلافًا" (ص: ٦٠٠).

"كسب المغني خبيث باتفاق الأئمة، والمغني خارج عن العدالة" (ص: ٦١١).

"الناس أربعة: منهم من ينتصر لنفسه ولربه، وهو الذي فيه دين وغضب لله، ومنهم من لا ينتصر لنفسه ولا لربه، وهو الذي فيه جبن وضعف دين، ومنهم من ينتقم لنفسه لا لربه،

وهو شر الأقسام، وأما الكامل، فهو الذي ينتصر لحق الله، ويعفو عن حق نفسه عند المقدرة" (ص: ٣٣٨).

يقول عن سماع الأصوات المطربة من المغنين والمغنيات: "ولم يأذن الله - تبارك وتعالى - لنا أن نمتع قلوبنا بما يكون سببًا لزوال عقولنا، بخلاف من زال عقله بسبب مشروع، أو بأمر صادفه لا حيلة له فيه" (ص: ٥٧١).

"ومن ظن أنه يعرف الأحكام من الكتاب والسنة بدون معرفته بما قال هؤلاء الأئمة وأمثالهم [يقصد الأئمة الأربعة والمجتهدين المشهورين] فهو غالط مخطئ" (ص: ٥٥٦).

ولا أعرف أن ابن تيمية يعمد إلى نظم الشعر، ولو كان إجابة على بيت فيه سؤال تقليدي في فتوى ونحوها، كما أنه لا يستشهد بالشعر إلا نادرًا، ولكني رأيت له بيتين في هذا الكتاب، أجاب فيه على سؤال ورد إليه من امرأة في كتاب النكاح (ص: ٤٠٦):

جدتي أمي وأبي جَدُّه = وأنا عمة له وهو خالي

أفتنا يا إمام يرحمك الل = ـه ويكفيك حادثات الليالي

فأجاب ابن تيمية:

رجلٌ زوج ابنه أم بنت = وأتى البنت بالنكاح الحلال

فأتت منه بالتي قالت الشعـ = ـر وقالت لابن هاتيك: خالي

ثم شرح قوله في الصفحة التالية.

(نشر في مجلة "التوباد" بالرياض ع ٢ - ٣ (رجب ١٤٠٨ هـ))

لا أعرف أن هناك مَن خصَّ "جريمة الانتحار" بكتاب مُستقِل يُعالِجه من ناحية إسلامية غير هذا الكتاب، الذي يَصدُر بعنوان "قمع الأشرار عن جريمة الانتحار" على الرغم من خطورة هذه الجريمة، وانتشارها في بلاد إسلامية، من بينها الجمهورية التركية، التي ضربت في ذلك رقمًا قياسيًّا في إحدى السنوات الماضية، بعد أن كانت هذه الأرقام خاصة بالدول الغربية والولايات الأمريكية.

وليس أبشع مَن أن نسمع أن هناك دولاً لم تَعُدْ تضع الانتحار في قائمة "الجرائم"، بل اعتبرته من قبيل "الحرية الشخصية"، وليس هذا ببعيد من أمثال دول تعتبر الشذوذ الجنسي مرخَّصًا به، بل يحميه القانون، ويُبارِكه البرلمان!

والخبر الذي قرأته أن إيرلندا لم تَعُد تعتبر الانتحار فيها جريمة، هذا ما نصَّ عليه مشروع القانون الذي أعدته الحكومة وأقرَّه البرلمان، وكان يُعتبر جريمة منذ عام ١٩٣٦م، فكان الشخص "المنتحِر" في حال نجاته، يُعاقَب بالسجن والغرامة[٦٥].

وقد جاء في التقرير السنوي لمنظمة الصحة العالمية أن هناك مليون شخص يَلقَون حتْفهم سنويًّا نتيجة تعرُّضهم لعلميات القتل أو الانتحار بمحض إرادتهم.

وفي المجر تَمَّ تسجيل أكبر عدد للمنتحرين، وهو (٣٨) شخصًا من كل ألف مواطن![٦٦]

والانتحار مُنتشِر بين الصغار والكبار!

ويرى الدكتور "ديريك ميلر" - رئيس برنامج المراهقة في معهد الصحة العقلية التابع لمستشفى "نورثويسترن" التذكاري الأمريكي - أن الاستخفاف بحالات الاكتئاب لدى الأطفال هو أخطر ما في الأمر، فالكبار لا يتصوَّرون أن الطفل الصغير قد يُقدِم على الانتحار، لكن الواقع هو غير ذلك، وعدد حالات الانتحار بين الأطفال يَصِل إلى ثلاثة أضعاف المعدَّل الذي يتصوَّره الكبار بالنسبة لأطفالهم[٦٧].

وبالنسبة للكبار - مثلاً - فإن عمليات الانتحار تنتشر بين اليابانيين المسنين، أو الذين تزيد أعمارهم على الخمسين عامًا؛ لأن المصانع اليابانية تتبع غالبًا سياسة تطهير أجهزتها من العمال

---

(٦٥) رأي الشعب (جريدة أسبوعية تَصدُر في مصر) ع ١٧٦ (١٩/٣/١٤١٤هـ).

(٦٦) المصدر السابق ع ١٨٧ (٨/٦/١٤١٤هـ).

(٦٧) الأسبوع العربي ع ١٢٦١ (١٢/١٢/١٩٨٣م).

المسنين بإحالتهم إلى التقاعد القسري؛ مما يدفع هؤلاء المساكين إلى الانتحار![٦٨]

***

ونعود للكتاب الذي نحن بصدده، فإن مؤلفه أحد العلماء الكبار، ومن المحدِّثين المشهورين في هذا العصر، توفي سنة ١٤١٣هـ بعد أن قدَّم للمكتبة الإسلامية أكثر من مائة كتاب في موضوعات إسلامية مختلفة، إنه الشيخ الجليل عبدالله بن محمد الصديق الغماري الحسني.

وكتابه هذا ألَّفه سنة ١٣٥٣هـ، وكان الدافع له على تأليفه هو ما رأى من حوادث الانتحار التي "شاعت في البلاد المصرية شيوعًا عظيمًا، بين الكهول والشبان من مختلف الطبقات، وفشا فيهم استحسان ذلك، حتى صار أكثرهم يَعُد مَن قتل نفسه شهمًا شجاعًا"!

وذكر في الهامش من المقدِّمة أن السَّنة التي ألَّف فيها هذا الكتاب كانت سنة كَثُر فيها المنتحرون بشكل فظيع، "فلم يكن يمر علينا يوم دون أن نقرأ في الجرائد أو نسمع من الناس خبر شاب انتحر لرسوبه في الامتحان، أو كهل ضاقت ذات يده، أو مريض استعصى مرضه، أو عاشق أخفق في عشقِه، أو بنت أحرقت نفسها لأن أهلها زوَّجوها ممن لا تحبه، أو امرأة لأن زوجها تزوَّج عليها، أو نحو ذلك من مختلف الأسباب".

والطبعةُ الثانية للكتاب صدَرتْ في آخر كتاب المؤلف "الأربعين الغمارية في شكر النِّعم"، الذي يبدو أن صدوره كان سنة ١٣٦٠هـ، ويقع الكتاب المعروض في (٤٠) ص.

وقد وزَّع موضوعاتِه على بابين وخاتمة.

بيَّن في الباب الأول حُكْم الانتحار، وما جاء في الوعيد في فعله.

وقد بدأه بقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [النساء: ٢٩، ٣٠]، وذكر أن هذه الآية تنهى عن قتْلِ الإنسان نفسه، كما أوَّلها عمرو بن العاص – رضي الله عنه – بمسمع من النبي – صلى الله عليه وسلم – فأقرَّه، وذلك عندما تيمَّم في ليلة شديدة البرد بدل أن يَغتسِل من الجنابة، وصلى بأصحابه بالتيمم.

ثم أورد الحديثَ الذي خرَّجه البخاري وغيره: ((الذي يَخنُق نفسَه يخنقها في النار، والذي يطعنها يطعنها في النار))، وعند البيهقي في شُعَب الإيمان زيادة: ((والذي يقتحم يقتحم في النار))، والاقتحام: أن يرمي الشخص بنفسه في الأمر من غير رويَّة، يقال: اقتحم عقبة أو حفرة؛ أي: رمى بنفسه فيها وتقحَّمها.

(٦٨) مجلة الفيصل (١٤٠٤/٧/٢٣هـ) ص٣٧.

وللقارئ أن يتصوَّر كثرة ما يُشاهِده من هذا التهوُّر!

ثم أورد حديثَ البخاري ومسلم وغيرهما: ((مَن تردى من جبلٍ فقتل نفسه، فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه، فسُمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومَن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجَّأ بها في بطنه في نار جنهم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا))، وتفسيرُه حديثٌ آخر أورده للشيخين، هو قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((مَن قتل نفسه بشيء في الدنيا، عُذِّب به يوم القيامة)).

ثم أورد الحديثَ الصحيح الذي ذُكر فيه ذلك "البطل" الذي أُعجب به الصحابة أيَّما إعجاب؛ لفتْكه الشديد بالمشركين، لكن قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((أمَا إنه من أهل النار))، ثم تبيَّن أنه جُرِح جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، وقتل نفسه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند ذلك: ((إن الرجل ليعمل عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عملَ أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)).

وهذا شاهد قد يفيد الفقهاء فيما يَعرِض لهم من أسئلة حول المريض الذي أُيس من شفائه، حيث أورد لفظ البخاري، من قوله - صلى الله عليه وسلم -: ((كان فيمن قبلكم رجل به جُرْح، فجزع، فأخذ سكينًا، فحزَّ بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله - عز وجل -: بادرني عبدي بنفسه، حرَّمتُ عليه الجنة)).

قال المؤلف: "صريح ما تقدَّم من الأحاديث يقتضي أن الانتحار كبيرة، بل من أكبر الكبائر؛ لأن ما اشتملت عليه تلك الأحاديث من الوعيد، مثل التخليد في النار، وتحريم الجنة، ما ورد إلا في معاصٍ قليلة، عدَّها العلماء بسببه من أكبر الكبائر، فعدُّها هذا منها واضح، واقتصر جماعة من العلماء على عدِّه كبيرة كبيرة... والمعنى في ذلك ما ذكره التقيُّ ابن العيد أن نفْس الإنسان ليست مِلْكًا له؛ وإنما هي مِلْك لله تعالى؛ فلا يتصرَّف فيها إلا بما أذِن الله، ا.هـ، ولِما فيه أيضًا من الجزع والتسخط لقضاء الله، واليأس من رَوحه ورحمته؛ لأن الشخص لا يُقدِم على قتْل نفسه إلا إذا نزلت به مصيبة، فيطيش لها عقله، وينسى أن ما نزل به أمر قدَّره الله وقضاه، وأنه إن صبر فرَّج الله عنه، كما جاء بذلك القرآن والحديث، فتُظلِم عليه الدنيا حينئذٍ، ويستولي عليه الجَزَعُ واليأس، فلا يجد عند ذلك مخلِّصًا إلا قتْل نفسه، يرى بذلك أنه أراحها، ولا يدري أنه بفعله قدَّمها لعذاب دائم مستمر لا يَفتُر عنه طرفة عين، إلا أن يتداركه الله بلطفه ورحمته".

ثم يُورِد إشكالاً، وهو مَن استحق عقوبة القتل، فقام هو بقتل نفسه، كزانٍ مُحصَن، أو قاتلِ نفسٍ بغير حق، فهل يجوز له أن يفعل ذلك؟

رجَّح المؤلف رأي ابن حجر الهيتمي أن قتْل المهدر لنفسه كبيرة أيضًا؛ لأن الإنسان وإن أُهدِر دمه، لا يُباح له هو إراقته، بل لو أراقه لا يكون كفارة له.

وكان موضوع الباب الثاني في حُكم الصلاة على قاتل نفسه، فقال عمر بن عبدالعزيز والأوزاعي وأبو يوسف: لا يصلي عليه الإمام ولا غيره.

وقال الإمام أحمد: لا يصلي عليه الإمام، ويصلي عليه بقية الناس، واستدلَّ بما رواه مسلم والأربعة: "أُتي النبي – صلى الله عليه وسلم – برجل قتل نفسَه بمشاقص له، فلم يصلِّ عليه".

وقال جماهير العلماء: يصلي عليه الإمام وغيره... وأورد آثارًا عدة في ذلك، وقال: "فهذه الآثار الصحيحة تنقُل إجماعَ العلماء من الصحابة والتابعين على أن مرتكِب الكبيرة يصلَّى عليه، ودليله من جِهة المعنى أن الصلاة على الميت شفاعة له، والعاصي أشدُّ الناس احتياجًا إليها، فكيف نمنعها عنه؟ أما حديث جابر بن سمرة – السابق – فقد أجاب عنه العلماء بأن ذلك كان للتأديب وزجْر الناس عن مِثل فعله، كما قال النووي، وأضاف: وصلَّت عليه الصحابة، وهذا كما ترَك النبي – صلى الله عليه وسلم – الصلاة في أول الأمر على مَن عليه دَين؛ زجرًا لهم عن التساهل في الاستدانة ومن إهمال وفائه، وأمر أصحابه بالصلاة عليه، ومن ثَمَّ أخذ المالكية أنه ينبغي لأهل الفضل والصلاح أن يَجتنِبوا الصلاة على الفسَّاق؛ زجرًا وتأديبًا".

أما الخاتمة، فكانت في النهي عن تمنِّي الموت والدعاء به، إلا إذا خاف أن يُفتَن في دينه، وأورد في ذلك عدة أحاديث، منها ما ورد فيه الصحيحين: ((لا يَتمنَّ أحدُكم الموتَ، ولا يَدْعُ به قبل أن يأتيه؛ إما مُحسِنًا فعله يزداد، وإما مسيئًا فلعله يَستعتِب)).

قال المؤلف: "هذا النهي مقيَّد بما إذا لم يَخف الإنسان فتنة في دينه، كما قاله غير واحد من العلماء، فأما إذا خاف ذلك، فيجوز له حينئذٍ تمنِّي الموت والدعاء به، ففي القرآن العظيم حكاية عن مريم لما جاءها المخاض: {يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم: ٢٣]؛ لعِلمها أن الناس سيتَّهِمونها ويرتابون في أمرها إذا رأوها تحمل مولودًا من غير أن تكون ذات زوجٍ، وقد حصل منهم ذلك كما قصه الله في كتابه.

وجاء في الموطأ عن عمر – رضي الله عنه – أنه قال: اللهم كَبِرت سِني، وضعُفت قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيِّع ولا مُفرِّط، فعمر – رضي الله عنه – بسط عُذرَه في هذا الدعاء، وهو كِبَر سِنه وضعْف قوَّته، وهما مظنَّة التفريط في حقوق الله وحقوق الناس، وذلك ما لا يرضاه عمر، ولا يَخطُر له على بال".

ثم أورد أحاديثَ، منها الدعاء الذي رواه الترمذي: ((وإذا أردت بعبادك فتنةً، فاقبضني إليك

غير مفتون))، قال المؤلف مُعلِّقًا على هذا الدعاء، وهو آخر ما أورده في كتابه:

"هذا الدعاء بالموت مقيَّد بحالة الفتنة مخافة أن تُصيب الداعي في دينه، وهو أعز شيء لديه؛ فلذلك أجازه الشارع، أما إقدام الشخص على التخلص من الحياة بقتل نفسه كما يفعل كثير من الجهلة، فلا يجوز في حال من الأحوال أبدًا، بل هو كبيرة كسائر الكبائر العظيمة، ويزيد عليها بأمر آخر، وهو أن جميع المعاصي كالزنا والربا والخمر قد يَمُن الله على مرتكبها بالتوبة والإنابة، فيأتيه أجله وهو تائب مُبتعِد عنها، أما الانتحار، فإن فاعله يموت متلبِّسًا به غير تائب؛ لأنه سبب موته، وتلك ميتة سوء، نعوذ بالله منها ومن كل بليَّة".

مآخذ على الكتاب:

إذا عرفنا أنه قد مرَّ على تأليف هذا الكتاب أكثر من سبعين عامًا، أدركنا أن مؤلفه كان يومها شابًّا، في بداية اهتمامه بالتصنيف، ومع ذلك فقد غطَّى جوانب عديدة وعميقة في الموضوع، ويكفي أنه جمع المادة المطلوبة من عدة مصادر، ولم يذكر أي تصنيف أفرد لهذا الموضوع سابقًا.

مما يوجَّه من نقد إلى الكتاب:

١- أن مادة الكتاب ومنهجه وأسلوبه موجَّه فيه إلى العلماء، أو طلبة العلم الإسلاميين، وليس إلى مجتمع الشباب، أو مَن يُعتقَد أن هذه الجريمة تنتشر بينهم.

أ- فأول ما تقع عليه عين المرء في الكتاب هو سَندان طويلان يَصلان من المؤلف - وهو في القرن الرابع عشر الهجري - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان بالإمكان رواية الحديث بدون ذِكْر السند، كما فعل في أحاديث أخرى كثيرة أوردها.

ب- كثرة الروايات والتخريجات.. والآراء، وكان بالإمكان الاقتصار على ما هو راجح.

٢- كثرة الحواشي التي لا علاقة لها بالموضوع.

أ- منها الرد الطويل على المعتزلة في دعواهم أن مرتكِب الكبيرة يُخلَّد في النار، فكتب في الهامش هذا الرد من ص٧٢ إلى ٧٨.

ب- كما خصَّص حاشية طويلة لمعنى القضاء والقدر والفرق بينهما من ص ٨١ إلى ٨٦.

ج- وتحدَّث عن أشراط الساعة في هامش آخر طويل من ص٩٣ إلى ٩٩، وهي آخر الكتاب!

٣- لم يتطرَّق المؤلفُ إلى عقوبة مَن حاوَل الانتحار فنجا منه، في الفقه الإسلامي، وهو مهم

جدًّا.

٤- أوصي العلماءَ والباحثين بالاهتمام بهذه الجريمة التي تُعد من الكبائر العظيمة، للكتابة فيها من جديد بأسلوب ملائم، ويمكن الاستفادة من هذا الكتاب[٦٩].

(٦٩) أصله مقال لم يُنشر، كتبته قبل عام ١٤١٥ هـ تقريبًا. رأيته في كتابي (كتب هادفة إسلامية نافعة).

(م)

تاج التراجم
بين المطبوع والمخطوط

مقدمة

تاج التراجم لابن قطلوبغا (ت٨٧٩هـ) من أوائل كتب التراجم التي طبعت، فقد صدر في "ليبزك" سنة ١٢٧٩هـ، وتضمن ملحوظات باللغة الألمانية لغوستاف فلوجل.. ولم أر هذه الطبعة.

ثم طبعته مكتبة المثنى ببغداد – بدون تحقيق – عام ١٣٨٢هـ، ويقع في ١٣٤ص مع الفهارس، وذكر ناشره أنه رجع في طبعته إلى ثلاث نسخ خطية منه، وإلى طبعة المستشرق فلوجل.. إلا أنه لا توجد سوى خمسة هوامش في الكتاب كله!

وصورته عن طبعة بغداد مكتبة سعيد كمبني في كراتشي، الذي صدر عام ١٤٠١هـ، ويقع في ١٣٠ص.

وإذا كانت طبعة بغداد اعتمدت على النسخة التي أخرجها المستشرق فلوجل، إضافة إلى نسخ خطية أخرى، فهذا يعني أن التثبت من المعلومات الواردة في الكتاب، والاستدراك على ما فات المستشرق وارد.

والمهم في الأمر أن المقارنة في هذا البحث هي بين النسخة الأصلية – مع نسخ مخطوطة أخرى – وبين طبعة بغداد، التي لا تجد لها أثرًا الآن كذلك؛ لنفادها.

هدف البحث:

وكان الدافع وراء إخراج هذا البحث عدة أمور:

(١) فقد أنهيت تحقيق الكتاب المذكور – ولله الحمد والمنة – بالاعتماد على خمس نسخ مخطوطة، من بينها النسخة الأصلية بقلم المؤلف نفسه.. بعد تنقيحات وزيادات من المؤلف في النشرة الثانية للكتاب.. لكنني لم أثبت الاختلافات بين النسخ في الكتاب المحقق إلا نادرًا؛ نظرًا لوجود الأصل الذي يقطع دابر كل خلاف بينها.. ولكني أثبتها جميعًا في المسودة حتى أصل إلى النص الصحيح المحقق الكامل؛ نظرًا لأن نسخة المؤلف رديئة الخط، وقد تداخلت فيها الكلمات والجمل والتراجم نفسها بعد عودة المؤلف إليها للمرة الثانية.. وقد قدمت للكتاب مقدمة طويلة تحدثت فيها

بالتفصيل عن نسخة المؤلف والنسخ المخطوطة الأخرى، وأوردت ما تبدى لي من ملاحظات؛ فلا حاجة للتّكرار هنا.

أقول: إن الدافع **الأول** وراء هذا البحث هو إثبات الفارق بين الكتاب المطبوع وبين النص الصحيح كما ورد في الأصل، وبيان ما أصاب الكتاب من تشويه.. وبقي متداولاً هكذا طوال السنوات الماضية، وبما أنني لم أثبت هذه الفوارق في الكتاب المحقق، ولم أشر إلى الأخطاء الواردة في الكتاب المطبوع؛ وذلك لأن المهم هو إثبات النص الصحيح كما ورد في الأصل، ولأن إثبات هذه الفوارق سيضاعف من حجم التحقيق دون فائدة تذكر؛ لهذا أحببت إفراده في بحث خاص هنا لما ذكرت.

(٢) الأمر الثاني هو التذكير بأن هذا الكتاب ما هو إلا مثال لكتب تراثية عديدة غير محققة، منتشرة في المكتبات التجارية وغير التجارية، يعتمد عليها في بحوث علمية.. بينما ترى الأخطاء مستشرية فيها.. كما في هذا الكتاب.

ومما يؤسف له حقًّا أن يكتب الانتشار لكتب غير محققة – نظرًا لوجودها بكثرة، ولرخص أسعارها – بينما المحقق من الكتاب نفسه لا يلاقي هذا الرواج، بل لا تكاد تجده أحيانًا في الأسواق، وأضرب مثالاً على ذلك "تفسير القرآن العظيم" لابن كثير الدمشقي، الذي تم تحقيقه منذ أكثر من عشرين سنة، وصدر في القاهرة في ثمانية مجلدات، ولا تجده في المكتبات، بل لم يسمع به كثير من الباحثين، أما التفسير غير المحقق، فلا تكاد تخلو منه مكتبة!

ومما يضاعف هذا الأسف أنك لا تجد مكتبة تقبل نشر كتاب محقق إذا كان له مثيل غير محقق يباع في المكتبات؛ بحجة أنه متوافر وبرخص!

إنها مشكلة حقًّا.. ومشكلة كبيرة.

(٣) الأمر الثالث هو الاستجابة لرغبة رئيس التحرير يحيى محمود ساعاتي، الذي كان يود إثبات الفارق بين النص الأصلي والكتاب المطبوع؛ حتى يتضح التشويه الذي أصابه.. وبضدها تتميز الأشياء.

وبما أنني لم أثبت ذلك في الكتاب المحقق – لقناعة شخصية ذكرتها فيما سبق – فقد آثرت أن ينشر في بحث مستقل في مجلة "عالم الكتب"؛ لتتحقق منه الفائدة المرجوة بإذن الله.

(٤) وأخيرًا وعلى صفحات هذه المجلة المتخصصة أذكِّر بما قلته في مقدمة الكتاب، وهو أن المؤلف من حفاظ الحديث، وكان من الأذكياء الذين يشار إليهم بالبنان، وإليه انتهت رئاسة

المذهب الحنفي في عصره، وقد أوردت قائمة بمؤلفاته بلغت مائة وستة عشر كتابًا، إلا أنه لم يطبع من مجموع هذه الكتب سوى ستة فقط، وقدمت رسالة جامعية واحدة في تحقيق كتاب له.

أفلا يستحق هذا العالم الجليل لفتة من طلاب العلم والباحثين في مراكزهم المختلفة لإحياء تراثه، واستخراج مكنون علمه؟

اللهم قيِّض لأهل العلم من يهتم بهم ويعرف قدرهم.

منهج المقارنة (المقابلة):

الكتاب المطبوع يقع في (٩٣) ص فقط - دون الفهارس.

وفي هذه الصفحات القليلة يكمن كم هائل من الأخطاء.. التي أخذت فيه كل صفحة سبعة أخطاء - نسبيًّا.

ولا أدري كيف يطمئن القارئ إلى هذا الكتاب الذي لا يدري في أية كلمة أو في أية جملة أو في أي سطر يكمن الخطأ؟ ولا يدري هل العبارة التي نقلها أو التي اعتمد عليها صحيحة أم لا؟!

ومما يلاحظ في الكتاب المطبوع ورود كلمات كثيرة حسب الإملاء القديم الذي انتهى أمره منذ زمن.. فلا أدري كيف رضي الناشر أو المصحح إثباتها؟

وهذا نموذج لما ذكرت، والتي لم أثبتها وأمثالها في هذا البحث:

ثلث (أي: ثلاث)، وهكذا: ثلثين (ثلاثين)، ومسئلة (بدل: مسألة)، الوقايع، رياسة، شايع، أبو القسم (أبو القاسم)، اللولوي (اللؤلؤي)، وأحيانًا: بخارا (بخارى)، والصلوة (الصلاة)، وحيوة (حياة)، ومعوية (معاوية)، وإسمعيل (إسماعيل)... إلخ.

وأذكر هنا أنني لم أهتم بمقارنة النسخ إلا إذا كان هناك تعارض بين الأصل والمطبوع.. عند ذلك أورد الخلافات بين النسخ الخمس، أما المقارنة بين النسخ الأخرى في خلافاتها عندما لا يكون هناك تعارض بين الأصل والمطبوع، فلم آبه بها.

وإذا اختلفت النسخ ولم يكن ما في الأصل واضحًا أو أنه عرف وجه الخطأ في الأصل - وهو نادر - فلم أتحقق في الأمر هنا ولم أذكر وجهه الصحيح؛ لأن هذا الأمر توليته في الكتاب عند تحقيقه.

نتيجة البحث:

وتتلخص نتائج المقارنة بين الكتاب المطبوع والنسخة المخطوطة الأصلية بقلم مؤلفه، فيما يلي:

أ – لم تخل صفحة واحدة من الكتاب المطبوع من أخطاء، من أوله حتى آخره، وقد توزعت هذه الأخطاء في أكثر من خمسمائة وخمسين موضعًا.. تتراوح بين أخطاء في الأسماء والكنى والألقاب، زيادة كلمات أو جمل لم ترد في الأصل، تصحيفات، أخطاء في سنوات الميلاد والوفاة، سقط في مواضع كثيرة، أخطاء نَحْوية وإملائية، تقديم وتأخير كلمات وجمل، تداخل تراجم في تراجم أخرى، التشويه وقلب المعاني.

كما يتفاوت حجم هذه الأخطاء من حرف، إلى كلمة، أو جملة، أو جمل، إلى صفحة كاملة.

ب – يضاف إلى ما سبق عدم ورود سبعين ترجمة في الكتاب المطبوع، إضافة إلى عشرة أسماء في الكنى والأنساب.. وقد أوردت ذلك كله في هذه المقارنة.

النسخ المخطوطة:

وأذكر هنا باختصار رموز النسخ وبعض بياناتها، ولمن يريد التفصيل الرجوع إلى مقدمة الكتاب المحقق.

النسخة (أ):

وهي نسخة المؤلف التي كتبها بخط يده، تقع في ٦٦ ورقة، في كل وجه ١٣ سطرًا ما عدا الإضافات الكثيرة، كتبت بخط معتاد، محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (٧٨ تاريخ).

النسخة (ب):

٥١ ورقة، في كل وجه ١٧ سطرًا، خطها نسخ، وهي النسخة التي كتبت في عصر المؤلف حيث نسخت عام ٨٦٦هـ، محفوظة في مكتبة تشستربتي رقم (٣٥٧٢).

النسخة (ج):

٥١ ورقة، ١٩ سطرًا في كل وجه، كتبت بخط فارسي جميل، نسخت عام ١٠٠٩هـ. محفوظة في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة (٧٤ تاريخ).

النسخة (د):

٣٥ ورقة، ٢٣ سطرًا في كل وجه، كتبت بخط نسخ جميل معتنى به، نسخت عام ١٠١٥هـ، محفوظة في مكتبة خدابخش رقم (٣٠٠١).

النسخة (و):

٥٦ ورقة، ٢٣ سطرًا في كل وجه، ما عدا الأوراق الثلاث عشرة الأولى، ففي كل وجه منها ١٧ سطرًا، خطها نسخ حسن، كتبت في القرن الثاني عشر الهجري تقديرًا، وهي ضمن مجموعة فيها ١٣ رسالة برقم (١٤٣٤) في مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض.

المقارنة:

عنوان الكتاب في المطبوع: "تاج التراجم في طبقات الحنفية".

أما مخطوطة الأصل، فلها غلافان كلاهما ليس بخط المؤلف؛ الأول كتب عليه: "تاج التراجم طبقات الحنفية"، وعلى الثاني: "تاج التراجم" فقط، وعلى غلاف النسخة (ب): "تاج التراجم"، وهو بدون غلاف في (ج)، وعنوانه في (د): "تذكرة العلماء الحنفية مصنفي الكتب الدينية"، وفي أعلى الزاوية اليمنى من الغلاف: "كتاب تراجم بعض الحنفية"، وعلى غلاف نسخة (و) التي تحوي مجموعة من الرسائل: "تراجم الأئمة الحنفية".

وأرى أن المعتمد هو العنوان الوارد على نسخة (ب) التي كتبت في عصر المؤلف، ما دام عنوان الأصل يعتبر مفقودًا، وقد حققت ذلك بالتفصيل في مقدمة الكتاب.

في مقدمة المؤلف وردت عبارة ثناء على المقريزي في قوله: "إمام العارفين، وبقية الحفاظ العارفين".

وهي كذلك في الأصل فقط، أما في سائر النسخ ومنها المطبوع، فهي: "إمام المؤرخين، وبقية الحفاظ العارفين"، وهذا الأخير أكثر دلالة، وأنسق عبارة.

ص ٣ من المقدمة: من يسمى به منهم. وفي (ب): من تسمى منهم، وفي (د): من سمي لي، وفي سائر النسخ ومنها الأصل: من تسمى به منهم.

ص ٣ الترجمة الأولى: إبراهيم بن سليمان الحموي المنطقي.

وهكذا وردت في سائر النسخ، ما عدا الأصل و(د) حيث ظهر بشكل واضح "المنطيقي". وورد هذا الخلاف في مصادر أخرى من ترجمته.

ص ٣: منطقيًّا. وهكذا في سائر النسخ، وفي الأصل: منطيقيًّا.

وفي آخر الترجمة الأولى من الصفحة السابقة: ".. متواضعًا رحمه الله".

وفي الأصل: ".. متواضعًا. انتهى. قلت: وممن تسمى بهذا".

وعبارة الأصل لم ترد في (ج). وفي ب د: وممن يسمى بهذا الاسم.

ص ٤: لعشرين من جمادى. وهو تصحيف من "لعشر بقين من جمادى" كما في الأصل. وفي (و): بعشر، وفي (ج): في يوم الأربع العشرين من جمادى.

ص٤: "سنة خمس وتسعين وستمائة"، وهي سنة وفاة إبراهيم بن عبدالرزاق الرسعني، وهذا في المطبوع فقط، أما في جميع النسخ المخطوطة، فهي "سنة خمس وسبعين وستمائة". وفي الجواهر المضية رقم ٢٩ كما هو في المطبوع، وكذلك في الطبقات السنية رقم ٤٩، وفي الأعلام أيضًا ١ / ٣٩ط٢.

ص٤: "ولي منصب قاضي القضاة".

وفي جميع النسخ: "ولي قاضي القضاة".

ص٤: ونظم الفوائد وشرحها.

هذا في المطبوع ونسخة (جـ). وفي سائرها بدون "وشرحها".

ص٤: سقط من ترجمة إبراهيم بن علي الطرسوسي من المطبوع ونسخة (جـ) ما يلي:

(وكتاب "رفع الكلفة عن الإخوان، فيما قدم فيه القياس على الاستحسان"، وكتاب "مناسك مطول" وكتاب "محظورات الإحرام"، وكتاب "الإشارات في ضبط المشكلات"، وكتاب "الإعلام في مصطلح الشهور والحكام"، وكتاب "الاختلافات الواقعة في المصنفات"، و"شرح الفوائد المنظومة").

ص٥: "سمع من أبي الحسن علي بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي البخاري".

هكذا في المطبوع وفي النسخة (جـ).

والصحيح كما في سائر النسخ: "... المقدسي الحنبلي، وابن البخاري". والمقصود بالأخير علي بن أحمد بن عبدالواحد المقدسي الصالحي الحنبلي، المعروف بالفخر بن البخاري، ت ٦٩٠هـ. كما في الطبقات السنية رقم ٥٦، وترجمته في العبر ٥ / ٣٦٨.

ص٥: أبو إسحاق الجذامي.

هكذا في المطبوع ونسخة (جـ). وفي الأصل وسائر النسخ: ".. الخدامي – بمعجمة ودال مهملة"، وقد أورده المؤلف في حرف الجيم – خطأ – في باب الأنساب والألقاب.

ص٥: كان من أجلة الفقهاء.

كلمة "أجلة" في الأصل غير واضحة، وفي د، و: جله، وفي ب جـ: جملة!

وفيمن اسمه إبراهيم لم ترد الترجمات التالية في المطبوع:

إبراهيم بن أحمد الموصلي.

إبراهيم بن أحمد البُصْروي.

إبراهيم بن يوسف.

إبراهيم بن محمد، ابن دقماق.

إبراهيم بن محمد المؤذن.

إبراهيم بن يحيى البُصْروي.

* * *

ص٦: وله أصحاب كثيرة ببخارى في زمن محمد بن إسماعيل البخاري.

في جميع النسخ:... كثير ببخارى. كان في زمن...

وسقطت "كان" من جـ أيضًا.

ص٦: فقد كفر وأحبط عمله.

في جميع النسخ:.. ويحبط عمله.

ص٦: سكن ببغداد.

في جميع النسخ: سكن بغداد.

ص٦: في ترجمة أحمد بن علي بن الساعاتي لم ترد العبارة التالية في آخر ترجمته من المطبوع وجـ وب: "وحررت وفاته سنة أربع وتسعين، ودفن عند الجنيد، رحمه الله تعالى".

ص٦: وسئل العمل بالقضاء فامتنع.

في جميع النسخ: وسئل بالقضاء فامتنع.

وفي الجواهر المضية ١ / ٢٢٠ والفوائد البهية ص٢٧: "خوطب في أن يلي القضاء فامتنع".

وفي الطبقات السنية ١ / ٤١٢: "وخوطب في أن يلي قضاء القضاة فامتنع".

ص٦: وشرح الجامع لمحمد بن الحسن.

هكذا في المطبوع، وفي ب، جـ.

وفي الأصل وسائر النسخ: "وشرح الجامع الصغير والجامع الكبير لمحمد بن الحسن".

ص٦: وله كتاب في أصول الفقه.

في جميع النسخ: وكتاب في أصول الفقه.

ص٦: زيادة ذكر كتاب للجصاص وردت في الأصل ونسخة و، وهو "كتاب مناسك". ولم ترد في سائر النسخ.

ص٧: أحمد بن عمرو، وقيل: ابن مهير، وقيل: مهروان.

وفي جـ: أحمد الحصاف بن عمرو، وقيل: عمر المهير.

وفي سائر النسخ – ومنها الأصل –: "أحمد بن عمرو – وقيل: عمر – بن مُهَيْر – وقيل: مهران –".

وفي د "مهر" بدل "مهير".

ص٧: محمد بن يحيى الجرجائي.

في جميع النسخ:... الجرجاني.

ص٧: وانتهت إليه رياسة الحنفية بالعراق.

في جميع النسخ: وانتهت إليه بالعراق رئاسة الحنفية.

ص٧: مات ببغداد.. وأربعمائة.

في جميع النسخ زيادة: وقال الذهبي: في خامس رجب.

ص٨: قلت: وشرح الجامع الصغير.

كلمة "قلت" وردت في المطبوع ونسخة و. وفي سائر النسخ بدونها.

ص٨: أحمد بن محمد.. بن جناب.

في أ، ب، و: حناب. وفي ج: جناب أو خباب، وفي د: حباب. وهذا الأخير يوافق المصادر الأخرى.

ص٨: وكتاب الرد على أبي عبيدة.

هكذا في المطبوع، وفي ج. د. وفي سائر النسخ:... عبيد.

ص٨: المحفوظ أن أبا حازم.

وهكذا في جميع النسخ. أما في الأصل فهو بالخاء. وترجمته بالرقم ١٣١ من النص المحقق من تاج التراجم.

ص٩:.. فقيهًا عارفًا.

هكذا في المطبوع وفي ج. ولم ترد في د. وفي و: عاقلاً. وفي الأصل وسائر النسخ: عاملاً.

ص٩: وقال ابن عساكر نقص وابن الجوزي نقص!

في جميع النسخ: وقاله ابن عساكر وابن الجوزي.

ص٩: ولازمه شمس الأئمة الكردري.

هذا في المطبوع وفي ج. وفي بقية النسخ: لازمه، بدون حرف الواو.

ص١٠: الكاشاني.

هذا في المطبوع وج. وفي سائر النسخ: الكاساني.

ووردت هذه النسبة ثلاث مرات أخرى في الترجمة، على النحو السابق.

ص١٠: القنوي.

هذا في المطبوع وفي ج. وفي و: القوني. وفي سائر النسخ – ومنها الأصل –: القونوي.

ص١٠: وله كتاب التقرير في شرح الجامع الكبير.

لم يرد حرف "في" في جميع النسخ. وفي ج، و: شارح بدل شرح.

ص١٠: أكمله ابنه أبو الحسن وله شرح عقيدة الطحاوي أحمد مات بدمشق.

العبارة في الأصل: أكمله ابنه أبو المحاسن محمود. وله شرح عقيدة الطحاوي. مات بدمشق.

وفي ب د: أكمله ابنه أبو المحاسن محمود. مات بدمشق.

وفي ج: أكمله ابنه أبو الحسن. وله شرح عقيدة الطحاوي. مات بدمشق.

وفي و: أكمله ابنه أبو الحسن المحاسن، وله شرح عقيدة الطحاوي محمود. مات بدمشق.

وترجمة ابنه في تاج التراجم رقم ٢٧٥ من النص المحقق، وهو هناك أبو الثناء، وليس أبا المحاسن!

ص١١: أحمد بن ناصر بن ظاهر.

بالظاء في المطبوع وفي ج فقط. وفي سائر النسخ بالطاء.

ص١١: وممن يسمى.

في د: سمي، وفي باقي النسخ: تسمى.

ص١١: أحمد بن إبراهيم بن داود المقري.

قلت: هو بالهمزة وليس بالياء... فقد ذكر صاحب الطبقات السنية (رقم ١١٩) أنه كان ماهرًا في القراءات.

ووردت نسبته في ج: الغزنوي. وفي الطبقات السنية: المعري!

ص١١: فانتفع به الصغير والكبير.

هذا في المطبوع فقط، حيث لم ترد "به" في جميع النسخ. وورد في ج و: الكبير والصغير.

ص١١: وكانت وفاته سادس عشر رجب...

هذا في المطبوع وفي ج. وفي د: ثاني عشرين. وفي سائر النسخ: ثاني عشر.

ص١١: ونجم الدين أبي ظاهر.

في جميع النسخ بالطاء.

ص١١: في ست مجلدات ضخمة.

في جميع النسخ: في عدة ستة مجلدات..

أما تذكير أو تأنيث العدد قبل كلمة "مجلد" أو "مجلدات" فوارد.. حسب لفظة "مجلد" أو "مجلدة".. ولم أورد الخلافات في ذلك.

ص١٢: ثاني عشر رجب.

في جميع النسخ: ثاني عشرين.

ص١٢: وانتخب شرح الصغناقي.

هذا في ب والمطبوع. وفي جـ: الصقباني، وفي د: السحناقي، وفي و: السقباني. والصحيح: "السغناقي" و"الصغناقي" بالسين والصاد. وهو في الأصل بالسين.

ص١٢: وكانت له مشاركة في علوم كثيرة.

كلمة "كثيرة" غير موجودة في أية نسخة.

ص١٢: مات في ثاني عشر رجب.

هذا في جـ والمطبوع. وفي د: ثاني عشرين. وفي سائر النسخ: ثامن عشرين.

ص١٢: وقيل سنة سبع في جمادى.

هذا في المطبوع وفي د. وفي سائر النسخ: جمادى الأولى، إلا أنه في الأصل سُحب خط منها ولم أر الكلمة الصحيحة.

ص١٢: له تاريخ بديع.

سقطت هذه الجملة من ترجمة أحمد بن الحسين المعروف بابن الطبري ص ١٢ من المطبوع.

ص١٢: مات سنة سبع وسبعين وستمائة.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ:... وثلاثمائة. ولم أجدها في الأصل، وقد تكون مطموسة... وفي الجواهر المضية رقم ١٠٢ والطبقات السنية رقم ١٨٤ كما في سائر النسخ. وفي الأعلام للزركلي وفاته ٣٧٦هـ (١ / ١١١ ط٢).

ص١٢: وأخذ الحديث عن أصحاب ابن علاف.

في أ: علاف أو علاق.. غير واضحة. وفي ب: علاق. وفي جـ و: غلاف. وفي د: علان. وفي الطبقات السنية رقم ٢٣٢: "فأكثر عن أصحاب النجيب وابن علاق جدًّا".

ص١٢ وأحمد بن حب الله!

في باب د: وأحمد بن عبدالله، وفي بقية النسخ: أحمد بن عبيدالله. وفي الأصل غير واضحة، لكن رسمها قريب من عبيدالله.

ص١٣: وأحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان بن صبيح الجوزجاني، له كتاب الفرق والتشبيه، وكتاب التوبة، ذكره عبدالقادر في الجواهر تاج الدين المارديني المعروف بابن التركماني!

هكذا في ج والمطبوع، حيث اختلطت هذه الترجمة بترجمة أحمد بن إسحاق الجوزجاني الذي لم ترد ترجمته في مكانها!

والصحيح كما في سائر النسخ: أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن مصطفى بن سليمان، تاج الدين الماريديني، المعروف بابن التركماني.

ص١٣: وكتابين في الفرائض مبسوطًا وآخر متوسطًا.

في أ ب و: وكتابًا في الفرائض مبسوط وآخر متوسط، وفي ج: وكتابان في الفرائض مبسوطًا وآخر متوسطًا، وفي د: وكتاب في الفرائض مبسوطًا وآخر متوسطًا.

ص١٣: أظهر رمزها.

في جميع النسخ: أظهر رموزها.

ص١٣: يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان.

يبدو أن هذا تصرُّف من المصحح، والصحيح كما في الأصل ونسخة و: يوم الأحد سادس عشرين شعبان. وفي ج سادس عشر من. وسقطت الجملة من ب د.

ص١٤: وشهاب الدين الحباني.

في ج: الحياني. وفي سائر النسخ: الحسباني.

ص١٤: شعبان المعظم.

سقطت "المعظم" من ج د. وفي سائر النسخ: المكرم.

ص١٤: وكان له القضاء في أحد جانبي بغداد.

في ج: وكان له أحد جانب البغداد. وفي سائر النسخ: وكان إليه أحد جانبي بغداد.

ص١٤: أيام المعتضد بالله.

وهو كذلك في د. وفي ب والأصل: المعتضد. وفي ج: المقتصد. وغير واضحة في و.

ص١٤: الشحري.

في ب و: السجري. وفي سائر النسخ: الشجري.

ص١٥: حادي وعشرين.

في جميع النسخ: حادي عشرين.

ص١٥: وحدث قلت وصنف.

هذا في المطبوع ونسخة جـ. وفي باقي النسخ: وحدث بالكثير وصنف.

ص١٥: سنة ثمان ومائتين.

هذا في المطبوع وفي د. وفي سائر النسخ: سنة ثمانين ومائتين.

ص١٦: وكتاب في قولهم كذب عليك كذا.

والصحيح: وكتاب "في قولهم: أرد عليكم كذا".

وفي "أ" كلمة "أرد" غير واضحة، وفي ب: لدى، وفي جـ د: كذب، وفي و: أرد. ووردت في بعض النسخ "عليك" بدل "عليكم".

ص١٦: وأخذته العرب.

هذا في ب والمطبوع. وفي جـ: فأخذ به. وفي سائر النسخ: فأخذته.

ص١٦: وقد بقي في حرف الألف.

في أ و: قلت: وبقي في حرف الألف. وفي جـ: وبقي في حرف الألف. وفي ب د: بقي في حرف الألف.

هذا وقد سقط من المطبوع أربع عشرة ترجمة ممن اسمه "أحمد"، وهم:

- أحمد بن إسماعيل التمرتاشي.
- أحمد بن أبي بكر المرعشي.
- أحمد بن إسحاق الصفار.
- أحمد بن إسحاق الجوزجاني.
- أحمد بن إسحاق، القاضي التنوخي.
- أحمد بن داود الدينوري.
- أحمد بن زيد الشروطي.
- أحمد بن عبدالله السرماري.
- أحمد بن محمد، ابن أبي العوام السعدي.
- أحمد بن محمد البجلي.
- أحمد بن المظفر الرازي.
- أحمد بن منصور الأسبيجابي.
- أحمد بن يحيى، ابن ناقد الكوفي.

- أحمد بن أبي المؤيد المحمودي.
ص١٧: وسماه المتضاد.
في جميع النسخ "سماه" بدون واو.
ص١٧: وغيره في أنواع العلوم.
هذا في المطبوع وب جـ د. وفي الأصل ونسخة و:.. من أنواع..
ص١٧: توفي سنة ست وخمسين ومائتين.
في جميع النسخ:.. اثنتين وخمسين.
ص١٧: أبو عمرو الفقيه.
هذا في جـ والمطبوع. وفي ب د: "القشيري" بدل "الفقيه". وغير واضحة في الأصل، وإن كان رسمها أقرب إلى "القشيري". ولم ترد الترجمة في و.
ص١٧: ومات سنة.
في ب والأصل بدون و.. وفي سائر النسخ بالواو، ولم ترد الترجمة في و.
ص١٧: وقد سقطت من ترجمة أسد بن عمرو القشيري (ص١٧) ما يلي:
"وترجمته مستوفاة في كتابي المسمى بـ "الإيثار برجال معاني الآثار" للطحاوي رحمه الله.
ص١٧: وهو شرح مختصر أبي حفص جمال الإسلام.
هذا في جـ والمطبوع، وتنتهي الترجمة.
ولم ترد تلك الجملة في د، ولا تكملتها كما في سائر النسخ.
وفي سائر النسخ: "وهو شرح مختصر أبي حفص، لقبه جمال الإسلام، كنيته أبو المظفر".
ص١٧: وأقام بمنزله إلى أن مات.
في جميع النسخ: وأقام بمنزله حتى مات.
ص١٧: وقال الذهبي سنة تسع وعشرين.
هذه زيادة وردت في ب جـ والمطبوع فقط.
ص١٨: وكان إمامًا عالما عارفًا بصيرًا.
لم ترد كلمة "عارفًا" في النسخ الخمس.
ص١٨: محمود السيرة فقيهًا.
في جميع النسخ: محمود السيرة فيه. وسقطت الكلمة الأخيرة من د.
ص١٨: الإمام الأعظم.

لم ترد الصفة في النسخ.

ص١٨: وكتاب الإرجاء، وتفقه عليه أبو سعيد البردعي، وله رسالة إلى البستي أطنب الخطيب..

في الأصل: وكتاب الإرجاء، ورسالة إلى البستي، وتفقه عليه أبو سعيد البردعي. وأطنب الخطيب..

وفي ب: وكتاب الإرجاء، وتفقه عليه أبو سعيد البردعي، ورسالة إلى البستي أطنب..

وفي ج: وكتاب الإرجاء، وتفقه على أبو سعيد البردعي، ورسالة إلى أبي البستي إلى النبي أطنب.

وفي د: وكتاب الإرجاء، ورسالة إلى البستي أطنب الخطيب.

وفي و: وكتاب الارخا تفقه عليه أبو سعيد البردعي وغير أطنب الخطيب.

ص١٨: ثم حضر إلى مصر.

في جميع النسخ: ثم خُطب إلى مصر.

ص١٨: صرغتمش.

في الأصل وفي نسخة و: صيرغتمش. وفي النسخ الأخرى بعضها مثل المطبوع، وفي بعضها الآخر وردت: "ضرغتمش"، و"ضرغشمش"، و"ضير غشمش".

ص١٨: فلو كان الأسلاف بالحياة.

هذا في ج والمطبوع. وفي سائر النسخ: في الحياة.

ص١٨: ولقال فخر الإسلام مَهَّدت.

هذا في ج والكتاب المطبوع. وفي سائر النسخ:... مهرت.

ص١٨: ولقال صاحب الهداية.

هذا في ب ج د والنسخة المطبوعة. وفي الأصل ونسخة و:... البداية.

ص١٨: فيما أسررت وأعلنت.

في جميع النسخ: فيما أعلنت وأسررت.

ص١٨: أنت من فصحاء الأعاريب.

في د: عبارتهم. وفي سائر النسخ:... عباراتهم، بدل "الأعاريب".

ص١٩:.. ونادرة الأقران..

هذا في ج والمطبوع. وفي و: الاذان. وفي سائر النسخ:.. الأوان.

وممن بقي في حرف الألف ولم يذكر في الكتاب المطبوع ثماني تراجم أخرى، هي:

- إسحاق الولوالجي.
- إسحاق بن أبي بكر النحاس.

- إسحاق بن يحيى الآمدي.
- إسماعيل بن الحسين البيهقي.
- إسماعيل بن خليل، تاج الدين الفرضي.
- إسماعيل بن سعيد الشالنجي.
- إسماعيل بن علي السمّان.
- إسماعيل بن سودكين النوري.

ص٢٠: وأبو عوانة في تصحيحه.

هذا في جـ والمطبوع. وفي باقي النسخ:... صحيحه.

ص٢٠: وتفقه على هلال الرازي.

في جـ: الهلال الرازي. وفي د كما في المطبوع. ومطموسة في الأصل. وفي النسختين الباقيتين: هلال الرأي، وهو الصحيح.

ص٢٠: في كتابه في القضاة.

في جـ: في كتابه في قضاة. وفي باقي النسخ: في كتابه في قضاة مصر.

ص٢٠: وكتاب الوثائق والعقود.

في جميع النسخ:... والعهود.

ص٢٠: فقال بكار الآن استقام.

لم يرد اسم "بكار" في الأصل ونسخة "و"، وورد في سائر النسخ.

ص٢٠: وكان يحدث في السجن في طاق فيه.

في جميع النسخ:.. من طاق فيه.

ص٢٠: انقطاع استماع الحديث.

في جميع النسخ: انقطاع سماع الحديث.

ولم ترد الترجمتان التاليتان - من حرف الباء - في المطبوع:

- أبو بكر بن علي الحداد.
- بشر بن غياث المريسي.

ص٢١: مولده سنة خمسين وأربعمائة بنسف انتهى.

في جميع النسخ: مولده سنة خمسين وثلاثمائة، ومات سلخ جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بنسف. انتهى.

ولم ترد كلمة "انتهى" في ج.

ص٢١: ذكره الاودني..

في أ د و: الإدريسي. وفي ج: الادريني. وفي ب: الأورنسي!

ص٢١: الثبري الميلاني.

أقرب رسم للكلمة الأولى في الأصل: الفيومي، والكلمة الثانية في الأصل ونسخة و: الميلاسي.

وفي ب: السزني الميلاتي. وفي ج: التسبير الملالي. وفي د: السربي المتلاسي. وفي و: الثبري الميلاسي.

والصحيح في الاسم الأول: التبريزي، كما في البدر الطالع ١ / ١٨٦.

ص٢١: قوام الدين السكاكي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي النسخ الباقية:.. الكاكي.

ص٢١: انتصب للاشتغال.

هذا في د والمطبوع. وفي النسخ الباقية:.. للأشغال.

ص٢١: الإمام الأعظم أبي حنيفة.

"الأعظم" لم ترد في أية نسخة.

ص٢١: وتعليقه على البزدوي.

هذا في ب د والمطبوع. وفي الأصل: البزدي. وفي جـ و: البزدري.

ص٢١: ما يناسبه من الفتوى.

في جميع النسخ:... من الفتاوى.

ص٢٢: ورسالة في عدم صحة الجمعة في مواضع من البلد.

في جميع النسخ "جواز" بدل "صحة" ما عدا جـ والمطبوع. ولم ترد الجملة السابقة في د. وتكررت "في مواضع" في ج.

ص٢٢: قال في المبسوط.

تسبقها: "قلت" في سائر النسخ، ما عدا جـ والمطبوع.

- وقد سقط من المطبوع ونسخة د في ترجمة الحسن بن زياد اللؤلؤي (ص٢٢) ما يلي:

(وقال النديم في الفهرست: له كتاب "المجرد لأبي حنيفة"، كتاب "أدب القاضي"، كتاب "الخصال"، كتاب "معاني الإيمان"، كتاب "النفقات"، كتاب "الخراج"، كتاب "الفرائض"، كتاب "الوصايا").

ص٢٢: شرح أدب القاضي للخصاف.

سقطت هذه الجملة من ج. وفي جميع النسخ: "القضاء" بدل "القاضي".

– وسقط من ترجمة الحسن بن منصور قاضي خان (ص٢٢) ما يلي، بينما هو مثبت في جميع النسخ:

"قلت: قال الذهبي: رأيت مجلدًا من أماليه في سنة سبع، وسنة ثمان، وسنة تسع وثمانين وخمسمائة. سمع كثيرًا من الإمام ظهير الدين حسن بن علي بن عبدالعزيز، وإبراهيم بن إسماعيل الصفار. روى عنه الحصيري".

ص٢٢: وممن يسمى بهذا الاسم.

في أ ج و: وممن تسمى بهذا الاسم. وفي د:... سمي. وفي ب: ومن يسمى.

ص٢٣: في آخر ترجمة الحسن بن إسحاق النيسابوري كلمة "انتهى" كما في الأصل ونسخة ج، ولم ترد في ب د والمطبوع. وفي و: انتهى بلفظ ابن العديم.

ص ٢٣ الحسن بن الحظيري.

في أ ب و: الخطير. وفي ج: الحضيري. وفي د: الخطيب.

ص٢٣: قال عنه إنه قال.

يوجد هنا سقط، بينما هو مثبت في سائر النسخ، وهو قوله: "قال ياقوت في تلميذه الشريف محمد الإدريسي عنه: إنه قال".

ص٢٣: وانتصرت له.

في جميع النسخ: وأنتصر له.

ص٢٣: كتاب التفسير.

هذا في ب د والمطبوع. وفي سائر النسخ: لباب التفسير.

ص٢٣: نظر النسفي إلى تفسير له وصل إلى.

في ب والأصل: نظم النسفي. أملى تفسيرًا وصل فيه إلى.

وفي ج: نظر النسفي إلى تفسير أوصل إليه.

وفي د: ونظم النسفي أملى تفسيرًا وصل فيه.

وفي و: نظم النسفي إملاء تفسير أوصل فيه.

ص٢٣: جاءت نهاية ترجمة الحسن بن الخطير الفارسي في الكتاب المطبوع على النحو التالي:

"قلت: قال الذهبي رأيت مجلدًا من أماليه في سنة سبع وسنة ثمانٍ وسنة تسع وثمانين وخمسمائة سمع كثيرًا من الإمام ظهير الدين حسن بن علي بن عبدالعزيز وإبراهيم بن إسماعيل الصفاري، روى عنه الحصيري، والله أعلم".

قلت: ما ورد في المطبوع هنا إنما هو جزء من ترجمة الحسن بن منصور قاضي خان.

وجاءت نهاية الترجمة المذكورة في جميع النسخ على النحو التالي: "وله كتاب اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار، ولم يتم. وكانت وفاته سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائة".

ص٢٣: لكن أكمله.

في جميع النسخ: لكن كمله.

ص٢٣: نهاية ترجمة الحسن بن عبدالله السيرافي ناقصة في المطبوع، حيث ورد في جميع النسخ: "وله أربع وثمانون سنة"، ولم يرد ذلك في المطبوع.

ص٢٣: بن حيدر أبو الفضائل الصاغاني.

هذا في المطبوع وفي ب جـ د. وفي و: بن حيدر بن علي بن إسماعيل العدوي اللوهري أبو الفضائل الصغاني. وهو في جميع النسخ: "الصغاني".

ص٢٤: وكتاب فعول.

هذا في ب جـ والمطبوع. وفي د: فعلون. وفي الأصل ونسخة و: مفعول.

ص٢٤: وكتاب أسماء السعادة.

في أ ب و: وكتاب أسماه الغادة. وفي جـ:... السعادات. وفي د:... الصالحاة!

ص٢٤: وكتابًا في علم الحديث.

هذا في ب والمطبوع. وفي سائر النسخ: وكتاب.

ص٢٤: معرفة صفات الصحابة.

في جميع النسخ: معرفة وفيات الصحابة.. ولم ترد الكلمة في د.

ص٢٤: وختم بأبيات هي هذه.

في جـ: وختم بأبيات نحو. وفي سائر النسخ: وختمه بأبيات وهي.

ص٢٤: السعدان وازدادا.

في أ ب: والرادا. وفي جـ و: وادا. وفي د: والزادا.

ص٢٤: حتى لص.

في جميع النسخ: حتى كض.

ص٢٤: ما تحويه من نشب.

في أ ب د: ما يعلوه من نشب. وفي جـ و: ما تعلوه.

– وقد سقط من ترجمة الحسن بن محمد الصغاني – من المطبوع ومن نسخة د – ما يلي:

"روى عن أبي الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي بن محمد الحافظ، وقد سمع عليه صحيح البخاري، ومسند الشافعي. وقرأ صحيح البخاري أيضًا على أبي سعد ثابت بن شرف، وسمع بعدن من إبراهيم بن يعقوب الهروي الحسبانادي، والنظام محمد بن الحسن بن سعد المرغيناني. وسمع منه الحافظ شرف الدين الدمياطي".

ص٢٤: وكان مولده سنة سبع..

في جميع النسخ: وكان مولده بلوهور من بلاد الهند سنة سبع..

ص٢٤: في يوم الخميس عاشر صفر...

هذه الزيادة من المطبوع لم أجدها في النسخ الخمس.

– وما لم يرد في ترجمة الصغاني كذلك – من المطبوع ومن نسخة د – في آخر ترجمته: "وأوصى أن يحمل إلى مكة بخمسين دينارًا فحُمل إليها، ودفن بها".

ص٢٤: الحسين بن جعفر.

هذا في ب جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: الحسين بن حفص.

ص٢٤: الأصفهاني... أصفهان.

في الأصل: الأصبهاني.. أصبهان.

ص٢٤: صرح به مسلم.

في جميع النسخ: خرج له مسلم.

ص٢٥: وقدم دمشق.

في جميع النسخ بدون واو العطف.

ص٢٥: جمال الدين.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: كمال الدين.

ص٢٥: الحسين بن محمد بن حسن البلهي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي الأصل:... بن خسرو البلخي. وفي ب: خَرْوَ. وفي د: حسرو. وفي و: حزو.

ص٢٥: وخمسمائة.

بعدها تأتي كلمة "انتهى" التي سقطت من ج والمطبوع فقط.

ص٢٥: في سنة ست.

في النسخ: في شوال سنة ست، ما عدا د والمطبوع.

ص٢٥: من أبي الحسين الأنباري.

في جميع النسخ: من أبي الحسن..

ص٢٥: سقطت كلمة "البانياسي" من الكتاب المطبوع، وهي في الأصل كذلك. وفي ب: الأيناري، وفي ج: البايناسي، وفي د: النانناسي – بدون نقط –، وفي و: الايناسي.

ص٢٥: وكتاب الفيض.

وفي أ ج: الغيض، وفي سائر النسخ كما في المطبوع.

ص٢٦: ونظم في فنون الطب وغيره.

هذا في ج والمطبوع. وفي سائر النسخ: ونظم في الفنون: الطب وغيره.

ص٢٦: عالما خبيرًا.

هذا في ج والمطبوع. وفي سائر النسخ: خيرًا. وهي غير واضحة تمامًا في الأصل، وإن كان رسمها أقرب إلى المطبوع.

ص٢٦: هلال الرازي.

هذا في د والمطبوع. وفي سائرها: هلال الرأي.

ص٢٦: حادي عشر شوال.

هذا في ج والمطبوع. وفي سائرها: حادي عشرين...

– وسقط من ترجمة الحسين بن علي الصيمري – ص ٢٦ من المطبوع – بينما هو مثبت في النسخ الخمس – ما يلي: "وقال الذهبي: قال الخطيب: كان صدوقًا، وافرًا بالعقل، حدث عنه جماعة ممن أدركهم السلفي".

ص٢٦: الزندوسي.

في الأصل: الزندويستي. وفي ب ج: الزندويسي. وفي د: الرندويستي. وفي و: الرندويسي.

ص٢٦: في مصنف.

هذا في ج والمطبوع. وفي النسخ الباقية: في مصنفه.

ص٢٦: ولعل لفظة أبو قبل علي سقطت.

وفي النسخ: ولعل سقط له لفظة "أبو". وفي ج و فقط: "ولعله" بدل "ولعل".

ص٢٦: واختار في بعض.

في أ و: واختيار. وفي د: واحننارا. وفي ب جـ كما في المطبوع.

ص٢٦: حندرة بن عمر.

في الأصل حيدره – بدون نقط. وفي ب و: حيدر وفي جـ: جندره. ولم ترد الترجمة في د.

– وورد في آخر ترجمة "حندرة" – ص٢٦ – ما يلي: "وقال الذهبي: قال الخطيب: كان صدوقًا وافرًا بالعقل، حدث عن جماعة ممن أدركهم السلف".

ولم ترد هذه القطعة في أية نسخة، بل هي قطعة من ترجمة الحسين بن علي الصيمري!

وسقطت ثلاث تراجم من المطبوع في حرف الحاء، هي:

– حبيب بن عمر الفرغاني.

– الحسن بن أحمد الزعفراني.

– الحسين بن علي الجعل الكاغدي.

ص٢٧: أبو سعيد السحري.

في أ د و: الشجري. وفي ب: السجزي. وفي جـ: السجري.

ص٢٧: بعد بيت الشعر وردت كلمة "الأبيات" في جميع النسخ ولم ترد في المطبوع.

ص٢٧: ولم يذكر الدليل فيه.

والصحيح كما في سائر النسخ: ولم يذكر الدال، وفيه.

وفي د: الذال... بدل الدال.

ص٢٨: وذكره عبدالقادر.

في جميع النسخ بدون واو. والكلمة الأولى مطموسة في الأصل.

ص٢٨: في كتاب طبقات الحنفية.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ لم ترد كلمة "كتاب".

ص٢٨: سقط من ترجمة داود بن محمد الأدني ذكر كتابه "أجر البهائم" في جـ والمطبوع، وهو مثبت في سائر النسخ.

ص٢٨: في خلق الإنسان.

بعد هذا في جميع النسخ وردت كلمة "متداول" وسقطت من المطبوع.

ص٢٨: ابن حيان... أصفهان... ومنعوه.

في جميع النسخ: ابن حبان... أصبهان... فمنعوه.

ص٢٩: قال ابن النديم.

في جميع النسخ: قال النديم.

ص٢٩: فأبطأت الخادم.

في النسخ: فأبطأ الخادم.

ص٢٩: إذا اشترى جارية.

في النسخ: إذا اشترى أَمَة.

ص٢٩:... بن أحمد بن عبدالله.

هذا في المطبوع وفي د. وفي النسخ الباقية:... عبيدالله.

ص٢٩:.. بن أبي الوارث.

هذا في جـ والمطبوع. وفي باقي النسخ:... بن أبي الشوارب.

ص٢٩: وأن الله تعالى...

كلمة "تعالى" لم ترد في النسخ.

ولم يرد في حرف الصاد ترجمة صاعد بن منصور الكرماني.

ص٣٠: وطاهر بن محمد بن أحمد بن عبدالرشيد.

هذا في جـ والمطبوع. وفي باقي النسخ: طاهر بن أحمد بن عبدالرشيد.

- وفي آخر ترجمة طاهر هذا لم ترد كلمتا: "قلت: منهم" المثبتة في جميع النسخ ما عدا جـ والمطبوع.

ص٣٠: طاهر بن محمد بن عمر بن أبي العباس الحفصي، له الفصول في علم الأصول، وكنيته أبو المعالي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ ورد على النحو التالي:

"طاهر بن محمد بن عمر بن أبي العباس، أبو المعالي الحفصي. له: الفصول في علم الأصول".

ص٣٠: الملقب صدر الدين.

في جميع النسخ: صدر الإسلام.

ص٣٠: فصول العماد.

هذا في جـ والمطبوع. وغير واضحة في الأصل. وفي سائر النسخ:... العمادي.

ص٣٠: ورد في آخر ترجمة طاهر بن محمود: "قلت: ومنهم طاهر بن علي، له فتاوى وكان رفيقًا لمحمود بن الولي".

ولم يعتبر ترجمة مستقلة في الكتاب المطبوع، حيث لم يعط له رقم.. بل اعتبر تكملة لترجمة طاهر بن محمود. والصحيح أنه ترجمة مستقلة.

ص٣٠: الشبذموني.

في الأصل السبذموني. وفي ب: السيدموفى. وفي جـ: السيد مولى. وفي د: الشدموني. وفي و: السدموني.

ص٣٠: وروى عنه ابن منده.

في جميع النسخ: وعنه ابن منده.

ص٣٠: بن مودود بن مجد الدين.

في جميع النسخ زيادة "محمود" بعد "مودود". وفي أ د: "مجد الدين" دون أن يسبقه "بن".

ص٣١: ولي القضاء بالكوفة.

هذا في جـ والمطبوع. وفي النسخ الباقية: ولي قضاء الكوفة.

ص٣١: وله مختصر في الفقه.

هذا في جـ والمطبوع. ولم ترد في د، وفي سائر النسخ: وله مختصر في الوقف.

ص٣١: من كتاب الخصاف.

يلي ذلك في أ ب و: وهلال. وسقط الاسم من جـ د والمطبوع.

ص٣١: توفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة.

في جميع النسخ:... وسبعمائة. والصحيح كما في المطبوع.

ص٣٢: وعبدالله بن علي البخاري.

هذا في ب جـ والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: وعبدالله بن علي السنجاري.

ص٣٢: المعروف بقاضي منصور.

هذا في جـ والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: المعروف بقاضي صَوْر.

ص٣٢: ابن عبسون.

هذا في ب والمطبوع. وفي أ و: ابن عيسون. وفي د: علسون. وفي جـ: عيون، وهو موافق للطبقات السنية ٤ / ١٧٥.

ص٣٢: البحر الجاري.

هذا في ب د و والمطبوع. وفي جـ: الحاري. ورسمها في الأصل أقرب إلى جـ.

ص٣٢: جمع فيه بين.

في النسخ: جمع فيه من.

ص٣٢:.. بن ناقيا.

في جميع النسخ: ابن باقيا، ما عدا د التي فيها: ابن فايقا.

ص٣٢: المعروف بالبزاز.

في و: البندار. وفي أ ب: النبدار. وفي د: المسدار. وفي جـ كما هو في المطبوع.

ص٣٢: عبدالباقي بن جامع.

في جميع النسخ: عبيدالباقي بن قانع. وفي جـ فقط: "جامع"، وهي غير واضحة تمامًا في الأصل. ولم ترد الترجمة في د.

ص٣٢: مفتي مازندران.

في جـ: مفتي زمان وران. وفي سائر النسخ: مغني مازن داران.

ص٣٣: أبو حازم.

في أ جـ د و: أبو حازم. وفي ب: أبو خازم، وفي مصادر أخرى مثل الجواهر المضية ٢ / ٣٦٦ وسير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٣٩ والطبقات السنية ٤ / ٢٦٧ والفوائد البهية ص٧٤: أبو خازم.

ص٣٣: وأخذ الفقه عن البكير...

في جميع النسخ: وأخذ العلم عن بكر...

ص٣٣: لم يرد في ترجمة عبدالرحمن بن محمد الكرماني - من المطبوع ومن جـ د - ما يلي: وكتاب "إشارات الأسرار"، وكتاب "النكت على الجامع الصغير". وسقطت من و: كلمة "إشارات".

ص٣٣: رحل إلى العراق.

في جميع النسخ: ورحل...

ص٣٣: وسقط من ترجمة عبدالرحمن بن محمد القزي ما يلي، بينما هو مثبت في جميع النسخ: "قلت: حكى الذهبي في "تاريخ الإسلام" أنه لم يكن في أصحاب الرأي أسند منه. سمع أبا يعلى بالموصل، وحامد بن شعيب، ومحمد بن صالح بن دريح ببغداد. وتوفي في شعبان سنة أربع وسبعين وثلاثمائة، وله اثنان وسبعون سنة. روى عنه الحاكم".

ص٣٣: في الثالث والعشرين من رمضان.

في جميع النسخ: في ثالث عشرين رمضان.

ص٣٣: وممن يسمى بهذا الاسم.

في جميع النسخ: وممن تسمى...
ص٣٤: على مذهب الإمام أبي حنيفة.
لم ترد "الإمام" في النسخ.
ص٣٤: كما ذكر تاريخه.
"تاريخه" زيادة في ج والمطبوع فقط.
ص٣٤: وعبدالرحمن بن محمد.
هذا في د و والمطبوع. وفي سائر النسخ: وعبدالرحمن بن محمد بن محمد.
ص٣٤: من طخارستان، في جميع النسخ: من طخارستان بلخ.
ص٣٥: الحوائي... الحلواء.
في ج: الحلوى... الحلوى. وفي النسخ الباقية: الحلواني... الحلوى.
ص٣٥: وتفقه عليه الأزقي.
هذا في ج والمطبوع. وفي النسخ الأخرى:... الأندقي.
ص٣٥: وقال البخشي.
في أ: البحشن. وفي ب: النجني أو النجسي. وفي ج: النخشي أو النخسي. وفي د: اللحن. وفي و: التحسي.
والصحيح النخشبي. وترجمته في سير أعلام النبلاء ١٨ / ٢٦٧ - ٢٦٨.
ص٣٥: وانفرد بالفتوى إلى أن مات.
في جميع النسخ: وانفرد بالفتوى حتى مات.
ص٣٦: بن أحمد بن الحسين بن عبدالرحمن.
في أب ج: بن أحمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالرحمن، وفي د كما هو في المطبوع.
وفي و: بن الحسين بن عبدالرحمن.
ص٣٦: بن العباس.
في جميع النسخ: بن عباس.
ص٣٦: وهو ابن ثلاث وستين سنة... لنفسه شعر.
لم ترد كلمة "سنة" و"شعر" في النسخ.
ص٣٦: بفتح الدال المهملة.
"الدال" لم ترد سوى في ج والمطبوع.

ص٣٦: سقط من ترجمة عبيدالله بن عمر الدبوسي: "وكتاب تأسيس النظائر". وهو في أ ب و.

ص٣٦: وممن يسمى بهذا الاسم.

في أ جـ و: وممن عُبِّد. وفي ب: وممن عُدَّ. وفي د: قلت: وممن عُبِّد.

ص٣٧: وأصفهان.

في النسخ: وأصبهان.

ص٣٧: مجلس التذكير.

هذا في جـ والمطبوع. وفي د: التذكرة. وفي سائر النسخ: التذكر.

ص٣٧: وقيل اثنتين وستين وخمسمائة.

هذه الجملة وردت رقمًا في د بشكل غير واضح.

وفي ب: توفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. وفي سائر النسخ: وقيل: وستين وخمسمائة.

ص٣٧: مولده سنة ست وتسعين وستمائة. هذا في جـ د والمطبوع. وفي النسخ الباقية:... وسبعين. والصحيح الأول.

ص٣٨: الجواهر المضيئة.

هذا في د و والمطبوع. وفي سائر النسخ: الجواهر المضية. وهو الصحيح.

ص٣٨: توفي سابع ربيع الأول.

هذا في جـ والمطبوع. وفي النسخ الباقية: توفي تاسع...

ص٣٩: تصدَّر بالقراءات.

في جميع النسخ: تصدَّر في القراءات.

ص٣٩: في حل عقد..

ورد هذا في جـ والمطبوع. وفي باقي النسخ: في حل قيد..

ص٣٩: وهو في أثناء.

في جـ: وهي من أبيات. وفي باقي النسخ: وهو من أبناء.

ص٣٩: من كرخ...

"من" لم ترد سوى في جـ والمطبوع.

ص٣٩: أبي حازم.

في أ ب: أبي خازم. وفي جـ: ابن حاذم. وفي د و: أبي جازم.

ص٣٩: أودعها الفقه...

في جميع النسخ: أودعهم الفقه...

ص٣٩: والحديث والآثار والمخرجة.

في و: والحديث والأحاديث المخرجة. وفي النسخ الباقية: والحديث والآثار المخرجة.

ص٣٩: بأسانيدها.

في أ ب د: بأسانيده. وفي ج و: بأسانيد.

ص٣٩: بعد "بأسانيدها" سقط من المطبوع ومن ب ج د: "وكتاب الأشربة".

ص٣٩: أبو نصر السجري.

في أ ب: السجزي. وفي ج د: السحري. وفي و: الشجري.

ص٤٠:... بن محمد بن خشكان.

زيادة "بن محمد" لم ترد في أ د و.

ص٤٠: الحداء.

في جميع النسخ: الحذاء، ما عدا "ج" ورد فيها "حمدان"!

ص٤٠: ووجدت له مجلسًا...

في جميع النسخ: وجدت...

ص٤٠: وقد تكلم على إحالة كلام شيعي عار من نفس الحديث.

هذا في ج والمطبوع. وفي د:... عار في نفس الحديث. وفي باقي النسخ: "وقد تكلم على رجاله كلام شيعي عارف بفن الحديث".

ص٤٠: واختصر الوقاية.

في جميع النسخ: "ومختصر الوقاية".

ص٤٠: ولم يذكر الشيخ رحمه الله في عثمان واحدًا.

"رحمه الله" في ب د والمطبوع مع زيادة "تعالى". وفي جميع النسخ: "سلمه الله". وفي الأصل زيادة "تعالى". وفي جميع النسخ كذلك: "... في عثمان أحدًا".

ص٤٠: إمام مقدم بالديار المصرية وسفينة العصر مشحونة.

في جميع النسخ: إمام تقدم... وتعيَّن وسفينة.....

ص٤٠: ثم ألقى.

في جميع النسخ: ثم ألقاه.

ص٤٠: حادي عشر رجب.

تسبقها "في" كما في سائر النسخ، ما عدا جـ والمطبوع.

ص٤١:... بن محجن بن موسى.

هذا في المطبوع ونسخة و. وفي أ ب د "موسِرْ" والشكل بقلم المؤلف. وفي جـ: موثر.

ص٤١: أبو عمر الزيلعي.

هذا في ب جـ د. وفي النسختين الباقيتين: أبو عمرو...

ص٤١: على مذهب الإمام أبي حنيفة.

سقطت "الإمام" من جميع النسخ.

ص٤٢: بلا بدافع.

في جميع النسخ: بلا مدافعة.

ص٤٢: وأحمد بن أصيل.

في ب: أحيد. وفي جـ: أصيد. وفي د كما في المطبوع. وفي و: أجيد. وفي الأصل رسمها أقرب إلى ب و.

ص ٤٢: ثمانين مجلدًا.

هذا في د والمطبوع. وفي النسخ الباقية:... مجلدة.

ص٤٢: وكتاب التجنيسي.

في جميع النسخ:... التجنيس.

ص٤٢: وممن يسمى...

هذا في د والمطبوع. وفي سائر النسخ: وممن تسمى...

ص٤٢:... بن المكي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي د:.. علي. وفي سائر النسخ:.. بن مكي.

ص٤٢: عثمان أبو غانم.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ "عمي" بدل "عثمان".

ص٤٢: عمر بن البدر.

هذا في جـ والمطبوع. وفي باقي النسخ: عمر بن بدر.

ص٤٢: وكانت سنة وفاته.

في جميع النسخ: وكانت وفاته سنة.

ص٤٣: أو أكثره كذلك.

في جميع النسخ: وأكثره....

ص٤٣: توفي سابع شوال.

هذا في ب جـ والمطبوع. وفي النسخ الباقية:.... تاسع شوال.

ص٤٣: وعلي بن حسين.

هذا في جـ والمطبوع. وفي د: بن أبي الحسين. وفي النسخ الباقية: وعلي بن الحسين.

ص٤٣: سكن ببخارى.

في جميع النسخ: سكن بخارى.

ص٤٣: يعزى إلى الغزنوي.

في أ ب جـ: يعزى للغزنوي. وفي د و: يعرى الغزنوي.

ص٤٣: عاشر ذي الحجة.

في جـ: عاشر ذي.... وفي د: عن ذي... وفي سائر النسخ: غرة ذي...

ص٤٣: ذي الحجة.

في جميع النسخ: ذي القعدة.

ص٤٤: وله سعدية في أصول الفقه.

في جميع النسخ: وله مقدمة في...

ص٤٤: وله مقدمات في عدة فنون.

في و: وله مقدمات مات في فنول. وفي سائر النسخ: وله... في فنون.

ص٤٤: الأوشي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: الأوسي.

ص٤٥: سمع الحسن بن علي بن عفان العامري.

في ب: سمع الحديث على ابن عفان العامري. وفي د: وسمع الحديث من علي بن عفان بن علي العامري. وفي سائر النسخ: سمع الحسن بن علي بن عثمان العامري.

ص٤٥: غرق يوم عاشوراء في الماء فأخرج وفيه رمق.

في جميع النسخ: غرق يوم عاشوراء فأخرج من الماء وفيه حياة. وفي د:... الحياة.

ص٤٥: وصنف كتابًا...

هذا في د والمطبوع. وفي سائر النسخ: وصنف كتبًا.

ص٤٦: الراشي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: الرامشي.

ص٤٦: ثامن ذي القعدة.

في جميع النسخ: ثاني ذي القعدة.

ص٤٦: خمسين ألف رجل.

في د: خمسين ألف نفس. وفي النسخ الباقية: خمسين ألف نفر.

ص٤٦: بن عمة الامام.

في جـ: بن عمد الإمام. وفي و: بن عم الإمام. وفي سائر النسخ: بن عمر الإمام.

ص٤٦: نور الدين السوسي.

هذا في جـ د والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: نور الدين بن السوسي.

ص٤٦: تنكيز.

هكذا ورد في جـ والمطبوع. وفي أ ب: بنكير. وفي و: تبكير. وفي د على الرسم السابق بدون نقط.

ص٤٦: نبيلاً عالي الشأن.

في جميع النسخ: نبيلاً على شأنه.

ص٤٦: عمر بن عبدالعزيز بن عمر بن مازه.

لم ترد "بن عمر" في أية نسخة.

ص٤٧: له كتاب طلبة الطلبة.

في جميع النسخ: صنف كتاب...

ص٤٧: على ألفاظ كتب فقه الحنفية.

"كتب" مثبتة في ب جـ د والمطبوع، وغير مثبتة في أ و.

ص٤٧: ثامن عشر.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: ثاني عشر.

ص٤٧: وصنف قريبًا...

هذا في جـ د والمطبوع. وفي سائر النسخ: حتى صنف قريبًا...

ص٤٧: ولم يرزق فهمه التحرير.

"التحرير" لم ترد سوى في جـ والمطبوع.

ص٤٧: والحصن...

الكلمة مطموسة في أ. وفي جـ: الحض. وفي بقية النسخ: الحصر.

ص٤٧: والتفسير.

الكلمة مطموسة في أ. وفي ب جـ: التفسير. وفي النسختين الباقيتين كما في المطبوع.

ص٤٧: وسقط من المطبوع في ترجمة عمر بن محمد الخبازي ما يلي:

"قلت: قال الذهبي: قال أبو العلاء الفرضي: صنَّف الخبازي في الفقه والأصلين. ومات عن اثنتين وستين سنة. وقال في المسالك: وله مصنَّف في أصول الدين".

ص٤٧: وممن يسمى...

هذا في د والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: جمال الدين.

ص٤٨: البداوي.

هذا في جـ د والمطبوع. وفي أ ب: البداوتي. وفي و: التداولي.

ص٤٨: وسمع بمكة على خضر.

هذا في ب والمطبوع. وفي أ رسمها على هيئة: خنصر. وفي جـ و: حصر. وفي د: حضر.

ص٤٩: ولم يكمل.

في الأصل: ولم يكملهن. وفي د: ولم يكملهما. وفي بقية النسخ: ولم يكملهم.

ص٤٩: وممن لم يسم في هذا الحرف.

لم ترد هذه الجملة في ترجمة عمر بن محمد الموصلي في جميع النسخ. وإنما وردت في الترجمة السابقة في نسخة و فقط، وفي الترجمة اللاحقة في جميع النسخ.

ص٤٩: أبو الغنائم.

هذا في جـ والمطبوع. وفي بقية النسخ: أبو العزائم.

ص٤٩: ملك ثمان سنين.

في جميع النسخ تملك...

ص٤٩: وثمانية أشهر.

في جميع النسخ: وثمان شهور. والصحيح: ثمانية...

ص٤٩: ولمن يحفظ العضد.

هذا في جـ والمطبوع. وفي الأصل: المفصَّل. وفي ب: المقصد. وفي و: الفصل. ولم ترد في د.

ص٤٩: الخلعة.

في جـ: الخلفة. وفي النسخ الباقية: الخلع.

ص٤٩: غالي.

في جميع النسخ – ما عدا الأصل – بالغين المعجمة.
ص٤٩: أبو عاليّ.
في جميع النسخ: أبو علي.
ص٤٩: رأيت في خطه.
في جميع النسخ: ورأيت. ولم ترد الجملة – وفيها هذه الكلمة – في ج.
ص٥٠: وكتاب المنافع.
هذا في ب جـ د والمطبوع. وفي الأصل ونسخة و: المنابع.
ص٥٠: فظنهما اثنين في العين المهملة.
في أ و: في العين المهملة فظنها اثنين. وفي جـ:..... وظنهما. وفي د:..... فظنهما. وسقطت الجملة من ب.
وفي حرف العين سقطت الترجمات التالية من الكتاب المطبوع:
– عباس بن حمدان الأصبهاني.
– عبدالخالق بن أسد تاج الدين الطرابلسي.
– عبدالرحمن بن عمر بن العديم.
– عبدالقادر بن محمد العقيلي.
– عبدالوهاب بن عمر ابن أمين الدولة.
– علي بن زكريا المنبجي.
– علي بن مقاتل الرازي.
– عمر بن محمد العقيلي.
– عيسى بن أبان.
ص٥٠: الفضل بن العباس.
في جميع النسخ: الفضل بن عباس.
ص٥٠: وحدث بخراسان.
في جميع النسخ: حدث بخراسان...
ص٥٠: وممن يسمى...
هذا في ب د والمطبوع. وفي سائر النسخ: وممن تسمى..
ص٥٠: وسماه التحرير.

في ب و: التحبير. وفي الأصل كذلك بدون نقط، وفي ج: التجريد. وفي د: التوضيح.

ص١٥: أبو العبيد.

هذا في ج والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: أبو عبيد.

ص١٥: ابن نور المهدي.

في ج: ابن نور الشهيدي. وفي باقي النسخ: ابن نور الهدى.

ص١٥: أبو أحمد الشعيبي.

في جميع النسخ: أبو أحمد الشيعي، لكنهما في باب الألقاب والأنساب من نسخة الأصل وردت "الشعيبي".

ص١٥: سمع أبا بكر بن داود.

هذا في و والمطبوع. وفي بقية النسخ: سمع أبا بكر بن أبي داود.

ص٢٥: وله أشعار رائقة منها قوله.

لم ترد العبارة في د. وفي النسخ الأخرى: ومن شعره.

ص٢٥: من يعطيك باطنه.

هذا في د والمطبوع. وفي ب: من يغضبك باطنه، وفي سائر النسخ: من يعصيك باطنه.

ص٢٥: وقد شاع عنه أنه أملى المبسوط من حفظه.

هذه العبارة وردت هنا كما في ج والمطبوع.

وفي سائر النسخ وردت بعد قوله: اثني عشر ألف كراس..

ص٢٥: فحسبت حفظه.

في ج فحيث حفظه. وفي النسخ الأخرى: فحسب حفظه.

ص٣٥: واكتساب المجموع.

في د: فالكتاب. وفي النسخ الأخرى: والكتاب.

ص٣٥: وتارة يكون في أربعة عشر -كما ذكر - وتارة في خمسة عشر كما هو عندي.

سقطت العبارتان السابقتان من ج د والمطبوع فقط.

ص٣٥: جزآن ضخمان.

في جميع النسخ: جزءًا ضخمًا.

ص٣٥: فخرج في آخر عمره.

في ج: فخرج في آخر وجنه. وفي النسخ الأخرى: فخرج من أوزجند.

ص٥٣: في دهليز الأمير.

في ب: بدار الأمير. وفي النسخ الأخرى: بدهليز الأمير. وهي غير واضحة تمامًا في الأصل.

ص٥٣: كلمة نصح.

في جميع النسخ زيادة "بها" بعد كلمة "نصح". وفي ج "بهما".

ص٥٣: رأيت منه قطعة.

في أ و: ورأيت...

ص٥٣: عن ذلك قالوا: نعم.

في جميع النسخ: عن ذلك فكلهم قال: نعم. وسقطت "كلهم" من ج.

ص٥٣: المعتدة من الغير في العدة ولا يجوز.

في ج: المعدة في دلهو ولا يجوز. وفي باقي النسخ: المعتدة من الغير ولا يجوز.

ص٥٤: سمعت أنه قال.

في جميع النسخ: سمعت أو قال.

ص٥٤: وكان روحًا كله.

هذه الزيادة لا توجد في النسخ.

ص٥٤: المشهور من مشايخ...

في جميع النسخ: المعروف في مشايخ...

ص٥٤: ولم يرد في ترجمة محمد بن الحسن الشيباني ما يلي:

"وقال في الفهرست للنديم: ولمحمد من الكتب: كتاب الصلاة، كتاب النكاح، كتاب الطلاق، كتاب العتاق وأمهات الأولاد، كتاب السلم والبيوع، كتاب المضاربة الكبير، كتاب المضاربة الصغير، كتاب الإجارات الكبير، كتاب الإجارات الصغير، كتاب الصرف، كتاب الرهن، كتاب الشفعة، كتاب الحيض، كتاب المزارعة الكبير، كتاب المفاوضة وهي الشركة، كتاب الوكالة، كتاب العارية، كتاب الوديعة، كتاب الحوالة، كتاب الكفالة، كتاب الإقرار، كتاب الدعوى والبينات، كتاب الحيل، كتاب المأذون الكبير، كتاب المأذون الصغير، كتاب القسمة والديات، كتاب جنايات المدبر، كتاب الولاء، كتاب الشرب، كتاب السرقة وقطاع الطريق، كتاب الصيد والذبائح، كتاب العتق في المرض، كتاب العين والدين، كتاب الرجوع عن الشهادات، كتاب الوقوف والصدقات، كتاب الغصب، كتاب الدور والوصايا، كتاب الهبة والصدقات، كتاب الكفارات والأيمان والقود، كتاب الوصايا، كتاب حساب الوصايا، كتاب الصلح، كتاب الخنثى والمفقود،

كتاب اجتهاد الرأي، كتاب الإكراه، كتاب الاستحسان، كتاب اللقيط، كتاب الآبق، كتاب الجامع الصغير، كتاب أصول الفقه، كتاب الجامع الكبير، كتاب أمالي محمد في الفقه، وهي... كتاب الزيادات، كتاب التحري، كتاب العاقل، كتاب الخصال، كتاب الإجارات الكبير، كتاب الحج يحتوي على عدة كتب، كتاب الرد على أهل المدينة، وكتاب النوادر رواية ابن رستم. انتهى".

ص٥٤: التيهمي.

هذا في جـ والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: التميمي.

(ص: ٥٥): وله مائة سنة وثلث وستون سنة [كذا].

في جـ: وثلاث وثلاثون وستون سنة. وفي النسخ الأخرى: وله مائة سنة وثلاث سنين.

(ص: ٥٥): ويفض الأبكار.

في جـ: ويقبض... وفي ب: ويقتض... وفي سائر النسخ: ويفتض.

(ص: ٥٥): له كتاب...

في بقية النسخ ما عدا جـ والمطبوع: وله كتاب.

(ص: ٥٥): فيه امسك.

ورد بدل هذه الجملة في أ ب و: فبدأ حينئذٍ. وسقطت من جـ د.

(ص: ٥٥): إلا يومًا.

هذا في جـ والمطبوع. وفي سائر النسخ: إلا يوم.

(ص: ٥٥): فقمت فصليت.

في جـ: فقمت صليت. وفي النسخ الأخرى: فقمت وصليت. وفي الأصل غير واضحة: أهي بالواو أم بالفاء.

(ص: ٥٥): في آخر ترجمة محمد بن سماعة وردت: والله أعلم. ولم ترد في النسخ الأخرى.

(ص: ٥٦): سنة ثمان وأربعمائة.

في جميع النسخ: سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

(ص: ٥٦): ابن الآمري.

في جميع النسخ: ابن الإبري.

(ص: ٥٧): أو ذي الحجة.

هذه العبارة لم ترد في أي نسخة.

(ص: ٥٧): قاسم بن شيث.

في أ و: قاسم بن المسيب. وفي ج: قاسم بن شعث. وفي ب د: قاسم بن مسيب.

(ص: ٥٨): في الثامن والعشرين.

في جميع النسخ: في الثاني والعشرين.

(ص: ٥٨): أشياء مشتملة.

هذا في ج والمطبوع. وفي د: أشياء مستمحلة. وفي النسخ الأخرى: أشياء مستملحة.

(ص: ٥٨): علي الحصيري البخاري.

"علي" لم ترد في النسخ.

(ص: ٥٨): ودرس بعد محمود.

في أ و: فدرَّس بعد محمود. وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

(ص: ٥٨): ما اشتهر به.

هذا في د والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: ما شهر به.

(ص: ٥٨): فادعاه لنفسه...

بعدها سقطت عبارتان من ج والمطبوع، هما: "وأنه كثير التصحيف، يقول في الجبائر: الخبائر".

(ص: ٥٨): وكتبوا فيه.

هذا في ب ج د والمطبوع. وفي النسختين الأخريين: وكتب فيه.

(ص: ٥٨): ودرَّس بالخاتونية.

هذا في ج والمطبوع. وفي النسخ الأخرى: فدرَّس...

(ص: ٥٩): وكتاب تأويلات القرآن.

بعدها سقطت: "وكتب أخر" من المطبوع فقط.

(ص: ٥٩): لأبي محمد الباهلي.

في النسخ: لأبي عمر الباهلي. ولم ترد في د.

ص ٥٩: ورد كتاب الإمامة.

في د و: وكتاب برد الإمامة. وفي النسخ الأخرى: وكتاب رد الإمامة.

(ص: ٥٩): الرد على القرامطة.

في أ ب و: الرد على أصول القرامطة. وسقطت من ج د.

(ص: ٥٩): بعد قوله: "قبحه الله. انتهى" ورد في أ ج: "خط شيخنا. قلت: ولا وجه لقوله يعقل، ولولا أني التزمت جميع ما كتبه الشيخ لم أكتب له ترجمة. والله أعلم".

ص٥٩: وممن يسمى بهذا الاسم.

هذا في ب جـ د والمطبوع، وفي الأصل: وممن تسمى ... وفي و: كتب له بهذا الاسم.

ص٥٩: وكتاب التذكرة.

في ب: وكتاب يذكره، وفي جـ: وكتاب التذكر، وفي د كما هو في المطبوع، وفي و: وكتاب تذكره، وفي الأصل غير واضحة، إلا أن رسمها أقرب إلى و.

ص٥٩: وعلاء الدين القنوي.

هذا في جـ والمطبوع، وفي و: ... الغوني، وفي سائر النسخ: ... القونوي.

ص٦٠: وكتاب المناسك.

هذا في جـ د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وكتاب مناسك.

ص٦٠: وقتل بطرابلس.

في أ ب د: وقتل بأطرابلس، وفي جـ: باطرانيس، وفي و: بترابلس.

ص٦٠: الكاشاني.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: الكاساني.

ص٦٠: وعزى له.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وعزا له.

ص٦٠: في شهر ربيع الأول.

هذا في ب جـ والمطبوع، وفي د و: في شهر ربيع الآخر، وغير واضحة في الأصل.

ص٦٠: إسمعيل الكاشاني.

في أ جـ: ... الكشاني، وفي ب: الكباي، وفي د: الكاساني، وفي و: الكشاف.

ص٦٠: ومن تصانيفه.

في جميع النسخ: من ... بدون حرف الواو.

ص٦١: ناصر الدين القنوي.

في أ ب: الفيومي، وفي جـ: الغينوي، وفي د: بدون نقط على رسم الفيومي، في و: الفيوسي.

ص٦١: على مذهب الإمام أبي حنيفة.

"الإمام" لم ترد في النسخ كلها.

ص٦١: وحدث بملاسيرة.

في الأصل وحدث فيها بسيرة، وفي جـ: غير واضحة، وفي د: وحدث بها سيرة، وفي النسخ الأخرى: وحدث بها بسيرة.

ص٦٢: الجدامي.

هذا في ب جـ والمطبوع، وفي د: الحزامي، وفي أ و: الجذامي.

ص٦٢: ونظم قصيدة.

هذا في جـ د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: ونظم قصيدًا.

ص٦٢: على وزن الميمية.

في أ ب و: على وزن الهيتية، وفي د على الرسم السابق بدون نقط، وفي جـ: ... الهمية.

ص٦٢: الأصفهاني.

في النسخ: الأصبهاني.

ص٦٢: المعروف بأبي بكر خواهرزاده.

في د: المعروف بخواهرزاده، وفي سائر النسخ: المعروف ببكر خواهرزاده.

ص٦٢: فاضلًا نحويًّا.

في جميع النسخ: فاضلًا حنفيًّا.

ص٦٢: في نهاية ترجمة محمد بن محمد خواهرزاده، ورد في جميع النسخ – ما عدا المطبوع – ما يلي:

"وقال الذهبي: كان إمامًا كبير الشأن، بحرًا في معرفة المذهب، وطريقه أبسط طريق الأصحاب، وكان يحفظها، سمع أباه، وأبا الفضل منصور الكاغدي، وجماعة، وأملى ببخارى مجالس، وخرج له أصحابٌ أئمة، وكان عالم ما وراء النهر، روى عنه عثمان البيكندي، وعمر بن محمد، يعني النسفي، وغيرهما".

ص٦٢: ملكداد.

في أ جـ:ملك داد، وفي ب: ملك ولد، وفي د: مالك أبو، وفي و: مالك ولد.

ص٦٢: تفقه على الحصري.

في جميع النسخ: ... الحصيري.

ص٦٣: تسعون جزءًا.

سقطت "جزءًا" من ج والمطبوع فقط.

ص٦٣: وأكثر علمه بالشروط.

هذا في ج والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وأكثر علمه الشروط.

ص٦٣: لكماله في الفقه.

في جميع النسخ: من كماله ...

ص٦٤: أبي الحسن الومردي.

في جميع النسخ: ... الزمردي.

ص٦٤: سبع عشرة مجلدة.

في جميع النسخ: سبعة عشر، وفي أ ب و: مجلدة، وفي ج: مجلدات، وفي د: مجلدًا.

ص٦٤: وكتاب تفسير وما أتمه.

"وما أتمه" وردت في جميع النسخ، ولم ترد في المطبوع.

ص٦٤: والعتاق.

في ج: القباني، وفي د: والعمالي، وفي باقي النسخ: والعتابي.

ص٦٤: وتفقه عليه ...

في جميع النسخ: تفقه عليه ...

ص٦٤: ووحيد الدين.

في جميع النسخ: وحميد الدين.

ص٦٤: في ثامن عشر ذي القعدة.

هذا في ب والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: في ثاني عشر ...

ص٦٥: أبو الغنائم.

في أ و: أبو غنائم، وفي ب: أبو غان، وفي ج: أبو الغنيم، وفي د: أبو العنايم.

ص٦٥: مولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

هذا في ج والمطبوع. وفي و: ... وسبعمائة، وفي النسخ الأخرى: ... وستمائة.

ص٦٥: من قوله: "وقال الذهبي: كان شيخ الحنفية" ... إلى آخر الترجمة.

هذا كله لا يخص ترجمة محمد بن عمر بن العديم، بل هو الفقرة الأخيرة من ترجمة محمد بن محمد المعروف بالحاكم الشهيد، ولم ترد ترجمته في المطبوع.

كما سقط من ترجمة ابن العديم من جـ والمطبوع ما يلي: "ووفاته سنة خمس، وقيل: سنة أربع وتسعين وستمائة، وكان عالما بحرًا بارعًا، له كتاب: الرائض في علم الفرائض".

ص٦٥: ابن أحمد الصيافي.

في جـ: ابن أحمد الصياني، وفي د: ابن أحمد العياضي، وفي النسخ الأخرى: أبي أحمد العياضي.

ص٦٥: أخو الإمام علي.

في أ و: هو أخو الإمام علي، وفي النسخ الأخرى كما هو في المطبوع.

ص٦٦: في آخر ترجمة محمد بن محمد البزودي سقط من نسخة (و) والمطبوع ما يلي: "قال السمعاني: ولد سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وعدَّ جماعة حدثوه عنه، وكان يدرس ويملي الحديث".

ص٦٦: ورع وساد.

في جميع النسخ: برع ... وسقطت من جـ.

ص٦٦: وشرح الهداية المسمى بالعناية، وشرح أصول البزدوي المسمى بالتقرير، وشرح المنار المسمى بالأنوار.

الجمل السابقة وردت في جميع النسخ على النحو التالي: "وشرح الهداية، وشرح البزدوي، وشرح المنار".

ص٦٦: وسمع محمود.

في جميع النسخ ما عدا جـ والمطبوع: وسمع بخوارزم.

ص٦٦: ورجع إلى مصر.

في جميع النسخ: ورجع على مصر.

ص٦٧: في آخر ترجمة محمد بن محمود الزوزني وردت: "والله أعلم" التي لم ترد في أية نسخة.

ص٦٧: خواجه حسن.

في جميع النسخ: خواجا حسن.

ص٦٧: نظم مختصر القدوري.

في جميع النسخ: نظم القدوري.

ص٦٧: القاضي محمد بن المنصور قلاون.

هذا في جـ والمطبوع، وفي الأصل: الناصر بن محمد المنصور قلاوون، وفي النسخ الأخرى كما في الأصل لكن بدون "بن".

ص٦٧: علي بن سلمة.

في جميع النسخ: علي بن مسلمة.

ص٦٧: بعد قوله: "يقول: الله الله" سقطت العبارة التالية من المطبوع، وقسم منها من جـ د، وهي: "خمس عشرة ألف مرة، وما زال يقول: الله الله، حتى طفئ".

ص٦٨: شمس الدين القنوي.

في جميع النسخ – ما عدا جـ والمطبوع –: ... القونوي.

ص٦٨: وحبر أهل زمانه.

في أ جـ د: وخير أهل زمانه، وفي و: وخيرًا ... وفي ب كما هو في المطبوع.

ص٦٨: وكاشف سرها.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى بدون واو.

ص٦٨: أساليب الرقائق.

في جميع النسخ: أساليب الدقائق.

ص ٦٨: ما وقع عليه اختياره.

"اختياره" لم ترد في المطبوع، ووردت في جميع النسخ.

ص٦٨: والشامل.

في جميع النسخ – ما عدا جـ والمطبوع –: والشمائل.

ص٦٩: للأصفهاني.

في النسخ: للأصبهاني.

ص٦٩: قاله في آخر كتابه.

هذا في ب د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: قاله آخر كتابه.

ص٦٩: غزير الدمعة.

في جميع النسخ – ما عدا د والمطبوع –: غزير المدمعة.

ص٦٩: ينسج بها الحصير.

في جميع النسخ – ما عدا جـ والمطبوع –: ينسج بها الحصر.

ص٦٩: واسم شرحه لجامع.

في جميع النسخ: واسم شرحه للجامع.

ص٦٩: أحمد بن الفرح.

في جميع النسخ: أحمد بن الفرج، وفي د: أحمد بن فرح.

ص٦٩: الساغرجي.

في أ ب جـ: الساغوجي، وفي د: الساعوجي، وفي و: الشاغوجي.

ص٧٠: محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء.

في الأصل: محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء بن علي بن أبي العلاء، وفي د سقطت "بن" من علي بن أبي العلاء، وفي النسخ الأخرى كما في الأصل إلا أنه سقطت "بن" من محمود بن أبي بكر.

ص٧٠: جم الفضائل.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: جمع الفضائل.

ص٧٠: بعد قوله: "واسع الرحلة" ورد ما يلي في جميع النسخ ما عدا المطبوع: "سمع من سبعمائة وخمسين شيخًا".

ص٧٠: شبيه النسبة وصنف معجمًا لنفسه.

هذا في جـ والمطبوع، وفي سائر النسخ: مشتبه النسبة، وسوَّد معجمًا لنفسه.

- بعد هذا ورد في الأصل ونسخة و: "استفدنا منه، وكان لا يمس الأجزاء إلا على وضوء"، وقد وردت العبارة الأخيرة في آخر الترجمة في ب جـ والمطبوع.

ص٧٠: وكان بارعًا فيها.

هذا في ب د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وكان عارفًا فيها.

ص٧٠: وممن يسمى بهذا الاسم.

في أ و: وممن تسمى بهذا الاسم، وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

ص٧٠: اللارندي.

في أ ب جـ ١: الأرندي، وفي و: اللارتدي.

ص٧٠: إرشاد أولي الألباب.

في جميع النسخ: إرشاد الألباب.

ص٧٠: له كتاب نصاب ...

لم ترد في جـ د، وفي النسخ الأخرى: وله كتاب.

ص٧٠: أبو الثنا القنوي.

في جميع النسخ - ما عدا جـ والمطبوع -: أبو الثناء القونوي.

ص٧٠: القلائد في شرح العقائد.

في جميع النسخ: القلائد شرح العقائد.

ص٧١: شرح التجريد.

في جميع النسخ: مختصر التجريد.

ص٧١: الغنية في الغاوي.

في د: البنية في الفتوى، وفي النسخ الأخرى: الغنية في الفتاوى.

ص٧١: مسند الإمام أبي حنيفة.

"الإمام" لم ترد في النسخ.

ص٧١: سنة إحدى وسبعين ...

هذا في جـ والمطبوع، وفي باقي النسخ: سنة سبع وسبعين ...

ص٧١: عالم كامل، حبر فاضل.

في جميع النسخ: عالم فاضل، حبر كامل، وفي جـ: "خبر" بدل "حبر".

ص٧٢: الكشاف في تفسير القرآن العظيم.

في جميع النسخ: ... القرآن العزيز، وسقطت الكلمة من جـ.

ص٧٢: وفصوص الأخبار.

في جميع النسخ: ونصوص الأخبار، وغير واضحة في و.

ص٧٢: وضالة الناشر.

في جميع النسخ: وضالة الناشد، وفي جـ: ومثاله الناشد.

ص٧٢: من كلام الإمام الشافعي.

"الإمام" زيادة في جـ والمطبوع فقط.

ص٧٢: في عاشر رمضان.

في جـ: في عشر رمضان، وفي ب: في عشرة رمضان، وفي سائر النسخ: في غرة رمضان.

ص٧٢: سنة خمس عشرة وخمسمائة.

في جميع النسخ بدون "وخمسمائة".

ص٧٢: خاصة الأنام.

في جميع النسخ: خاصة الإمام.

ص٧٣: وهو كتاب حسن في بابه.

في أ ب د: وكتابه حسن في بابه، وفي جـ: وكتاب حسن ... وفي و: وكتابة حسنة.

ص٧٣: الملقب بسعد الدين.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: الملقب سعد الدين.

ص٧٣: إفادة الأنوار.

في جميع النسخ: إفاضة الأنوار.

ص٧٣: الغرميني.

في د: العرميني، وفي النسخ الأخرى: الغزميني.

ص٧٣: شرح مختصر القدوري.

في جميع النسخ: شرح القدوري.

ص٧٣: تفقه المذكور.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وتفقه ....

ص٧٣: على أبي يوسف السكاكي.

في جميع النسخ: على يوسف بن أبي بكر السكاكي.

ص٧٣: رشيد الدين القندي.

في أ: رشيد الدين الفندي، وفي ب جـ: الغندي، وفي د على الرسم السابق بدون نقط، وفي و: الغندوري.

ص٧٣: من التصانيف.

في جميع النسخ: من المصنفات.

ص٧٤: محمد بن الحسن الشيباني.

"الشيباني" لم ترد في النسخ.

ص٧٤: وممن يسمى بهذا الاسم.

في أ و: وممن سمي ... وفي ب جـ: وممن تسمى ... وفي د كما هو في المطبوع.

ص٧٤: رجع إلى بلاده.

في جميع النسخ: رجع إلى بلده.

ص٧٤: زيارة قبر رسول الله صلعم.

في جـ: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وفي النسخ الأخرى: زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ص٧٤: أخذ الفقه عنه.

في جميع النسخ: أخذ الفقه عن محمد بن الحسن.

ص٧٤: على زمانك.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: على أمانتك.

ص٧٥: محمد بن يعقوب.

هذا في جـ والمطبوع، وفي ب: محمد عن يعقوب، وفي النسخ الأخرى: محمد ويعقوب.

ص٧٥: كان وافر العلم.

في جـ: كان قرأ عنه العلم، وفي النسخ الأخرى: كان من أوعية العلم، (وسقطت الترجمة من د).

ص٧٥: مجتازًا إلى الحجاز.

في النسخ: مجتازًا إلى الحج.

ص٧٥: بخلال مدينة النبي صلعم.

في جـ: بجلال مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي النسخ الأخرى: فحمل إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم.

ص٧٥: سوى حاسدي التي لا أسالها.

في جميع النسخ: سوى حاسدي فهي التي لا أنالها.

ص٧٥: عثمان النسوي.

هذا في و والمطبوع، وفي ب والأصل: عثمان الفسوي، وفي جـ: القوي، وفي د: الثوري!

ص٧٦: واحد المدرسين بغداد.

في النسخ: وأحد المدرسين ببغداد.

ص٧٦: سنة عشر.

في الأصل فقط: سنة عشرة – وهو خطأ.

ص٧٦: بعد قوله: وخمسمائة، سقط من و والمطبوع: "تفقه على البرهان علي بن حسن البلخي".

ص٧٦: القضاء بالعسكر.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: قضاء العسكر.

ص٧٧: كتاب التعالم.

في ب: كتاب التعلم، وفي سائر النسخ: كتاب التعليم.

ص٧٧: نسبته إلى.

في أ ب د: نسبة إلى، وفي جـ كما في المطبوع، وفي و: لنسبته إلى.

ص٧٧: له كتاب: الجدل الحسن جدل حسن.

هكذا في المطبوع فقط، وفي د: له جلال الحسن، وفي النسخ الأخرى: له جدل حسن.

ص٧٧: قبل الثمانمائة.

في جميع النسخ: قبل الستمائة.

ص٧٧: علي بن بزاز.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: علي بن بندار، وفي د كالسابق بدون نقط.

ص٧٧: علي بن عمير.

في جميع النسخ: علي بن عمر.

ص٧٧: ويونس الدباس.

في جـ: ويونس الدنابي، وفي د كما في المطبوع وفي ب و: ويونس الدبابيسي، وفي الأصل على رسم ما في ب و، إلا أنه بدون نقط.

ص٧٧: ومدرسة أبي خليفة.

في الأصل: ومدرسة أبي حُليفة، وفي ب: ... أبي حليقة، وفي سائر النسخ كما هو في المطبوع.

ص٧٧: بعد قوله: ثلاثة عشر مجلدًا، سقطت العبارة التالية من المطبوع فقط: "ثم لخصه".

ص٧٧: في سيرة نبينا أبي القاسم.

"نبينا" لم ترد في النسخ.

ص٧٨: القاءالي.

في الأصل: الأقاني، وفي جـ د: القآني، وفي ب و: القاني.

ص٧٨: شرح المغني للبخاري.

في جميع النسخ: ... للخبازي.

ص٧٨: في أرجوزة والله أعلم.

"والله أعلم" وردت في الأصل دون سائر النسخ.

ص٧٨: غير طبقة هذا.

هذا في جـ والمطبوع، وفي ب: عن طبقة هذا، وفي و: غير هذه الطبقة، وفي الأصل: من غير طبقة هذا، ولم ترد في د.

ص٧٨: قال الذهبي: من الأعلام.

في جـ: قال الذهبي: أحمد من العلماء الأعلام، ولم ترد في د، وفي النسخ الأخرى: قال الذهبي: أحد العلماء الأعلام.

ص٧٨: توفي يوم السبت.

لم ترد في النسخ "يوم السبت"، وفي جـ وردت: "توفي يوم" ... دون "السبت".

ص٧٨: سنة خمس وسبعين وسبعمائة.

كتبت رقمًا في ب والأصل وهو غير واضح، وفي د: سنة ٤٨٩، وفي و: سنة خمس وثمانين وأربعمائة، وفي جـ: سنة خمس وسبعين وأربعمائة.

ص٧٨: محمد بن الحسن.

هذا في ب و والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: محمد بن الحسين.

ص٧٨: وله كتاب الفصول.

في أ ب و: له (بدون واو).

ص٧٨: ورسالة مفيدة.

في النسخ الأخرى - ما عدا جـ والمطبوع -: ورسائل مفيدة.

ص٧٨: وولده: المؤيد بن الموفق.

سقطت "وولده" من المطبوع فقط.

ص٧٨: نثرة النثر وشعري الشعر.

في جـ: نثرة النثرة وشعر الشعر، وفي د: نثرة النثر وشعر الشعر، وفي النسخ الأخرى: نثرة النثيرة وشعري الشعراء.

ص٧٨: محمد بن سعيد.

هذا في ب جـ والمطبوع، وفي د: محمد بن سعد، وفي و: محمد بن معبد، أما في الأصل فرسمها غير واضح، وهي بدون نقط.

ص٧٨: سعيد بن محمد بن مكحول.

في جميع النسخ: سعيد بن محمد بن محمد بن مكحول، مع مراعاة الاختلاف في "سعيد" كما سبق.

ص٧٨: كان عالم الشرق ...

هذا في د و والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: كان علماء الشرق ...

ص٧٨: يغترف من بحاره، ويستضيء بأنواره.

هذا في ب جـ د والمطبوع، وفي و والأصل: تغترف ... وتستضيء.

وقد سقط من حرف الميم في الكتاب المطبوع تسع عشرة ترجمة، هي:

- محمد بن أبي بكر الرازي.
- محمد بن أحمد السمرقندي.
- محمد بن أحمد الجبلي.
- محمد بن رمضان الرومي.
- محمد بن سليمان بن النقيب.
- محمد بن حسن أبو عبدالله الفاسي.
- محمد بن عبدالحميد الأسمندي.
- محمد بن عثمان بن أقرب.
- محمد بن عثمان بن الحريري.
- محمد بن علي البصري.
- محمد بن الفضل البلخي.
- محمد بن أبي القاسم البقال.
- محمد بن عمر النوجابادي.
- محمد بن محمد الحاكم الشهيد.
- محمد بن محمد الخطيب.
- محمد بن محمود الأستروشني.
- محمد بن مكرَّم الكرماني.
- محمد بن الوليد الزاهد.
- محمود بن عبيدالله الحارثي.

ص٧٩: وشعرًا كثيرًا.

في جميع النسخ: وشعر كثير.

ص٧٩: بعد قوله: "الصلوة المشهورة"، سقط من المطبوع ما يلي: "وكتاب الفتاوى"، والصواب في اسم كتابه: خزانة الفقه، وذكر وفاته الذهبي سنة خمس، وقد سقطت العبارة الأخيرة من و.

ص٧٩: نعمان بن إبراهيم.

في جميع النسخ: النعمان بن إبراهيم.

ص٧٩: توفي ببخارا.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وتوفي ببخارى.

ص٨٠: وإسحق الفرات.

في جـ: وإسحق الفرات، وفي و: ... الفراء. وسقطت من د، وأقرب رسم للكلمة في أ ب: ... القراب، بدون نقط، وهي كذلك في سير أعلام النبلاء ١٩/٣٩١.

ص٨٠: وكان أسود من بقي.

في النسخ: وكان أسند من بقي، ولم ترد العبارة في د.

ص٨٠: ابن عوانة.

في النسخ – ما عدا جـ والمطبوع –: أبي عوانة.

ص٨٠: في الليلة العاشرة من ذي القعدة.

في جميع النسخ: في ليلة عشر ذي القعدة.

ص٨٠: محمد بن عمر.

هذا في جـ والمطبوع، وفي د: محمد بن نصر، وهي مطموسة في الأصل، وأقرب ما يكون رسمها كما في د، وساقطة من و، وفراغ مكان كلمة في ب.

ص٨٠: وأشار إلى تصنيفه.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وأشار إلى تضعيفه.

ص٨١: قال الذهبي: وقال: قرأت.

سقطت "وقال" من المطبوع فقط، وفي أ جـ: "مررت" بدل: قرأت، وفي د: قراه.

ص٨١: أبي العلى بن الجلال.

في جميع النسخ: "أبي علي بن الخلال"، ولم ترد في جـ.

ص٨١: أخبرني أبو جعفر.

في و: أخبرك أبو جعفر، وغير واضحة في الأصل، وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

ص٨١: أنا ظاهر.

في د: أبا ظاهر، وفي النسخ الأخرى: أنا طاهر.

ص٨١: النوردي.

هذا في جـ والمطبوع، وفي الأصل: البردي، وفي ب: البزدوي، وفي د: البردوي، وفي و: البرداي.

ص٨١: يوسف أحمد.

في النسخ: يوسف أخبرنا أحمد.

ص٨١: ثنا محمد بن عمر.

في أ ب ج: أنا – يعني أخبرنا – وفي د و: أبا محمد ...

ص٨١: محمد بن عمر.

في الأصل: محمد بن أبي عمرو، وفي د: محمد بن عمرو، وفي النسخ الأخرى: محمد بن أبي عمر.

ص٨١: عمر بن وهب.

في جميع النسخ: عمرو بن وهب.

ص٨١: سماء الدنيا.

هذا فيما عدا أ ب، حيث ورد فيهما: السماء الدنيا.

ص٨١: قال محمد: هذه الأحاديث.

في النسخ: قال محمد بن الحسن: هذه الأحاديث.

ص٨١: سعد بن حبة (وردت "حبة" ثلاث مرات).

في أ و: سعد بن حبتة، وفي ب: جبتة، وفي ج: حبيبة، وفي د: حسنة.

ص٨١: عوف بن عمر.

هذا في ج والمطبوع، وفي د: عوف بن بحرة، وفي النسخ الأخرى: عوف بن بحير.

وفي آخر ترجمة أبي يوسف سقط من ب ج د والمطبوع ما يلي: "قلت: وفي فهرست النديم: ولأبي يوسف من الكتب: الأمالي، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الفرائض، كتاب البيوع، كتاب الحدود، كتاب الوكالة، كتاب الوصايا، كتاب الصيد والذبائح، كتاب الغصب والاستبراء؛ ولأبي يوسف إملاء رواه بشر بن الوليد يحتوي على ستة وثلاثين كتابًا فيما فرعه أبو يوسف: كتاب اختلاف الأمصار، كتاب الرد على مالك بن أنس، كتاب رسالة في الخراج إلى الرشيد، قلت: طالعته مرات، كتاب الجوامع ألفه ليحيى بن خالد، يحتوي على أربعين كتابًا، ذكر فيه اختلاف الناس والرأي المأخوذ به. انتهى".

ص٨٢: إلى ثلاثة أنفس.

في جميع النسخ: لثلاثة أنفس.

ص٨٢: وقيل لأبي الليث.

في النسخ: وقبله لأبي الليث.

ص٨٢: السمرقندي وقيل ...

في النسخ: السمرقندي وقبله ...

ص٨٢: أبي المحاسن.

في النسخ: أبو المحاسن.

ص٨٢: بعد قوله: "درّس بدمشق" سقطت العبارة التالية من المطبوع فقط: "والقدس، وولي نظر الجامع الأموي، ومات بدمشق".

ص٨٢: وممن يسمى.

هذا في د والمطبوع، ولم ترد في جـ، وفي النسخ الأخرى: وممن تسمى.

ص٨٣: أبي الفرج ابن الجوزي.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: أبي الفرج بن عبدالرحمن بن الجوزي، وفي جـ زيادة "بن علي" بعد "بن عبدالرحمن".

ص٨٣: روى عن جده:

في أ جـ و: وروى عن جده، وفي النسختين الأخريين كما في المطبوع.

ص٨٣: فمنها كتاب.

في جـ: فمن ذلك كتاب، وفي النسخ الأخرى: فمن ذلك كتابه.

ص٨٣: والمجد العظمى.

هذا في جـ والمطبوع، وفي د: والمجد المعظم، وفي النسخ الأخرى: والمجد المعظمي، وفي آخر ترجمة سبط ابن الجوزي ورد: "وممن ذكر في هذا الحرف" في المطبوع فقط.

ص٨٣: ذكره [ابن] النديم.

ما بين المعقوفتين زيادة من المصحح في النسخة المطبوعة، لم ترد في أية نسخة مخطوطة.

ص٨٣: وسمع ابن عساكر.

في النسخ: سمع ابن عساكر.

ص٨٣: أبو سعيد النيسابوري.

في الأصل فقط: أبو سعد النيسابوري.

ص٨٤: المظفر بن الحسين.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: المظفر بن الحسن.

ص٨٤: أصحاب الإمام أبي حنيفة.

"الإمام" لم ترد في النسخ.

ص٨٤: كان مفتيًا.

هذا في ب جـ و، وفي الأصل: كان مفننًا، وفي د: كان مقننًا.

وقد سقطت ترجمتان في حرف الياء من الكتاب المطبوع، هما:

- يحيى بن بكر.
- يوسف بن هلال الصفدي.

ص٨٤: فصل في ذكر من اشتهر بالكنية، فمنهم.

هذه العبارة لم ترد في النسخ.

ص٨٤: الكاشاني.

هذا في جـ و والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: الكاساني.

ص٨٤: صاحب كتاب بدائع الصنائع.

في النسخ: صاحب كتاب البدائع.

ص٨٤: وزوَّج ابنته.

في د: فزوجه ابنته، وفي النسخ الأخرى: وزوَّجه ابنته.

ص٨٤: بعد وفاته.

في النسخ - ما عدا جـ والمطبوع -: بعد عزله.

ص٨٤: "ومات يوم الأحد ... كما نبهت عليه".

هذه الفقرة التي وردت في موضعها من جـ والمطبوع، وردت في النسخ الأخرى في آخر الترجمة.

ص٨٤: وشجاعة وكذا.

هذا في ب جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وشجاعة وكرم.

ص٨٥: وطلبوا منه الكلام "معهم في مسألة" فعينوا.

ما بين علامتي التنصيص لم يرد في جـ والمطبوع.

ص٨٥: قلت: وجد.

في النسخ: ومما وجد، ما عدا جـ، التي ورد فيها: منهما وجدوا.

ص٨٥: البدائع هذا.

"هذا" لم ترد في النسخ.

ص٨٥: سبقنا العالمين.

في النسخ: سبقت العالمين.

ص٨٥: لحكمتي.

في أ ب: بحكمتي، وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

ص٨٥: يريد الحاسدون.

في النسخ: يريد الجاحدون.

ص٨٥: وقال ابن العديم.

في النسخ – ما عدا جـ والمطبوع –: قال (بدون واو).

ص٨٥: الكاشاني.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: الكاساني.

ص٨٥: يصير دينًا.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: تصير دينًا.

ص٨٥: قطع رأيه دونهم.

في النسخ: قطع رأيه دونه.

ص٨٥: جباية أجرة.

في النسخ: جبى أجرة.

ص٨٥: الحراسات من الحريق.

في أ و: الحراسين الحريق، وفي جـ: الخراسانيين الحريق، وفي ب: الحراسين لحفظ الحريق، وفي د: الحراسين (فقط).

ص٨٥: أبو جعفر الهندواني محمد بن عبدالله، بهذه الأسماء فقط عُدِّت هذه الترجمة ترجمة مستقلة في المطبوع، بينما ألحقت بترجمة أبي حنيفة الخوارزمي في ب جـ و، ولم ترد في الأصل، وهي الترجمة نفسها الواردة بالتفصيل في ص ٦٣ من المطبوع.

ص٨٦: هل ينتظر أصحابها.

في النسخ: أينتظر أصحابها.

ص٨٦: فقال: لا يفعل.

في النسخ: قال: لا يفعل.

ص٨٦: وهذا تكرار.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وهذا تكرير.

ص٨٦: أبو سعد الصغاني.

في د: أبو سعد الصاعاني، وفي النسخ الأخرى: أبو سعيد الصغاني.

ص٨٦: ثم أعيد في خلافة المستكفي.

في النسخ: وأعيد ...

ص٨٦: لا مطعن فيه في شيء.

في جـ: لا مطعن فيه شيء، وفي النسخ الأخرى: لا مطعن عليه في شيء.

ص٨٧: راوي كتاب الفقه الأكبر.

هذا في ب والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: روى كتاب ...

ص٨٧: عبدالله بن سلمة.

في أ و: عبدالله بن مسلمة، وفي ب: عبدالله بن مسلم، وفي جـ د كما في المطبوع.

ص٨٧: فسمع أبو المطيع.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: فسمع أبو مطيع.

ص٨٧: اجتزئ بالكلام.

في د: اصربي بالكلام، وفي النسخ الأخرى: اجترئ بالكلام.

ص٨٧: يجر إلى الكفر.

في أ: تجر إلى الكفر، وفي د: "تجر" بدون نقط، وفي ب: تجرأ إلى الكفر، وفي جـ: نجد إلى الكفر.

وفي و: تجر إلى الحكم.

ص٨٧: الكلابادي.

في النسخ: الكلاباذي.

ص٨٩: وكان يدرِّس ببغداد على مذهب.

هذا في جـ د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: وكان يدرِّس ببغداد مذهب.

ص٨٩: مذهب الإمام أبي حنيفة.

في النسخ لم ترد "الإمام".

ص٨٩: سنة تسع وأربعين وخمسمائة.

هذا في جـ د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

ص٨٩: ورعًا محبوبًا.

في جميع النسخ: ورعًا نحويًّا.

ص٩٠: صدر الإسلام أخو فخر الإسلام.

هذه الزيادة لم ترد في النسخ.

وفي باب الكنى سقطت أربع تراجم من المطبوع، هي:

- أبو بكر المحمودي.
- أبو ذر.
- أبو طاهر الدباس.
- أبو القاسم بن يوسف الحسيني.

وهناك إشارة من المؤلف إلى كنية اثنين لم يردا في المطبوع، هما: أبو بكر الحداد، وأبو الليث السمرقندي، وقد عُدَّت الكنى وغيرها تراجم مستقلة حيث أعطيتْ أرقامًا مختلفة في المطبوع، بينما لم تُعْطَ أرقامًا جديدة سوى للتراجم الجديدة.

ص٩٠: ابن الزركشي أحمد بن الحسين.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: ابن الزركشي أحمد بن الحسن، وفي د بدون "أل" التعريف.

ص٩١: الانراري.

في أ ب: الاترارى، وفي جـ: الاتري، وفي د: الانزازي، وفي و: الانزاري.

ص٩١: البقالي.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: البقال.

ص٩١: أحمد وعثمان وعلي.

في أ و: أحمد وعلي وعثمان، وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

ص٩١: الجذامي.

في أ ب: الجدامي، وفي د: الحدامي، وفي النسختين الأخريين كما في المطبوع.

ص٩١: الحارثي عبدالله بن أحمد.

في جميع النسخ: الحارثي عبدالله بن محمد.

ص٩١: تقدم في أخ.

في الأصل: تقدم في أح، وفي د: مقدم في أحر، وفي النسخ الأخرى كما هو في المطبوع.

ص٩١: له شرح مختصر القدوري.

في جميع النسخ: له شرح القدوري.

ص٩٢: الزندوشي.

في أ و: الزندويستي. وفي جـ: الزندويشي. وفي ب د: الرندويستي.

ص٩٢: السكاكي يوسف بن يعقوب.

في الأصل: ... أبو يعقوب. وفي جـ: ... أبي يعقوب. وفي النسخ الأخرى كما في المطبوع.

ص٩٢: الشعبي.

هذا في جـ والمطبوع، وفي د: السعي، وفي النسخ الأخرى: الشعيبي.

ص٩٢: شمس الأئمة الحواني.

في ب: ... الحلواي، وفي النسخ الأخرى: ... الحلواني.

ص٩٢: السرخسي ... الكردري.

هذا في د والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: والسرخسي ... والكردري.

ص٩٢: الصباعي.

في الأصل: الصباغي، وكذا في نسخة ب، وفي جـ: الضياعي، وفي و: الصياغي، ولم ترد في د.

ص٩٢: أبو عمرو ركن الأئمة.

"أبو عمرو" لم ترد سوى في جـ والمطبوع.

ص٩٢: له شرح القدوري.

هذا في جـ والمطبوع، وفي النسخ الأخرى: له شرح على القدوري.

ص٩٢: العتابي أحمد.

في جميع النسخ: العتابي أحمد بن محمد.

ص٩٢: سنة ست وعشرين وأربعمائة.

هذا في جـ والمطبوع، وفي د: ٣٤٩. وفي النسخ الأخرى لم ترد: "وأربعمائة".

ص٩٢: وعبدالرب.

لم ترد في أ و، ووردت في النسخ الأخرى.

- بقي ثلاثة عشر سطرًا من آخر صفحة في الكتاب المطبوع لم أقارنها بالنسخ؛ نظرًا لأن الورقة الأخيرة من الأصل مفقودة.

وفي فصل "فيمن عساه يشتهر بنسب أو لقب" سقطت ترجمتان جديدتان من المطبوع، هما:

- حافظ الدين البزازي (محمد بن محمد).

- الختلي (نصر بن محمد).

كما لم يرد في هذا الفصل - من المطبوع - الأنساب أو الألقاب التالية: الحداد أبو بكر، الزاهد محمد بن الوليد، زين المشايخ محمد بن أبي القاسم الباقل، السجاوندي محمد بن محمد، السراج الهندي عمر بن إسحاق، السرخسي محمد بن أحمد، الصغناقي الحسين بن علي، الصلغري محمد بن مصطفى.

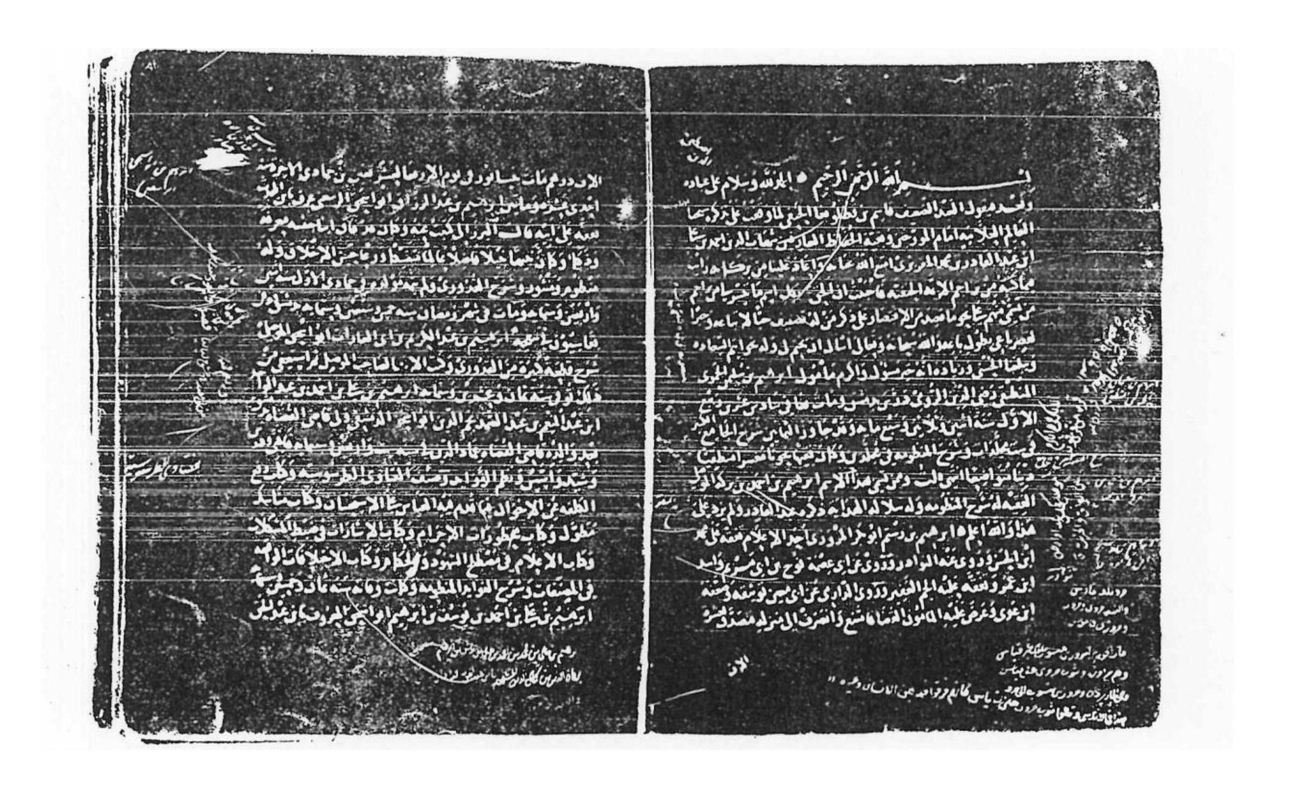
والحمد لله الذي أعانني على هذا.

(نشر في عددين من مجلة عالم الكتب بالرياض: محرم - صفر ١٤١٣ هـ، والربيعين من العام نفسه).

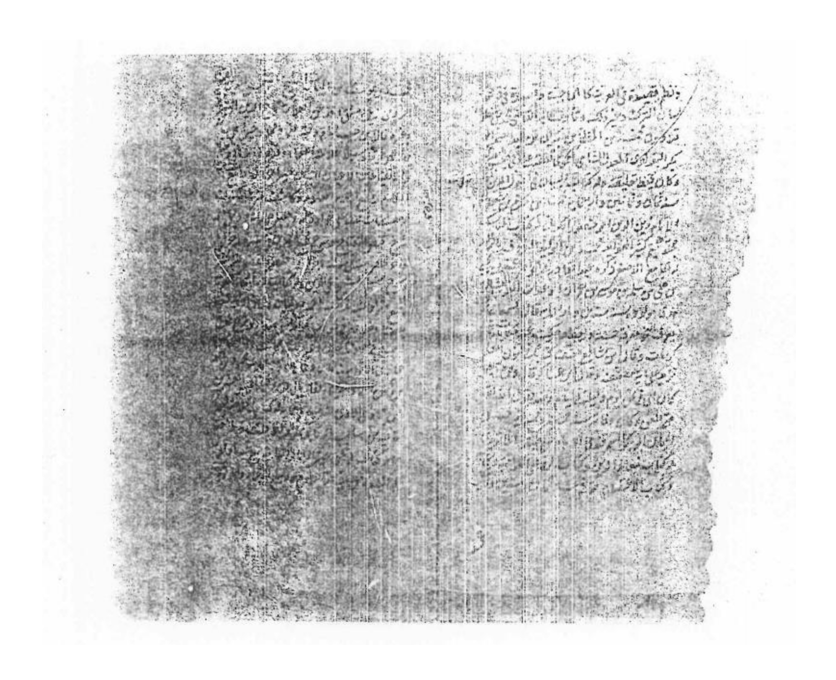


نموذج من نسخة (أ) تتضح فيها إضافات المؤلف؛ والخطوط الفاصلة التي يراها القارئ إنما هي من صنع المحقق

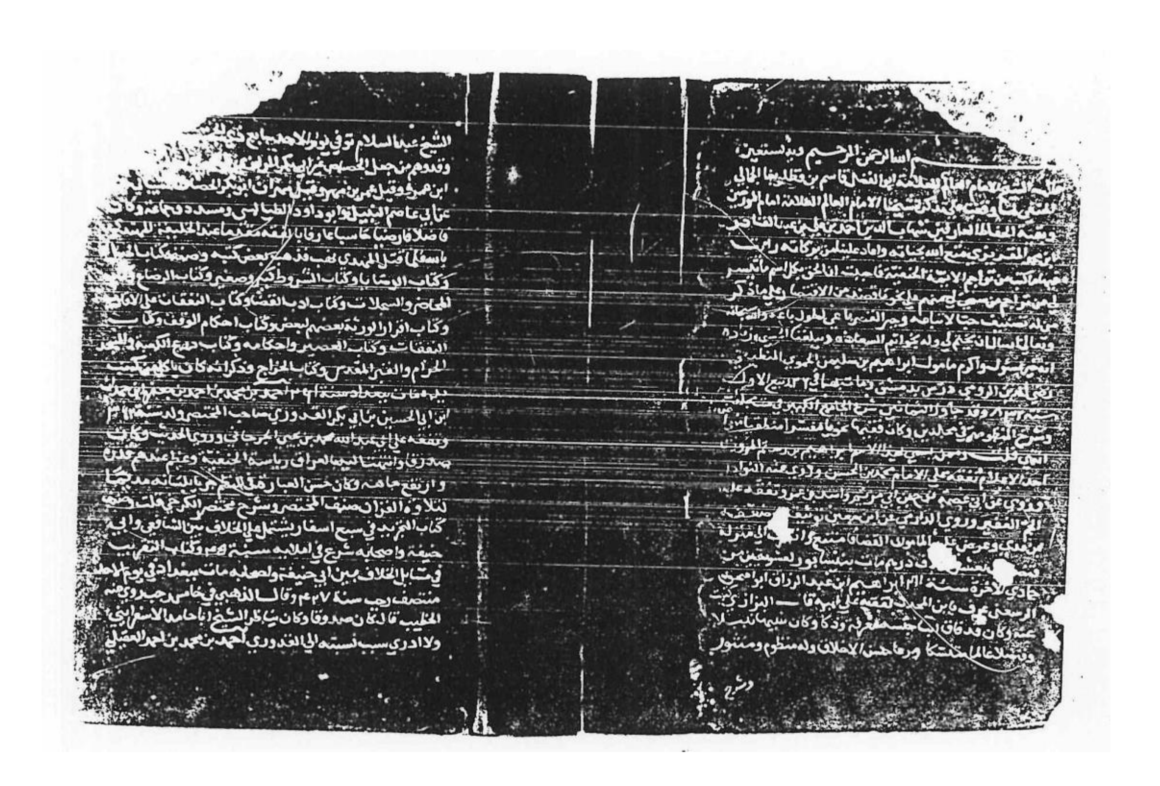
[محمد خير رمضان يوسف]



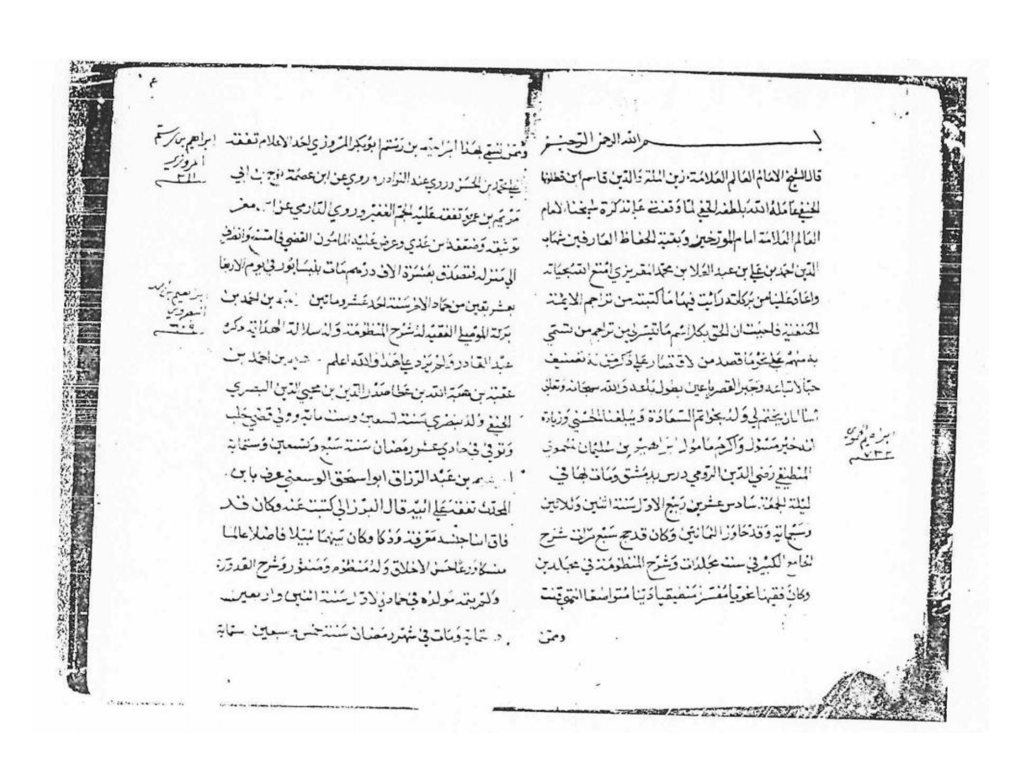
الورقة الأولى من نسخة (ب)



نموذج من النسخة (جـ)



الورقة الأولى من النسخة (د)



الورقة الأولى من النسخة (و)

فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣

الباب الأول: المعارف العامة

أولًا: البحث والتأليف

التوثيق العلمي من ظهور الكتب والمخطوطات ٧
الإكثار من التصنيف ٢٨
مستدرك على كتاب "المكثرون من التصنيف في القديم والحديث" ٣١

ثانيًا: الكتب: (١) حديث في الكتب

الكتاب في القرآن الكريم ٤٤
الكتاب والعزلة ٥١
هل تغيَّر مفهوم الكتاب؟ ٥٣
وقف الكتاب ٥٤
إهداءات الكتب: ملاحظات ونماذج ٥٦
الكتاب الصغير ٦١
تنظيم الكتاب الإسلامي ٦٣
مجلة التراث الإسلامي ٦٥
الجمعية العالمية للكتاب الإسلامي ٦٧
أكثر الكتب الإسلامية تأثيراً! ٧٦
نعم .. ولكن ما السبب وكيف العلاج؟ ٨٧

رثاء كتاب من ورق.. ٩١
مفارقات في أخبار الكتب.................................... ٩٣

٢- الكتب: عرض ومراجعة ونقد

كتاب في التأليف الجماعي................................... ٩٤
حول كتاب "حكم وآداب"................................... ٩٥
عبر هادفة ... في ذكريات منسية!.............................. ١٠١
تصحيح كلمات في تفسير البغوي.............................. ١٠٤
كتاب وملاحظات (تفسير ابن عطية)........................... ١١٢
ملاحظات وأخطاء في "فتح القدير"........................... ١٢٦
سرقة كتاب "الخضر بين الواقع والتهويل"........................ ١٣١
جامع العلوم والحكم هذا الكتاب الفريد.......................... ١٣٦
كلمات مضيئة من "جامع العلوم والحكم"........................ ١٤٦
الوقف وبنية المكتبة العربية للأستاذ يحيى ساعاتي (عرض وتحليل)......... ١٥١
مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية............................. ١٧١
محاولة للتعرف على الحياة الواقعية في بيئة ابن تيمية من خلال كتاب
"مختصر الفتاوى المصرية"................................... ١٩٣
قمع الأشرار عن جريمة الانتحار............................... ٢١١
تاج التراجم بين المطبوع والمخطوط............................. ٢١٧